al-Muarrikh al-Misri

المؤرخ المصري

دراسات و بحوث في التاريخ والحضارة

X-20 22



بحوث

أولا: البحوث والدراسات :

ثانيا: عرض الكتب :

يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الحادي والعشرون يناير ١٩٩٩



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

محتوى العدد



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

قواعد النشر

* ترحب المؤرخ المصري بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الأكاديمي الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

* تقبل المؤرخ المصري للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (**Word**) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم (**A4**) بما في ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع ، على أن تكتب الهوامش في نهاية البحث.

* المؤرخ المصري لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر في مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.

* تحتفظ المؤرخ المصري لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أيا كان قرار هيئة التحكيم .

* النشر في المؤرخ المصري متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية .

* الاراء الواردة بالمؤرخ المصري تعبر عن وجهة نظر أصحابها.



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

المراسلات : ترسل البحوث و المقالات باسم السيد الأستاذ / **حامد زيان غانم** رئيس التحرير على العنوان التالي :

كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ) – بريد الأورمان محافظة الجيزة .



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

يطيب لي أن أقدم للقارئ الكريم العدد الحادي والعشرون من المؤرخ المصري والذي يضم بين دفتيه مجموعة قيمة من البحوث والدراسات التي تتحدث عن التاريخ والحضارة عبر العصور.

وإني أنتهز هذه الفرصة لكي أقدم خالص شكري وعظيم تقديري إلى كل من ساهم في هذا العدد من الباحثين والمحكمين الأمر الذي أخرج هذا العدد على هذه الصورة .

و المؤرخ المصري ترحب دائما بنشر كافة البحوث والمقالات الجادة في حقل الدراسات التاريخية .

والله من وراء القصد .

رئيس التحرير

أ . د . حامد زيان غانم



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري
دورية دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

أولا: البحوث والدراسات



اليسع الغافقي وجهودة فى البحث التاريخي

د . حمد بن صالح السحيباني
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود ـ الرياض

مقدمة :

حظيت بلاد المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين ، بوجود عددٍ من المؤرخين والكتاب الذين كتبوا في تاريخ هاتين الدولتين في تلك الديار وهم شهود عيان لما كتبوا أو دونوا من أحداث ، وقد وصلنا العديد من المصادر التي كتبت عن تاريخ المغرب والأندلس في ظل حكم تلك الدولتين مثل كتاب (العبر) لابن خلدون و(الحلل الموشية) لمؤلف مجهول و (نظم الجمان) لابن القطان و (الأنيس المطرب) لابن أبي زرع و (المعجب) لعبد الواحد المراكشي و (تاريخ الدولتين) للزركشي و (أخبار المهدي بن تومرت) للبيذق وغيرها .

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات التي وصلتنا ، فقد ألف عددٌ من الكتب التي فقدت أو فقد جزء منها ، ولم يصلنا منها إلا أسفار قليلة ، أو مقتطفات يسيرة أدرجها مؤلفون آخرون في ثنايا كتبهم ، ومن هذا النوع كتاب اليسع الغافقي (المُغرب في محاسن المغرب) كما يسميه بعض المؤرخين [(١)]

وهذا الكتاب ألفه اليسع في مصر بعد استقراره بها سنة ٥٦٠هـ ، وبالرغم من أهميته ، وكون مؤلفه قد طرزه بالدولة الصلاحية ، إلا أنه فقد ، حيث لم يصلنا منه سوى ما نقله منه بعض المؤرخين والكتاب في ثنايا مؤلفاتهم .

ونظراً لأهمية ما وصلنا من هذا الكتاب إذ أنه رصيد علمي مهم في تاريخ المغرب والأندلس ، كتبه أحد علماء الأندلس الذين نشأوا بها في ظل ظروف سياسية صعبة ، كما كان شاهد عيان لكثير مما كتب ، إضافة إلى كون التراث التاريخي الذي فقدت أصوله ولم يبق منه إلا نقول في ثنايا مؤلفات أخرى ، يشكل جزءً مهما من المادة العلمية لتاريخ تلك البلاد مثل (المقياس في أخبار المغرب والأندلس وفاس) لعبد الملك بن موسى الوراق ، وكتاب (فضائل المهدي) لأبي القاسم المصري ، وكتاب النبذة المحتاجة من أخبار صنهاجة لأبي الحسن الصنهاجي حيث كانت النقول من هذه الكتب وغيرها تشكل موردا مهما وقاعدة علمية اتكأ عليها كل من كتب عن تاريخ تلك البلاد وهذا مما يدل على أهميتها وقيمتها العلمية .

ويضاف إلى ذلك ما سبق من كون اليسع عالما ومؤرخا إلا أن تراثه التاريخي بقي مجهولا عند بعض من يعنون بالدراسات المغربية والأندلسية ، ولهذه الأسباب رأيت الكتابة عن هذا المؤرخ وتراثه ، إسهاما مني في الكشف عن أولئك الذين كانت لهم اليد الطولى في كتابة تاريخ المسلمين ، لكن فقد مؤلفاتهم ، أو جزء منها ، جعلهم في عداد المجهولين عند الكثير من الكتاب والباحثين ، على الرغم من أهمية ما كتبوه .

هذا وقد جاءت هذه الدراسة على شقين الشق الأول منها : يتناول التعريف بالمؤلف ونشأته ، ورحلاته وشيوخه ، ثم استقراره بمصر عند

الأيوبيين ، أما الشق الثاني فجاء عن التراث التاريخي لليسع حيث تم التعريف بكتابه المغرب ، ومنهجه ، ومصادره ، ومحتواه ، والحس التاريخي عند المؤلف إضافة إلى قيمته العلمية .

وقد كنت حينما فكرت بهذه الدراسة عازما على جمع كل ما وصلنا من كتابات اليسع التاريخية ، ودراستهافي ثنايا هذا البحث ، ولكن تبين لي بعد ذلك ، أن تلك الكتابات تشكل كما جيدا ، ولهذا رأيت أنه قد يكون من المناسب إفرادها بدراسة مستقلة بينما تبقى هذه الدراسة مقتصرة على المؤلف وكتابه ، وآمل أن تتاح لي الفرصة قريبا لتحقيق هذا ، والله المستعان

نسبه ومولده:

هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبدا لله بن اليسع بن عمر الغافقي الجياني البلنسي (٢).

مولده :

يتفق المؤرخون على أنه ولد وعاش جل عمره في الأندلس ، حيث سكن المرية ، ثم مالقة ، إلا أنهم لم يحددوا سنة مولده ، ولكن باستقراء بعض النصوص التي رواها المؤرخون يمكن تحديد زمن مولده على وجه التقريب لاالتحديد ، فقد ذكر اليسع أنه في سنة أربع وعشرين وخمسمائة رحل إلى مدينة أشبيلية لطلب العلم على يد شيخها وخطيبها ابن شريح (٣).

كما ذكروا أنه فى تلك السنة حدثه أبو عبد الله محمد بن معمر بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة (٤)، كما ذكر ابن الأبار (٥) أنه أخذ العلم عن ابن رشد ، وابن عتاب ، وسفيان بن العاص. (٦) المتوفين سنة خمسمائة وعشرين (٧).

وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد ذكر اليسع أنه شارك في القتال الذي وقع بين المسلمين والنصارى بالأندلس حيث قال :« فالتقينا نحن والروم فكمنوا لنا ألفي فارس وظهر لنا أربعة آلاف ، ونحن نحو الألفين . . . وذلك سنة بضع وثلاثين وخمسمائة » (٨) كما ذكر أيضا أنه قبل مشاركته في ذلك القتال عمل سفيرا بين ابن عياض وابن هود حينما نشأ الخلاف بينهما حيث كتب عقد اتفاق وائتلاف بين الطرفين لجمع كلمة المسلمين كما قال (٩)

إن هذه الإشارات التي رواها لنا المؤرخون عن اليسع ، تبين لنا أنه كان منذ العقد الثالث من القرن الخامس الهجري قد بلغ مبلغ الرجال ، وأنه كان يشد الرحال لطلب العلم على علماء الأندلس ، كما أنه في العقد الرابع من

ذلك القرن قد شارك في القتال ضد النصارى ، كما عمل قبل ذلك سفيرا بين القوى الإسلامية هناك ، ولاشك أن من يزاول مثل تلك المسؤليات لابد وأن يكون من ذوي المواهب فضلا عن الخبرة والتجارب ، ولهذا فإني لاأستبعد أن مولد اليسع كان في مطلع القرن السادس الهجري أو في أواخر القرن الخامس ، ولعل الاحتمال الثاني أرجح ؛حيث ذكر المؤرخون أنه حينما توفي سنة ٥٧٥ هـ كان مسنا (١٠)

نشأته وطلبه العلم :

نشأ اليسع بالمرية حيث كان يقيم والده ، وبها بدأ يطلب العلم على أبيه ، حيث تعلّم القراءات منه ومن أبي العباس القصبي ، كما سمع من أبي عبدا لله ابن زعيبة صحيحي البخاري ومسلم ، ومن أبي الحسن بن موهب السنن لأبي داود . (١١)

وبالإضافة إلى ذلك فقد أجازه عدد من علماء الأندلس بفنون أخرى ، ومنهم أبو عبدا لله بن الفرا ، وأبو علي الصدفي وأبو محمد بن أبي جعفر وغيرهم . (١٢)

شيوخه :

يبدو أن مؤرخنا قد تضلع بالكثير من العلوم ، ويدل على هذا تعدد مشايخه ومدرسيه ، ويأتي في مقدمة هؤلاء والده عيسى الغافقي الذي كان يعد من علماء المرية في علم القراءات ، فقد ذكر ابن الأبار أن اليسع أخذ هذا العلم عن أبيه وعن أبي العباس القصبي (١٣) ومما يدل على أنه قد برز في هذا الميدان أخذه هذا العلم عن شريح بن محمد بن شريح (١٤) شيخ المقرئين والمحدثين وخطيب أشبيلية (١٥) حيث قال عنه اليسع : «هو إمام في التجويد والإتقان .

علم من أعلام البيان ، بز في صناعة الإقراء ، وبرز في العربية مع علم الحديث وفقه الشريعة ، كان إذا صعد المنبر حن إليه جذع الخطابة ، وسمع له أنين الاستطابة مع خشوع ودموع رحلت إليه عام أربعة وعشرين – يعني بعد الخمسمائة – فحملت عنه »[١٦]

وقد ذكر ابن الزبير أنه أخذ العلم عن علماء قرطبة ومنهم أبوالوليد بن رشد[١٧] وابن عتاب[١٨]، وسفيان العاصي[١٩] والحسن بن زيدان وغيرهم[٢٠] أما علم اللغة فقد أخذه عن العالم اللغوي أبو عبدا لله محمد بن معمر[٢١] حيث قال عنه اليسع :(إنه حدثه بداره في مالقة وهو ابن مائة سنة ، وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، وله تآليف منها (شرح كتاب النبات)لأبي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا)[٢٢]

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد ذكر ابن الزبير أن اليسع أخذ العلم عن القاضي أبي عبدا لله بن الفراء ، وأبي الحسن بن موهب ، وابن عبدا لله البلغي ، وأبي الفضل بن شرف ، وهؤلاء جميعًا من أهل المرية .[٢٣]

وبعد هذا العرض السريع لمدارس اليسع ومشاربه الفكرية تتضح لدينا شخصية اليسع العلمية فهو إلى جانب كونه مؤرخًا وأديبًا[٢٤]، فقد كان فقيها عالما بفنون كثيرة من العلوم الشرعية ، كما كان محدثا حافظا نسابة شاعرا .[٢٥]

هكذا برز اليسع في الدراسة والتحصيل ، وقد ساعده في ذلك ماكان يتمتع به من صفات ومواهب عقلية إلى جانب القدرات التحصيلية ،كما أعانه على ذلك ـ أيضا ـ رحلاته التي تجاوزت الأندلس إلى المغرب ، وأفريقيا ، والإسكندرية ، ثم مصر حيث استقر به المقام هناك ، وبها قضى آخر حياته.[٢٦]

أعماله ووظائفه بالأندلس :

يبدو أن اهتمامات اليسع العلمية ، إلى جانب قدراته ومواهبه الذاتية ، قد أهلته لتولي مسؤليات كبيرة في الدول التي عاش بين ظهرانيها هناك ، فقد عمل كاتبا للمستنصر[٢٧] بن هود[٢٨] ، كما كتب أيضا لأبي محمد عبدا لله[٢٩] ابن عياض[٣٠]

ولما ضعفت دولة المرابطين بالأندلس ، حينما ظهرت دعوة الموحدين بالمغرب انتقضت عليهم بعض المدن ، ومنها قرطبة ، وبلنسية ، ومرسية وغيرها ، وكان ابن هود يطمع في الاستيلاء على تلك المدن لكن أهل بلنسبة ومرسية رغبوا في تمليك ابن عياض ، الذي امتنع عن قبول بيعتهم ، لكنه بايعهم عن الخليفة العباسي ، ثم اتفق ابن عياض وابن هود على أن اسم الخلافة لأمير المؤمنين الخليفة العباسي ، وأن النظر في الجيوش والأموال لابن عياض ، بينما تبقى السلطة لابن هود[٣١] . ويبدوأن اليسع كانت له جهود كبيرة في هذا الصلح الذي تم بين ، ابن هود ،وابن عياض حيث قال (فكتبت بينهما عهدا هذا نصه :

كتاب اتفاق ونظام ، وائتلاف لجمع كلمة الإسلام، يفرح به المؤمنون ، انعقد بين الأمير المستنصر با لله أحمد ، وبين المجاهد المؤيد أبي محمد عبدا لله ابن عياض ، وصل ا لله بينهم أبواب التوفيق . .) .[٣٢] وهكذا يتبين لنا أن اليسع كانت له مكانة كبيرة عند ذينك الرجلين حيث فوضاه في عقد الصلح بينهما ، كما أمضيا كل ما اعتمده ورآه في ذلك[٣٣]، وقد أشار ابن الأبار إلى هذا الصلح واتحاد الكلمة بين المسلمين بسبب جهوداليسع[٣٤].

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد عمل سفيرا بين ابن هود، وابن عياض، حيث

ذكر أنه حينما أغار النصارى على نواحي شاطبة بعثه عبدا لله بن عياض إلى المستنصر بن هود ليقول له :

(أنا أحتفل للقاء القوم ، فلا تخرج) [٣٥] لكن ابن هود لما بلّغه اليسع بتلك الرسالة ؛ أجاب عليها بقوله : (إنما تريد أن تفسد ما بيني وبين الروم من وكيد الذمة ، وإذا أنا خرجت ، واجتمعت بملوكهم ، ردوا ماأخذوه) [٣٦] يقول اليسع : (فأعلمت ابن عياض بما قاله لي ابن هود فقال :

(أيحسب هذا أن الروم تفي له ؟! سيتبع رأيي حين لاينفعه ، فتضرعت إلى المستنصر ، فأبى فخرجنا جميعا نؤم العدو حتى وصلنا ، فأمراني بكتابين عنهما إلى الملكين مونق وفرانده، وكتاب عن ابن عياض إلى صهره أبي محمد [٣٧] ليصل بعسكر بلنسية . . .) [٣٨]

وقد شارك اليسع في الجهاد ضد النصارى تحت راية ذينك الرجلين ، حيث ذكر أنه خرج مع جيش بلنسية والذي يقوده ابن مردنيش ، وأنه قاتل معهما في الوقيعة الكبرى التي وقعت قرب جنجالة [٣٩] سنة ٥٤٠هـ [٤٠] والتي استشهد فيها عدد كبير من المسلمين ، ومنهم ابن هود ، وابن مردنيش ، بينما سلم الملك المجاهد عبدا لله بن عياض [٤١] ويبدو أن مشاركته في هذه المعركة لم تكن الوحيدةفي هذا الميدان ، فقد ذكر أثناء حديثه عن الأمير عبدا لله ابن عياض أته حضر معه أيام مملكته حروبا [٤٢] ، كما ذكر عددا من القصص التي جرت لابن عياض مع الجند النصارى قبيل وأثناء المعارك ، وهذا مما يدل على مشاركاته المتعددة معهم في ميادين الجهاد [٤٣]

رحيله إلى المغرب ثم إلى مصر :

ذكر اليسع أنه حينما ضعفت دولة المرابطين بالأندلس في أواخر العقد الثالث من القرن الخامس الهجري اشتد البلاء هناك ، كما كثر الهيج ، وغلت مراجل الفتنة (٤٤) ، ويبدو أن هذا الواقع السيء الذي حل بمسلمي الأندلس آنذاك ، إلى جانب وفاة المستنصر بالله بن هود سنة ٥٤٠هـ (٤٥)،ثم الملك المجاهد عبدالله بن عياض سنة ٥٤٢هـ (٤٦) كانا من الأسباب الرئيسة التي دفعت اليسع إلى الرحيل من الأندلس إلى المغرب .

ولم يذكر المؤرخون الذين ترجموا لليسع تاريخ رحيله من الأندلس إلى المغرب ولكن باستقراء بعض النصوص التاريخية التي نقلها بعضهم عنه يتبين لنا أن ذلك الرحيل كان في آخر سنة ٥٤٢هـ أو أوائل السنة التالية لها ، فقد ذكر أنه شارك مع ابن عياض في المعركة التي قتل فيها ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٥٤٢هـ (٤٧)، كما ذكر لنا أنه في سنة ٥٤٣هـ خرج من مراكش ببلاد المغرب (٤٨) ، وعلى هذا يمكن القول بأن ارتحال اليسع من الأندلس إلى المغرب كان إما في أواخر سنة ٥٤٢هـ أو في مستهل السنة التالية لها ، ولم تطل مدة إقامته في تلك الرحلة ببلاد المغرب ، فقد عاد إلى الأندلس حيث يذكر ابن الزبير أنه في سنة ٥٤٤هـ سمع صحيح البخاري من العالم ابن هذيل (٤٩) ببلنسية . (٥٠)

ويبدو أن اليسع أثناء إقامته ببلاد المغرب كان محل احتفا قادة الموحدين لاسيما عند المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨هـ) وهذا مما يدل على مكانته ، وقد مكنه هذا من الاطلاع والأخذ مباشرة من كبار قادة وشيوخ الموحدين ،

كما صرح بذلك حينما تحدث عن أخبار تلك الدولة .[٥١]

ويذكر ابن الزبير أن اضطراب الأحوال السياسية التي حلت بالأندلس في منتصف القرن السادس دفعت اليسع أن يستأنف رحلته مرة أخرى حيث توجه إلى أفريقيا ، ثم الإسكندرية ، فالقاهرة .[٥٢]

أما تاريخ ذلك الانتقال ، فقد ذكر المقري أنه كان سنة ٥٦٠هـ[٥٣] حيث حل بالإسكندرية ثم القاهرة ، وقد باشر التعليم فيها[٥٤] وإبان إقامته بالقاهرة قربه السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ - ٥٨٩ هـ) حيث أجزل إحسانه إليه ، وأجرى له في كل شهر ما يقوم به ، كما بنى له بالقاهرة دارا على شاطىء النيل وجعل لها اسطوانا يزار فيه ، وكان يشفعه في حوائج الناس[٥٥] ويبدو أن اليسع كان أثناء إقامته بمصر يتنقل بين الإسكندرية والقاهرة فقد أشار ابن الزبير أنه أقرأ بهما[٥٦] . كما روى ابن الأبار عن شيخه أبي عبدا لله التجيبي أنه لقيه بالإسكندرية سنة ٥٧٠هـ ثم لقيه بالقاهرة ثانية بعد صدوره من الحج[٥٧] .

وقد ذكر المؤرخون أن سبب تبوئه تلك المنزلة العالية عند السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر أنه أول من خطب للعباسيين بمصر على المنابر العبيدية سنة ٥٦٧هـ ، حيث دعى للخليفة العباسي ، وأسقط اسم الخليفة العبيدي العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧هـ) حيث صعد المنبر والأغزاز حوله وسيوفهم مصلتة خوفا من الرافضة أن يعترضوا عليه[٥٨] ؛ تجاسر على ذلك حين تهيبه سواه فحظي بعد هذا العمل بمكانة عالية عند السلطان صلاح الدين[٥٩] .

هكذا يرى كل من ابن الأبار ، وابن العماد الحنبلي أن اليسع هو أول من أعلن إسقاط الخطبة للعبيديين وخطب للعباسيين بمصر سنة ٥٦٧هـ . لكن

المصادر الأيوبية والمحلية لم تذكر اليسع ، بل ذكرت أسماء علماء آخرين رأت أنهم هم أول من تولى الخطبة في ذلك ، فأبوشامة يذكر أن الذي خطب بمصر لبني العباس أولا هو أبو عبدالله محمد بن المحش بن الحسن بن أبي المضاء البعلبكي(٦٠) ، كما يذكر أن ابن الدبيثي قال بذلك في تاريخه(٦١) . أما ابن الأثير(٦٢) ، وابن واصل(٦٣) ، وابن إياس(٦٤) فيقولون : (إن أول من خطب للمستضيء العباسي هو رجل أعجمي رحل إلى مصر يعرف بالأمير العالم)، كما يذكر ابن الأثير أنه رآه بالموصل ، وأن الأمير العالم (لما رأى ماهم فيه من الإحجام وأن أحدا لم يتجاسر يخطب للعباسي قال : أنا ابتديء بالخطبة له فلما كان أول جمعة من المحرم - يعني من سنة (٥٦٧هـ) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء . . .(٦٥).

وقد أشار المقريزي إلى هؤلاء جميعا حيث ذكر في أحداث سنة ٥٦٦هـ أنه اليسع الغافقي(٦٦) ، ثم ذكر بعد ذلك أنه رجل يقال له الأمير العالم(٦٧) . وفي رواية ثالثة ذكر أن اسمه أبو عبدالله محمد بن الحسن بن الحسين بن أبي المضا(٦٨) أما ابن تغري بردي فقال : (واختلفوا في الخطيب فقيل : إنه رجل من الأعاجم يسمى الأمير العالم وقيل : هو رجل من أهل بعلبك يقال له محمد ابن المحسن بن أبي المضاء البعلبكي(٦٩).

هكذا تباينت الروايات التاريخية حول اسم أول من خطب للعباسيين بمصر معلنا إسقاط دولة العبيديين هناك ، وهذا الحدث يعد من الأحداث الهامة في تاريخ العالم الإسلامي ، ويلاحظ أن تلك الروايات بالرغم من اختلافها حول اسم الشخص إلا أنها تتفق على أنه لم يكن من مصر ، بل كان من خارجها ، وفي التوفيق بين هذه الروايات يمكن أن يقال : إن إعلان الخطبة [illegible] في مدينة القاهرة ، ولهذا

ذكر أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة هو أول من أعلن قطع الخطبة حسبما بلغ كل مؤرخ .

وفاته :

توفي اليسع في مدينة القاهرة يوم الخميس التاسع عشر من شهر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة [٧٠]، وكان مسنا [٧١]

ثانيا : جهوده في البحث التاريخي :

كتابه المغرب :

تبين لنا من خلال العرض السابق أن اليسع كان شخصية علمية تنقلت بين الأندلس ، والمغرب ، ثم استقر بها المقام في مصر ، حيث حظي بمكانة جيدة عند السلطان صلاح الدين الأيوبي،وقد ذكر المؤرخون أنه ألف بها كتابه في التاريخ حيث استهله بقوله :(الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ووسع العصاة رحمة وحلما)[٧٢] . وقد اختلف المؤرخون في تسمية هذا الكتاب فبعضهم سماه (المغرب في محاسن المغرب) وممن قال بهذا ابن الأبار[٧٣] ، وابن الزبير[٧٤] ، وابن حجر[٧٥] ، أما ابن سعيد[٧٦] فيطلق عليه اسم (المعرب في آداب المغرب)[٧٧]. بينما يسميه المقري[٧٨] (بالمعرب في أخبار محاسن أهل المغرب)أما الذهبي فبالرغم من كونه نقل عنه عشرات المرات إلا أنه لم يذكر اسم الكتاب ، بل كان يكتفي بذكر اسم المؤلف سوى مرتين حيث قال فيهما : قال اليسع في تاريخه[٧٩] ولا يعني هذا عدم معرفة الذهبي باسم ذلك الكتاب ، لكن عدم ذكر اسم الكتاب منهج سلكه في جميع المصادر التي اعتمد عليها ، أو أفاد منها في كتاباته .

ويبدو أن الاسم الذي ذكره ابن الأبار ، وابن الزبير ، وابن حجر هو الاسم الحقيقي[٨٠] لذلك الكتاب ، إذ أن ابن الزبير ، وابن الأبـار كانا أقرب من غيرهما إلى المؤلف وعصره حيث أمدانا أكثر من غيرهما بمعلومات جيدة ومفصلة عن المؤلف وحياته العلمية ، إضافة إلى كونهما قد وقفا على الكتاب كما أشارا إلى ذلك .[٨١] أما أصحاب التسميات الأخرى فلا أستبعد أن يكون الاسم الذي ذكروه قد وقع فيه تصحيف[٨٢] أما منهم لاسيما وأنهم أبعد من سابقيهم عن المؤلف وعصره ، أو من النساخ الذين نسخوا الكتاب ، وقد أشار ابن القطان إلى وجود عدد من النسخ لهذا الكتاب وأن بينها اختلافا فقد قال – حينما ذكر أن اليسع ذكر أسماء العشرة من أصحاب ابن تومرت – :

(ولم أجد في هذه النسخة ـ يعني النسخة التي اعتمد عليها من كتاب اليسع – إلا سبعة)[٨٣]

أما سبب تأليف هذا الكتاب فقد جاء بناء على رغبة السلطان صلاح الدين ، وذلك حينما استقر عنده اليسع في مصر ،[٨٤] وعن هذا يقول ابن سعيد :(صنفه بمصر ، وطرزه بالدولة الصلاحية الناصرية)[٨٥] ولعل هذا الأمر هو الذي جعل ابن الأبار يذكر – حينما تحدث عن الكتاب – أن اليسع متهم في هذا التأليف . ومما يؤكد ذلك أن إخراج الكتب والمؤلفات مطرزة بأسماء الملوك والسلاطين ، لم يكن منهجا محبذا عند بعض العلماء فحينما ألف العالم اللغوي أبو غالب تمام بن غالب التياني كتابا في اللغة ووقف عليه مجاهد العامري حاكم الجزر الشرقية (٤٠٧ -٤٣٦ هـ) فأعجبه : فبعث إليه بألف دينار وكسوة على أن يزيد فيه أنه صنفه مطرزا باسم مجاهد فقال أبو غالب : (كتاب صنفته لله ولطلبة العلم أصرفه إلى اسم ملك ! هذا والله مالا يكون

أبدا) ، وصرف على مجاهد ألف الدينار والكسوة فزاد في عين مجـاهد ، وعظـم في صدور الناس ، وقد ذكر ابن سعيد أن الحجاري أطنب في ذكر هذه القضية ، وفي شكر الملك والعالم وقال : هكذا ينبغي أن تكون الملوك ، وكـذا يجـب أن يكون العلماء .[٨٦]

وعلى الرغم من إجماع المؤرخين على أن اليسـع ألـف كتابـه في مصـر ، إلا أنهم لايحددون ذلك بالسنة ، ولكن هناك إشارة من اليسع يفهم منها أنـه ألـف كتابه أو جزءً منه سنة ٥٦٧هـ فقد قال حينما تحدث عن محمـد بـن سعد ابـن مردنيش (. . . له في المملكة خمسة وعشرون عامـا إلى تاريخنـا هـذا) .[٨٧] وقـد تولى ابن مردنيش السلطة بعد وفاة ابن عياض سنة ٥٤٢هـ كما يذكر كل مـن ابن الأبار ،[٨٨] وابن خلدون[٨٩] وعلى ذلك يكون التاريخ الـذي أشـار إليـه اليسع هو سنة ٥٦٧هـ .)

مصير الكتاب :

بالرغم من أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفـه مـن كبـار علمـاء عصـره ، إلى جانب أنه ألف للسلطان صلاح الدين الأيوبي إلا أنه قد فقد ، حيـث لم يصلنـا منه إلا نقول ومقتطفات في ثنايا بعض المصادر التاريخية الـتي كتبـت بعده مثـل كتاب نظم الجمان لابن القطان (ت منتصف القرن السابع الهجـري) والذهـبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابيه سير أعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ ، ومؤلـف كتـاب الحلـل الموشية في ذكـر الأخبـار المراكشية (ت . ق ٨هــ) وابـن عـذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب (ت٧١٢هـ) وابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ)في كتابـه المغرب في حلـى المغـرب وابـن حجـر (ت ٨٥٠هـ) في لسـان الميزان ، والمقري (ت١٠٤١هـ) في كتابه نفح الطيب .

وقد تفاوتت إفادة هؤلاء المؤرخين من كتاب اليسع كما وكيفا ، ولكنها في مجموعها تمثل مادة علمية تاريخية جيدة في تاريخ المغرب والأندلس ، حيث سدت ثغرات علمية مهمة في تاريخ ذينك البلدين ، ومما زاد من قيمتها كون كاتبها من كبار علماء عصره إلى جانب أنه شاهد عيان لكثير مما كتب ، فضلا عن كون ناقليها من كبار العلماء والمؤرخين ، حيث نهلوا من معين ذلك الكتاب ، وهم بأشد الحاجة إلى ما يطفئ ظمأهم في هذا الميدان .

محتوى الكتاب :

ذكر ابن سعيد أن أول خطبة الكتاب (الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ، ووسع العصاة رحمة وحلما)[٩٠] ولما كان هذا الكتاب مفقودا بكامله . فإنه من الصعب التعرف على ما يحويه من مادة علمية على وجه التحديد والدقة ، ولكن باستقراء ما وصلنا منه من نقول ومقتطفات ، إلى جانب ما يوحي به عنوانه من دلالة علمية ، فإنه يمكن القول بأنه كتاب تاريخي موسوعي خاص بالمغرب والأندلس منذ دخول الإسلام إليهما وحتى عصر المؤلف ، وأنه يحتوي على الموضوعات التالية :

١- السير وتاريخ الرجال . ٢- تاريخ الدول .

٣- النظم والجوانب الحضارية . ٤- التعريف بالبلدان والمدن .

ومما يؤكد ذلك أننا نجد المؤرخين والكتاب الذين نقلوا منه جاء اعتمادهم عليه في كتاباتهم ذات الوحدة الموضوعية فالذهبي نجده اعتمد عليه كثيرا عند حديثه عن الرجال في كتابه السير ، وكذلك ابن حجر ، بينما نجد المقري أخذ منه في وصف الأندلس ، أما ابن القطان ، وصاحب الحلل الموشية فقد اعتمدا

عليه حين حديثهما عن دولتي المرابطين والموحدين ، وهكذا تنوعت المادة العلمية التي نقلت عن اليسع مما يدل على أن كتابه كان كتابا موسوعيا في حدود إطاريه الزمني والمكاني .

١- حديثه عن السير وتاريخ الرجال :

أما حديثه عن السير وتاريخ الرجال فيبدوا أنه كان أوسعها ، وأنه شغل حيزا كبيرا من الكتاب ، فقد تحدث عن عدد من الشخصيات العلمية والسياسية لاسيما بالأندلس ، وهذا ما جعل الذهبي يعتمد عليه كثيرا في كتابه سير أعلام النبلاء وممن تحدث عنهم : -

- الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٨٠- ٢٠٦هـ)[٩١]
- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ)[٩٢]
- الحكم بن عبدالرحمن بن محمد المستنصربالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ)[٩٣]
- أبو محمد علي بن حزم (ت٤٥٦هـ)[٩٤]
- ابن رذمير ،[٩٥] وهو القونسو الأول ملك أراجون المعروف بالمحارب[٩٦]
- شريح بن محمد بن شريح (٤٥١- ٥٣٥هـ)[٩٧]
- القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربي (٤٦٨- ٥٤٣هـ)[٩٨]
- أبو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي (٥٤٢- ٥٦٧هـ) .[٩٩]
- أبو محمد عبدالله بن عياض (ت٥٤٢هـ)[١٠٠]
- أبو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش (٥٤٢- ٥٦٧هـ)[١٠١]
- أبو الحسين بن جبير (ت٦١٤هـ)[١٠٢]
- أبو عبدالله محمد بن معمر والمعروف بابن اخت غانم (ت)[١٠٣]

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)[١٠٤]
- أبو عبدا لله محمد بن الفرج بن الطلاع (ت٤٩٧هـ)[١٠٥]
- أبو عبدا لله محمد بن عتاب (ت٥٢٠هـ)[١٠٦]
- أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر (ت٥٦٣هـ)[١٠٧]
- أبو عبدا لله محمد بن أصبغ بن المناصف (٥٣٦هـ)[١٠٨]

وقد تفاوتت كتابة اليسع عن هؤلاء وغيرهم ممن تحدث عنهم ، حيث جاء بعضها مختصرا. بينما فصل القول في أخرى ، ولكن ماذكره عن الجميع جاء مهما ، وذا دلالة تاريخية ، ومن الرجال الذين فصل القول فيهم أبو محمد عبدا لله ابن عياض فقد تحدث عن نشأته ، وشجاعته ، وجهاده للنصارى حيث عده فارس الإسلام في زمانه ، كما تحدث عن نهايته .[١٠٩]

وممن أطنب في ذكرهم أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر حيث ذكر أن له كتابا أسماه بالمتحصل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين وتسمية مذاهبهم وكتاب المقدمات في الفقه .[١١٠] كذلك أعطانا معلومات مفصلة عن الفقيه أبي عبدا لله محمد بن أصبع بن المناصف حيث ذكر أنه ولي قضاء قرطبة في مدة علي بن يوسف بن تاشفين كما قال في وصف إنفاقه :(وقد كنت أسمع بمن وهب الآلاف وألزم ماله الإتلاف ، فيداخلني ما يداخلُ المُخبَر من تصديق وتكذيب ، وتبعيد ، وتقريب ، حتى باشرته ينفق في كل يوم على أكثر من ثلاثمائة بيت يعيل ديارهم ، ويقيل عثارهم ، وكان يحرث له في ضياعة الموروثة بثمانمائةزوج في كل عام ، فلم يبق عند نفسه منها إلا ماياكل)[١١١]

كذلك فصل القول حينما تحدث عن محمد بن سعد بن مردنيش حيث ذكر فترة حكمه ، وشجاعته في ميادين الجهاد مع النصارى ،كما بين رأيه بوضوح في هذا الرجل حيث أخذ عليه جرأته وإقدامه على الرغم من صغر سنه.(١١٢)

وقد تبين لنا من خلال استعراض تاريخ هؤلاء الرجال أنهم جميعا من أهل المغرب أو الأندلس مما يؤكد لنا أن اليسع قد ضمن كتابه عددا كبيرا من تراجم رجالات تلك الديار ، كما لم يكن يقتصر في هذا على شريحة معينة من الناس ، مما يبين أن كتابه كان تاريخا عاما .

٢ـ حديثه عن تاريخ الدول :

يستوحى من النصوص التي وردت إلينا أن اليسع لم يكن يسترسل كثيرا حين حديثه عن الدول ، بل كان يميل إلى الاختصار ، و مع ذلك فقد كان حديثه مهما ودقيقا حيث سد فراغا كبيرا في تاريخ الدول التي تحدث عنها ومنها الدولة الأموية بالأندلس حيث أمدنا بمعلومات جيدة عن تاريخها السياسي والحربي ومن ذلك وصفه لجهاد الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٨٠ – ٢٠٦ هـ) لاسيما معركة سمورة والتي عدها من أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم .(١١٣)

كما تحدث عن واقع الدولة الأموية بالأندلس قبيل تولي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ) السلطة حيث قال :(استضعفت دولة بني أمية ، وقام ابن حفصون وكان نصراني الأصل وأسلم وتنصح وألب وحشد ، وصارت الأندلس شعلة تُضرم ، ولم يبق لبني أمية منبر يخطب فيه إلا منبر قرطبة ، والغارات تشن عليها حتى قام عبدالرحمن الناصر فتراجع الأمر) .(١١٤)

وفي موضع آخر بين أن تولي عبدالرحمن الناصر الأمر كان برأي أهل الحل والعقد الذين لم يجدوا من يصلح للأمر من شباب بني أمية سواه ، كما بين أنه حينما تولى السلطة كانت الدولة الأموية تعاني من ضعف في الجوانب المالية والعسكرية لكنه استطاع التغلب على كل تلك الإشكالات .[١١٥]

وفي عصر الطوائف نقل لنا الذهبي عنه صورة من صور تعامل ملوك الطوائف مع العلماء ، حيث ذكر اليسع عن أبيه أن المعتمد بن عباد (٤٦١ – ٤٨٤ هـ) حاكم أشبيلية كان مجتازا من قصره فرأى ابن الطلاع[١١٦] فنزل عن مركوبه وسأله الدعاء وتضرع ، وتذمم ، ونذر ، وتبرع فقال له ابن الطلاع : يامحمد ، انتبه من غفلتك وسنتك .[١١٧]

كذلك تحدث اليسع عن دولة عماد الدولة بن هود (٥٠٣ – ٥٢٤ هـ) ، وموقفه من النصارى ،وموقف المرابطين منه ، ثم بين كيف كانت نهاية تلك الدولة على يد ابنه المستنصر با لله (٥٢٤ – ٥٤٠ هـ) ، وذلك حينما قتل في أحدى المعارك مع النصارى ، كما تحدث عن الظروف السياسية التي نشأت فيها كل من دولة بني عياض في لاردة ،[١١٨] وبني مردنيش بإفراغة[١١٩]،وذلك على أنقاض دولة بني هود ، وفي ثنايا حديثه عن هذه الدول الثلاث ذكر وصفا دقيقا ومعلومات مهمة عن علاقاتها ببعضها وجهادها ضد النصارى ، ومما زاد من أهمية هذه المادة كون اليسع ممن شارك في صنع أحداثها ، حيث كان ملازما لابن عياض وابن مردنيش إبان وقوعها ، وهذا بلا شك مما مكنه من أن يروي عنها العديد من المواقف الجهادية آنذاك .[١٢٠]

أما ما وصلنا من كتابات اليسع عن دولتي المرابطين ، والموحدين فقد كان

أكثر تفصيلا ، ولعل معايشته لسقوط الأولى ونشأة الثانية ، إلى جانب رحيله للمغرب مكنه من الاطلاع على كثير من الأحداث ، ومن ثم تدوينها ، حيث أمدنا بمعلومات جيدة عن معركة الزلاقة[١٢١] وعن أحداث سقوط دولة المرابطين لاسيما معركة البحيرة التي وقعت بين المرابطين والموحدين سنة ٥٢٤هـ والتي انهزم فيها الموحدون أمام جيوش المرابطين[١٢٢] كما ترك لنا وصفا دقيقا لدخول الموحدين مدينتي تلمسان ، وفاس ، بعد انتزاعهما من المرابطين .[١٢٣]

كذلك جاء حديث اليسع مفصلا عن سقوط مراكش بيد الموحدين ، حيث أعطانا تفصيلات مهمة عن هذا الحدث وملابساته لاسيما موقف الموحدين من أهل تلك المدينة المنكوبة ،[١٢٤] كما بين لنا حروب عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ) زعيم الموحدين مع سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ،[١٢٥] وفي نهاية حديثه عن تلك الحروب التي وقعت بين الموحدين والمرابطين بين الأسباب التي أدت إلى انتصار الموحدين على خصومهم المرابطين .[١٢٦] وبالإضافة إلى ذلك فقد نقل لنا عن اليسع معلومات مهمة عن تأسيس دولة الموحدين في أيام ابن تومرت لاسيما استيطانه في تينملل ، وتجمع الموحدين حوله ، وبداية بناء الدولة ،[١٢٧] وبعض الأساليب التي نهجها في هذا الميدان ، ومنها تلميع بعض الشخصيات القيادية في نظره مثل أبي محمد عبدالله البشير .[١٢٨] [١٢٩] كذلك ذكره لطبقة السبعين من طبقات الموحدين التي صنفها ابن تومرت حين وضعه لأسس دولته[١٣٠] هذا فضلاعن حديثه عن مسؤليات واختصاصات كل طبقة من هذه الطبقات .[١٣١]

ومن القضايا المهمة التي تحدث عنها اليسع في دولة الموحدين ، مبايعتهم لابن تومرت حيث بين الظروف التي تمت فيها تلك البيعة ، وأن ابن تومرت مهد لذلك بإعداد قاعدة بشرية في تينملل ، ثم دعا أصحابه إلى اجتماع ، حيث قام فيهم خطيبا ، كما ذكر نص خطبته ، ثم أنه لما فرغ من خطبته بادر إليه عشرة من أصحابه فبايعوه .(١٣٢)

كانت هذه أهم الدول التي تحدث عن تاريخها اليسع ، وقد بدا لنا من خلال هذا العرض أن معظم الدول التي تحدث عنها كان معاصرا لها ومطلعا على أخبارها عن قرب ، وهذا بلا شك مما زاد من القيمة العلمية لكتاباته عن تلك الدول .

٣- النظم والجوانب الحضارية .

يعد ما كتبه اليسع في هذا الجانب على الرغم من قلته ، مادة علمية هامة ، وذلك لندرتها ، وانفراده بها في الغالب عمن سواه من المؤرخين فمن القضايا التي تحدث عنها ما ذكره عن محمد بن سعد بن مردنيش صاحب مرسيه وبلنسية من أنه قد اهتم بجمع الصُنّاع لآلات الحروب والبناء والترخيم ، واشتغاله ببناء القصور العجيبة والبساتين العظيمة .(١٣٣) كذلك تحدث عن مرتبات جند المرابطين بالأندلس فذكر أنهم لم يزيدوا فارسا على خمسة دنانير في الشهر ، مع نفقته وعلف فرسه ، لكن من يظهر من الجند نجدة وشهامة وشجاعة ، فإنهم يكرمونه بولاية موضع ينتفع بفوائده . كما ذكر أن المرابطين تركوا حكم الثغور المواجهة لبلاد العدو للأندلسيين لكونهم أخبر بأحوالهم ، وأدرى بلقاء العدو وشن الغارات ولم يمكنوا من ولايتها أحدا سواهم مع

الإحسان إليهم ، كما كانوا متى ماوصلتهم خيل من المغرب بعثوا بها إلى أهل الثغور[١٣٤]، كذلك أمدنا بمعلومات مفصلة عن تعبئة المسلمين لجيوشهم قبل لقاء النصارى بالأندلس ، حيث كانوا يجعلون جند الأندلس تحت راية واحدة خاصة بجند الأندلس بينما يبقى بنو هلال وسليم تحت راية أخرى في حين ينضوي أهل المغرب تحت راية خاصة بهم ، كما ذكر أنهم كانوا يستخدمون الطبول لتضليل العدو ، والكمائن لمباغتته .[١٣٥] كذلك يبين أن النصارى كانوا أثناء حصارهم للمدن الإسلامية يستخدمون الأبراج الخشبية من أجل تضييق الخناق على المدن المحصورة .[١٣٦]

وبالإضافة إلى ذلك فقد أعطانا وصفا دقيقا لجند الموحدين أثناء التعبئة للقتال وهو ما يسمى بالنهج التربيعي ، وقد روى ذلك عن غير واحد من جند الموحدين الذين شاركوا في القتال حيث قال راويا عنهم وصف إحدى المعارك مع المرابطين (. . فلما نزلنا من جبل تلمسان ـ يعني الموحدين ـ تبعنا المرابطون فتلاقينا معهم . . . فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال والطوارق المانعة ، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من ورائهم ووراءهم المخالي فيها الحجارة ، ووراءهم الرماة بقوس الرجل ، وفي وسط المربعة الخيل ، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت إليهم لاتجد إلا الرماح الطوال الشارعة والحروب ، والحجارة والسهام الناشرة . . .)[١٣٧]

كما أعطانا وصفا جيدا لحصار الموحدين لمدينة فاس سنة ٥٤٠هـ ، حيث ذكر أن الموحدين حاولوا الإفادة من الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تشديد الوطأة على المدينة المحاصرة إذ عمد الجيش الموحدي إلى حبس مياه النهر الذي

يشق مدينة فاس بواسطة سده بالحطب والخشب بعد وضع التراب عليه فلما احتبس الماء وصار بحيرة تجري فيه السفن ، عمد إلى هدم السد دفعة واحدة فاندفع الماء بقوة نحو المدينة حيث هدم السور . . وهذا مما أضعف مقاومة المرابطين .[(١٣٨)]

وبالإضافة إلى ذلك فقد بين لنا اليسع هيئة الجيش الموحدي حين تحركه إلى ميدان القتال ، وأن الموحدين كانوا أحيانا يحيطون تحركاتهم العسكرية بسرية تامة حرصا منهم على مباغتة العدو .[(١٣٩)] كذلك ذكر أنه في بداية عهد عبدالمؤمن بن علي كان بقرطبة وحدها أربعمائة ألف مقاتل كلهم ممن يحضرالمساجد[(١٤٠)] وبهذا العرض لأهم القضايا في الجوانب الحضارية التي تحدث عنها اليسع تبدو لنا أهميتها لاسيما وأن كثيرا منها قد انفرد بذكرها عمن سواه من المؤرخين المعاصرين لها، حيث أن ما ذكروه عنها كان في الأصل مأخوذا من كتابات اليسع .

٤- البلدان :

على الرغم من قلة المادة العلمية التي وصلتنا عن اليسع في هذا الجانب ، حيث لم يصلنا سوى نتف صغيرة ومتفرقة إلا أنه يستوحى من قراءتها إلمامه في هذا النوع من المعارف إلى جانب دقته في وصف وتصوير ما يتحدث عنه من بلدان أو مدن فحينما تحدث عن الأندلس ذكر أن طولها يمتد من أربونة إلى أشبونة ،[(١٤١)] وأن قطعها يتطلب ستين يوما للفارس المجد ،[(١٤٢)] كما ذكر أنه لايتزود فيها أحد بالماء حيث سلك وذلك لكثرة أنهارها وعيونها ، وأن المسافر ربما لقي فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن القرى مالا يحصى وهي بطاح خضر ، وقصور بيض .[(١٤٣)]

وفي وصف مدينة شنترة [١٤٤] ذكر أن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوما من زرعهما وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر ، كما ذكر أن أبا عبدا لله الباكوري وهو ثقة قال له : إنه شاهد عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة أهدى إليه أربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها . دور كل واحدة خمسة أشبار ، وقد ذكر الرجل أن المعتاد في شنترة أقل من هذا الحجم لكن إذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرة أو أقل ، وجعلوا تحتها دعامات من الخشب[١٤٥] ، كما ذكر أن مدينة البساط[١٤٦] مشهورة بالتفاح وأن الدابة لاتحمل أكثر من ثلاث حبات[١٤٧] ، أما الشن[١٤٨] فقد قال عنها ليس في الأندلس ثمر طيب إلا فيها .[١٤٩]

أما مدينة تينملل والتي اتخذها ابن تومرت قاعدة له ، ثم منطلقا لعملياته العسكرية ضد المرابطين في بداية أمره فقد قال في وصفها : (لاأعلم مكانا أحصن من تينملل[١٥٠] لأنها بين جبلين ، ولايصل إليها إلا الفارس ، وربما نزل عن فرسه في أماكن صعبة ، وفي مواضع يعبر على خشبة ، فإذا أزيلت الخشبة انقطع الدرب . .)[١٥١]

كذلك حدثنا اليسع عن بستان عبدالمؤمن بن علي الذي غرسه خارج مراكش ، حيث ذكر أنه حينما كان بمراكش سنة ٥٤٣هـ كان مبيعه من الزيتون والفواكه يبلغ ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفواكه بها .[١٥٢]

كانت هذه أهم وقفات اليسع التي وصلتنا حول البلدان والمدن ، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها توحي باهتمامه بهذا الفن من العلوم إلى جانب كونها

ويبدو هذا واضحا فيما وصلنا من نقول ، إلى جانب أنه قد أشار إلى ذلك في مثل قوله حينما تحدث عن نهاية ابن حمدين قال (. . . ثم تعاورته المحن في قصص يطول شرحها . .)

أسلوب الكتاب :

لعل من المناسب أن نشير قبل الحديث عن مصادر الكتاب إلى الأسلوب الذي كتبت فيه تلك المادة العلمية ، وكيف كان عرض مؤلفها لها ، ومدى إجادته في ذلك .

ذكر ابن الزبير أنه وقف على ورقات من كتاب اليسع فقال عنه :(إنه من أنبه التواريخ أجاد فيه كل الإجادة)(١٥٣) اما ابن سعيد فقال بعد أن ذكر الكتاب ، وأن مؤلفه قد طرزه بالدولة الصلاحية الناصرية : (ونثره كز ثقيل ، ونظمه مغسول ، ليس به طلاوة ، وكأنه أراد معارضة كتاب القلائد ، فنهق أثر صاهل . ولم يأت في جميع ماأراد بطائل(١٥٤)

هكذا تباينت وجهتا نظر هذين الكاتبين إزاء الكتاب وأسلوبه وكل واحد منهما قد اطلع عليه ، كما أن ابن سعيد اقتبس منه بعض النصوص ، ويبدو أن ما ذكره ابن سعيد عن أسلوب الكتاب فيه مبالغة في الانتقاص من قدره . حيث أن ماوصل إلينا منه بواسطة ابن سعيد ، وغيره من الكتاب والمؤرخين الذين نقلوا منه قوي العبارة ، سهل الأسلوب ، خال من التكلف أو السجع الممل ، وهو بحق أفضل من أسلوب كثير من معاصريه كابن القطان أو ابن صاحب الصلاة ، أو البيذق وغيرهم .ولعل مما يؤيد هذا القول أن الذهبي لقبه بالأديب(١٥٥)، ولاشك أن هذا اللقب لم يطلق من فراغ ، بل حظي به اليسع

تدل على أن كتاب اليسع قد حوى الكثير من المعلومات في هذا الجانب ،كان هذا عرضا لأهم محتويات الكتاب ، وقد تبين لنا خلاله ما يلي :

١- تنوع محتويات الكتاب حيث شملت تاريخ الرجال ، والدول ، والمدن والبلدان ، فضلا عن النظم والجوانب الحضارية ، وهذا مما يؤكد أن الكتاب الذي حواها مع غيرها لم يكن كتابا تاريخيا فحسب ، بل إنه كان إضافة إلى ذلك ، يحتوي على مادة علمية جيدة في النظم والجوانب الحضارية ، إضافة إلى المدن والبلدان ، ولهذا يبدو لنا أن الكتاب لم يكن تاريخيا ، فحسب بل كان موسوعيا في التاريخ والنظم والجغرافية وخاصة بالمغرب والأندلس .

٢- الدقة في الرصد ، والكتابة ، ولعل كون المؤلف شاهد عيان لكثير مما كتب ، إلى جانب دقته وقوة ملاحظته ، وحسن اختياره لمصادره من الأمور القوية التي ساعدته على ذلك ، ولهذا جاءت كتاباتنا دقيقة لأنها متكئة على مصادر موثوقة فضلا عن كون كاتبها معاصرا لكثير مما كتب .

٣- أن المادة العلمية التي وصلتنا على الرغم من قلة كمها إلا أنها ذات أهمية علمية فقد سدت فجوات مهمة في تاريخ المغرب والأندلس لاسيما ما يتعلق منها بالحضارة والنظم إذ أن ماذكره في هذا الميدان يكاد يكون قد انفرد به حتى عمن عايش تلك الأحداث من المؤرخين .

٤- أنه من خلال استقرائنا لما وصلنا من كتاب اليسع لانستبعد أن يكون قد ألفه على المنهج الحولي - أي أن أخباره مرتبة حسب السنين - ويستوحى هذا من عباراته ، فضلا عن كون هذا المنهج هو المتبع عند سائر المؤرخين المعاصرين للمؤلف .

٥- كذلك استبان لنا أن المؤلف يميل إلى الاختصار مع الدقة في كتاباته ،

لأنه كان يملك مقوماته ، ومن أهمها قوة البيان .

أما وقت تأليف الكتاب فقد ذكر المؤرخون أنه ألفه في مصر بعد استقراره بها . وذلك بناء على رغبة السلطان صلاح الدين الأيوبي[١٥٦] ، وعلى هذا يكون تأليف الكتاب جاء بعد سنة ٥٦٠هـ[١٥٧] ، لكن من يقرأ ماوصل إلينا من الكتاب يتبين أن الكتاب يزخر بمعلومات دقيقة عايشها المؤلف بنفسه منذ العقد الثالث من القرن الخامس الهجري أي قبل تأليف الكتاب بحوالي أربعين عاما ، ومن الصعب أن يكون المؤلف قد احتفظ بكل تلك المعلومات بذاكرته ، وعلى هذا فإني لاأستبعد أن يكون المؤلف قد كتب في كل مناسبة وحادثة طرفا منه في كراسة خاصة ، ثم لما طلب منه السلطان الأيوبي تأليف الكتاب . جمع تلك الكتابات وبيضها في كتاب واحد بعد أن أضاف إليها مايراه مناسبا .

مصادر الكتاب :

يدرك من يقرأ ما وصلنا من كتاب اليسع أن مؤلفه قد اعتمد في جمع مادته العلمية على مصادر متنوعة شأنه في ذلك شأن غيره من المؤلفين لأمثال كتابه ، ويمكن من خلال استقراء مابين أيدينا من مادة علمية أن نستبين ، أن اليسع قد اتكأ غالبا ، على عدد من أنواع المصادر كان من أهمها :

١- المشاهدة والمعاينة .

٢- الرواية مشافهة عمن عاصره .

٣- الرواية عمن سبقه من المؤلفين .

كما استبان لنا أيضا أن اليسع كان في تعامله مع هذه المصادر أثناء جمعه ،وتدوينه للمادة العلمية قد تأثر بالنزعة الحديثية لديه والتي كانت إحدى

مقومات شخصيته العلمية ، ولهذا نجده أثناء ذكره لكثير من الأحداث والقضايا يقول حدثني فلان[١٥٨]، أو سمعت فلانا[١٥٩]، أو حدثني غير واحد[١٦٠]، أو حدثني جماعة[١٦١]، أو من أثق به[١٦٢]، أو مما صح عندي[١٦٣]، أو والذي تحققته[١٦٤]، أو وكل ما ذكرته فقد شاهدته أو أخذته متواترا[١٦٥]، أو قرأت بخط فلان[١٦٦]، وغيرها ، وكان أحيانا يذكر تفصيل الروايات في القضية الواحدة . ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما حدث عن الخيمة التي أعطاها المستنصر بن هود للسليطين ملك النصارى قال : وذكر لي جماعة أنه دفع إلى السليطين خيمة كان يحملها أربعون بغلا ثم قال : وذكر لي محمد بن مالك الشاعر أنه أبصر تلك الخيمة قال فما سمع بأكبر منها قط .[١٦٧]

ولاشك أن هذا المنهج في التعامل مع المصادر ، والذي كان سمة واضحة في كتابات اليسع ، قد أكسب كتاباته دقة في التوثيق ، وهذا مما زاد من أهميتها وقيمتها العلمية

أما المشاهدة والمعاينة فقد كانت في الرجال والأحداث التي كان معايشا لها ، أو مشاركا في صنعها ، وقد أكد اليسع أنها من أهم مصادره -كما بينا - ويبدو هذا واضحا حين حديثه عن الصراع الذي وقع بين ابن هود والنصارى ، وكذلك الخلافات التي وقعت بين المستنصر بالله وابن هود ، وابن عياض حيث ذكر أنه كتب عهدا بينهما ، وقد أورد بعض مفردات ذلك الاتفاق[١٦٨].

كذلك حينما تحدث عن معركة شاطبة ذكر مشاهداته ومشاركاته فيها ، حيث بين أنه لما أغار النصارى عليها بعثه ابن عياض إلى المستنصر بالله بن هود

ليخبره بأن ابن عياض عازم على الخروج إلى النصارى ، وأنه لاداعي لخروجه هو إليهم ، يقول اليسع فلما جئته بهذه الرسالة قال لي :(إنما تريد أن تفسد مابيني وبين الروم ، من وكيد الذمة ، وإذا أنا خرجت ، واجتمعت بملوكهم ردوا ما أخذوه فأعلمت ابن عياض فقال لي : يحسب أن الروم تفيء له سيتبع رأيي حين لاينفعه ، فتضرعت إلى المستنصر فأبى فخرجنا جميعا نؤم العدو حتى وصلنا فأمراني بكتابين عنهما إلى الملكين مونق وفرانده ، وكتاب عن ابن عيّاض إلى صهره أبي محمد - يعني عبدالله بن مردنيش - ليصل بعسكر بلنسية . . .)[١٦٩] إلى أن قال : (فالتقينا نحن والروم ، فكمنوا لنا ألفي فارس وظهر لنا أربعة آلاف ، ونحن نحو الألفين ، ووقع الحرب . . .)[١٧٠] وهكذا استرسل اليسع في ذكر ما عايشه وشاهده من أحداث تلك المعركة وهي معلومات مهمة انفرد بذكر كثير من تفصيلاتها عن غيره من المؤرخين المعاصرين لها إذ أنه شاهد عيان لما ذكر ، ومن مشاهداته وصفه لابن عياض وشجاعته في الحروب حيث ذكر أنه حضر (معه أيام مملكته حروبا ، كان حجرا لايؤثر فيه ، وكان في هيئته كأنه برج غريب الخلقة)[١٧١]

وكان اليسع يقول رأيه بالرجال استنادا على معايشته لهم ، ومشاهداته لتصرفاتهم ، وقد بدا هذا واضحا حين حديثه عن محمد بن سعد بن مردنيش حيث قال :(نازلت الروم المرية عند علمهم بموت ابن عياض ، ولكون ابن مردنيش شابا ، ولكن عنده من الإقدام مالا يوجد في أحد حتى أضر به في مواضع شاهدناها معه ، والرأي قبل الشجاعة . وإلا فهو في القوة.والشجاعة في محل لايتمكن منه أحد في عصره . .)[١٧٢] كما قال في وصف أبي القاسم هلال - أحد جند العرب في الأندلس - (. . غزى معنا فكان إذا حضر في

الصف جبلا راسيا يمنع تهائم الجيوش أن تميد ،وقلبا في البسالة قاسيا يقول في مقارعة الأبطال : هل من مزيد ، أبصرته - رحمه الله - أمة وحده يتحاماه الفوارس . .)[١٧٣] أما أبو عبدا لله محمد بن غلبون أحد الثوار بالأندلس في عهد المرابطين - فقال في وصفه رأيته رجلا طوالا جدا .[١٧٤]

كذلك أفاد من مشاهداته في وصف المدن والأماكن التي تحدث عنها ولعل وصفه الدقيق لتينملل أوضح مثال على ذلك[١٧٥] ومن الأمثلة على ذلك أيضا حديثه عن بستان عبدالمؤمن بن علي الذي غرسه خارج مدينة مراكش .[١٧٦]

وكان اليسع يعتبر هذا المصدر من أقوى وآكد المصادر لديه ومن الأدلة على ذلك أنه كان يسمع عن أبي عبدا لله محمد بن أصبغ أنه يهب الآلاف فيداخله ما يداخل المخبر من التصديق والتكذيب حتى باشر ذلك بنفسه ورآه يقوم بما ذكر عنه من الإنفاق فحينئذ زال الشك من نفسه كما يقول .[١٧٧]

كانت هذه نماذج لتعامل اليسع مع المادة العلمية من خلال مشاهداته ومعايشته لبعض الأحداث والقضايا ، ولاشك أنها تعد من أهم إن لم يكن أقوى مصادر جمع المادة العلمية ، ومما زاد من أهميتها في كتابات اليسع ماكان يتمتع به من دقة في الوصف والتصوير ، وقدرة على الكتابة والتعبير ، إلى جانب تمكنه من الاستيعاب ومن الأمثلة على ذلك وصفه لقدرة شريح ابن محمد على الخطابة حيث قال (كان إذا صعد المنبر حن إليه جذع الخطابة ، وسمع له أنين الاستطابة)[١٧٨]

أما المصدر الثاني من مصادر كتابات اليسع فهو الرواية مشافهة عمن عايشه أو قابله أو عاصره وهذا المصدر جاء مهما في كتابات اليسع لأمرين أولهما : أن كثيرا من القضايا التي تحدث عنها كان معاصرا لأحداثها ، كما

كان مقربا ومقدرا عند كثير ممن شارك فيها وهذا مما أكسبه الحصول على كثير من المعلومات المهمة من صناعها مباشرة . أما الأمر الثاني فهو كونه يتعامل مع الرواة بحساسية وحذر حيث لايكتفي أحيانا برواية الآحاد ، كما أنه كان حينما لايذكر اسم الراوي يبين أنه ثقة أو أنهم جماعة ، أو أنه غير متهم ولعل إلمامه بمنهج المحدثين أهله لهذا الأمر حيث عرف ممن يأخذ أو يدع ، وهذا بلاشك مما جعل القاريء لايتردد في قبول ما يذكره اليسع وفق هذا المنهج .

أما أشهر الرواة الذين أخذ منهم هنا فيأتي في مقدمتهم الملك المجاهد ابن عياض ، ومما لاشك فيه أن ملازمة اليسع له حينما عمل كاتبا عنده مكنه من أن يسمع منه كثيرا من الأخبار لاسيما ما يتعلق بوقائع الجهاد التي شهدها ابن عياض ضد النصارى ، وكان يستهل روايته بقوله : حدثني الملك المجاهد ابن عياض ،[١٧٩] أو قوله : حدثني الأمير الملك المجاهد في سبيل الله أبو محمد عبدالله بن عياض .[١٨٠] كما روى أيضا عن المستنصر بالله بن هود ويبدو أن هذا الرجل أقل مكانة عند اليسع من سابقه فهو لايسبق اسمه بشيء من الأوصاف بل يقول حدثني المستنصر أو قال لي .[١٨١] كذلك روى عن عبدالمؤمن بن علي حيث قال سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول : ثم ذكر قصة مبايعة الموحدين لابن تومرت[١٨٢]. كما روى عن أبيه عيسى بن حزم ،[١٨٣] وعن بعض زعماء العرب وقادة الجيوش بالأندلس كأبي القاسم هلال ،[١٨٤] ومسعود بن عز الناس ،[١٨٥] ومحمد بن مالك الشاعر[١٨٦] وغيرهم . وكان أحيانا لايذكر اسم الراوي بل يكتفي بأن يبين للقاريء بأنه أخذها عن غيره كأن يقول ذكر لي جماعة[١٨٧] أو مما صح عندي[١٨٨] ، أو والذي تحققته ،[١٨٩] أو حدثني من أثق به ،[١٩٠] أو ومن عجيب ماصح عندي .[١٩١] وغير ذلك من

العبارات التي توحي بأن المعلومات التي سيذكرها قد أخذها من مصدر موثوق عنده ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان حينما يذكر بعض الروايات التي قد تثير بلبلة عند القاريء يسبق ذلك بقوله : وكل ما أذكره فقد شاهدته أو أخذته متواترا ، وقد عمل بهذا حينما ذكر بعض تصرفات ابن تومرت ضد المرابطين مثل وصيته لقومه بأن عليهم إذا ظفروا بمرابطي أو تلمساني أن يحرقوه .(١٩٢) أو قد يقول حدثني غير واحد من الموحدين ثم يذكر أخبارا خاصة بهم .(١٩٣) وهكذا نرى كيف تعددت وسائل اليسع في إثبات وتوثيق الرواية الشفهية ، ولاشك أن إلمامه بآلة علم الرجال ، إلى جانب النزعة الحديثية لديه كانتا من العوامل المساعدة له في ذلك .

أما النوع الثالث من مصادر اليسع وهو النقل ممن سبقه من المؤلفين فقد كان عمله به أقل من سابقيه ، ولعل معاصرة اليسع لكثير مما كتب جعله لايحتاج إلى هذا النوع من المصادر كثيرا ، بل يعتمد على مشاهدته أو سماعه ، ولم نجد فيما وصلنا من كتابات اليسع من هذا النوع لكن هذا لايعني أن اليسع لم يعتمد على هذا النوع من المصادر بل أننا نجزم بأن اليسع قد نقل ممن سبقه وذلك لأن كتابه حوى مادة علمية جيدة عن الدولة الأموية بالأندلس ، وهو لم يكن معاصرا لها وبالتالي لابد أن يكون قد استقى أخبارها ممن سبقه من المؤرخين إلا أنه أغفل ذكرهم ويتأكد هذا الأمر إذا تذكرنا ما يلي :

أولا: أن اليسع كان يتعامل مع تاريخ الدولة الأموية بحساسية أقل من التاريخ المعاصر له .

ثانيا : أنه لم يكن دائما ملتزما بالمنهج الذي ذكرناه ، بل كان أحيانا لايذكر المصدر حتى في القضايا المعاصرة له .

وفي نهاية هذا البحث لابد من الإشارة إلى أن اليسع ربما اعتمد أحيانا على روايات المجاهيل الذين يبدو الضعف على ما يذكرونه واضحا، أو ربما أحال على مصادر غير معلومة ، ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره حين حديثه عن سقوط دولة المرابطين حيث قال بعد ذكره لمقتل الأميرإبراهيم بن تاشفين آخر زعماء المرابطين سنة ٥٤١هـ : وبموته انقرض ملك أهل اللثام والملك لله الواحد القهار . ويذكر أن الأستاذ أبا عبدا لله بن وردى رأى في النوم قبل انقراض المرابطين بيسير قائلا يقول[١٩٤].

ألا أيها المغرور ويحك لاتنم	فلله في ذا الخلق أمر قد انبرم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم	فقد أحدثوا جرما على حاكم الأمم

ومن أمثلة إحالته على مصادر غير معلومة قوله حينما تحدث عن المستنصر با لله أحمد بن عبدالملك بن هود : (وكنا نجد في الآثار عن السلف فساد الأندلس على يد بني هود ، وصلاحها بعد على أيديهم)[١٩٥] وما ذكره اليسع هنا عن بني هود غير صحيح ، حيث لم يرد عن السلف ما يعضد قوله ، كما يكن لها تأثير يذكر في الفساد والصلاح .

وعلى أية حال إن هذه الهفوات العلمية اليسيرة التي وقع فيها اليسع لاتقلل أبدا من القيمة العلمية لكتاباته التاريخية ، والتي سدت فراغا مهما في المكتبة الأندلسية والمغربية لاسيما في عصري المرابطين ثـ ـ الم حدين ، لاسيما وأن مؤلفها قد اتكأ حين تدوينها على مصادر مهمة وجيدة ، مما أكسبها ثقة القاريء ، فضلا عن الدقة والجدة فيما دونه من معلومات .

الحسن التاريخي وربط الأحداث :

إن ما يتمتع به اليسع من مزايا علمية ، ومواهب فكرية ، إلى جانب قدرته على الحفظ والاستيعاب ، ومعايشته لكثير من الأحداث والقضايا التي كتب عنها ، جعلته يملك كثيرا من المقومات التي نمّت حسه التاريخي ، وأعطته قدرة على ربط الأحداث ببعضها ، وحينما نستعرض ما وصلنا من تراثه التاريخي نجده لايكتفي بالسرد التاريخي للقضايا والأحداث ، بل كان يناقش ويحلل بعض القضايا فحينما تحدث عن معركة سمورة في عهد حكم المستنصر (١٨٠-٢٠٦هـ) والتي انتصر فيها المسلمون على النصارى ، في بادئ الأمر لكن انشغالهم بالغنائم مكن النصارى وهم خارجون من المدينة أن يقتلوا منهم خلقا فقال اليسع عن هذا :(. . .فكانت غزوته من أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم . . .)[١٩٦] كذلك حينما تحدث عن ثورة عمر بن حفصون [١٩٧]بالأندلس في عهد عبدا لله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ) حلل أسباب تلك الثورة ، كما بين الظروف التي نشأت فيها [١٩٨] وحينما تحدث عن مصالحة المستنصر با لله بن هود للسليطين الملك النصراني حيث قدم له تنازلات كبيرة بيّن اليسع أن هذا التصرف خطأ إذ جعل ا لله تدميره في تدبيره هذا[١٩٩].ولكنه مالبث أن علل تصرفات بن هود بقوله : (. . .وقد ندم على فعله من شيطنة الشبيبة ، وطلب ملك آبائه)[٢٠٠] ولما تحدث عن دولة بني هود ذكر أن المستنصر لايملك شيئا من مقومات الحاكم سوى أصالته في الملك ، ولهذا فهو محبب إلى الناس بالصيت[٢٠١]ولما ذكر الخلافات التي نشأت بالأندلس بين ابن هود وابن حمدين ، والمرابطين قال : (وكثر الهيج ، واشتد البلاء بالأندلس ، وغلت مراجل الفتنة) .[٢٠٢]

وفي ثنايا حديثه عن ضعف دولة المرابطين ، أمام القوى الموحدية ببلاد المغرب أدرك بحسه التاريخي عوامل ذلك الضعف ، وأنها بدأت من العدوة الأندلسية الجناح الآخر لدولة المرابطين فقال في هذا :(وكان من أعظم ما تأيد به عبدالمؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليهم ، لكونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها ، والفساد الأكبر على المرابطين ، نسخ الأمر بأمر غيره ، فكانوا يكتبون اليوم شيئا ، وغدا ينسخونه بغيره ، فيسخر منهم جنودهم ورعاياهم)[٢٠٣] . وبالمقابل فإنه لما تحدث عن نشأة دولة الموحدين بين أن من أقوى أسباب نجاح تلك الدولة إبان مرحلة تأسيسها اهتمام ابن تومرت بالقاعدة الشعبية ، وهم من يسميهم ابن خلدون[٢٠٤] بالعصبية ، حيث كون قاعدة مهمة تسمع من أفرادها بقية عوامهم ، وتطيع دون تردد .[٢٠٥]

وهكذا تبين لنا أن اليسع يملك حسا تاريخيا جيدا ، إلى جانب القدرة على ربط الأسباب بمسبباتها ، والحوادث ببعضها ، وذلك بأسلوب جيد ، وعبارة جزلة مختصرة ، ولم يكن الحس عنده خاصا بالدول ، بل تجاوزها إلى الأفراد ، وقد بدا هذا واضحا حين حديثه عن الرجال ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما تحدث عن أبي محمد بن عياض في حروبه مع النصارى تنبه إلى أمرمهم وهو أنه حينما أقام بتلك الأعمال كان شابا حدثا ،[٢٠٦] وبالمقابل فقد حاول أن يبين بعض الملابسات التي دفعت المستنصر با لله بن هود إلى تقديم تنازلات كبيرة للملك النصراني حيث قال :(وقد ندم على فعله من شيطنة الشبيبة وطلب ملك آبائه)[٢٠٧]

وهكذا نرى كيف ربط اليسع بين تصرفات الأفراد وأعمارهم ، ليؤكد بهذا أن رصيد التجربة مهمٌ في القيادة والإدارة . وهذا العمل من الأدلة القوية على حسه القوي ، ونباهته في ربط الأحداث بمسبباتها . وبالإضافة إلى ذلك فإن حسه المرهف قد جعله يربط بين تصرفات الأشخاص وطباعهم ، ليخلص إلى القول بأن طباع الرجل تؤثر سلبا أو إيجابا على أعماله وتصرفاته ومن ذلك ماذكره حين حديثه عن محمد بن سعد بن مردنيش وجهاده ضد النصارى حيث قال :(. . ولكن عنده من الإقدام مالا يوجد في أحد ، حتى أضر به في مواضع شاهدناها معه ، والرأي قبل الشجاعة ، وإلا فهو في القوة والشجاعة في محل لايتمكن منه أحد في عصره . .)[٢٠٨] كما أثرت نزعته الدينية على حسه التاريخي وهذا ما جعله يضع الالتزام بالأخلاق الإسلامية من أهم معايير تقويم الرجال لديه ولهذا قال عن ابن سيده[٢٠٩]:(كان شعوبيا يفضل العجم على العرب)[٢١٠] ومن هذا المنطلق جاء حديثه عن أبي القاسم هلال ـ أحد وجوه العرب المجاهدين بالأندلس – فقد وصف شجاعته بقوله :(إذا حضر في الصف جبلا راسيا يمنع تهائم الجيوش أنْ تميد ، وقلبا في البسالة قاسيا يقول في مقارعة الأبطال :هل من مزيد ؟ أبصرته – رحمه الله – أمة واحدة يتحاماه الفوارس)[٢١١]كما سمى رسالة الفقيه أبي القاسم[٢١٢]بن خياط والتي كتبها على لسان الأذفونش إلى المعتمد بن عباد بالإرهاب ،[٢١٣] وذلك لما تحمله في تلك الرسالة من تحد واضح وتهديد سافر للإسلام وأهله.

الحياد والموضوعية عند اليسع :

إن الحياد والموضوعية والبعد عن التأثر بالعواطف أو المصالح وغيرها من النزعات مطلب مهم عند أي مؤرخ ، بل إن هذا الأمر يعد من السمات المهمة

، التي يجب على مؤرخ كاليسع أن يتحلى بها ، ويكتب التاريخ من خلالها متجردا من أي تأثير أو تأثر وبقراءة ما وصل إلينا من كتابات هذا الرجل تستوحي أن تلك الكتابات جاءت متسمة بالحياد والموضوعية في الرصد أو النقل في معظمها إلا أنها لم تخل أحيانا من بعض الهفوات والمزالق التي جنحت به بعض الشيء عن هذا الطريق ومن أهمها :

تعاطفه الواضح مع دولة الموحدين ويبدو هذا الأمر واضحا من خلال استقراء ماكتبه عن تاريخ هذه الدولة فهو حين حديثه عن مؤسسها ابن تومرت يقول : (لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الإمام المهدي[٢١٤] رضي الله عنه إلى الناس) إن إطلاق كلمة المهدي من اليسع على ابن تومرت لاشك أنه اعتراف منه بادعاء ابن تومرت بأنه المهدي الذي أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بظهوره ، وهذا الادعاء غير صحيح ، ومتعارض مع الأحاديث الواردة في ذلك . ولاشك أن هذا الأمر غير خاف على اليسع الذي قرأ صحيحي البخاري ومسلم ، كما كان فقيها ،ومشاورا ،حافظا ، ملما بفنون العلم[٢١٥] ؛ وهكذا تأثر بعاطفته إزاء الموحدين فكتم الحق ، وجارى الموحدين في هذا الادعاء الذي يعد مأخذا شرعيا على كل من قال به . وحينما تحدث عن عمليات التمييز التي يقوم بها ابن تومرت لتصفية أصحابه قال : (والذي صح عندي أنهم قتل منهم - يعني الموحدين - سبعون ألف على هذه الصفة)[٢١٦] وقد فصل القول في هذه القضية لاسيما ما وقع على يد البشير سنة خمسمائة وتسعة عشر ، لكنه وعلى الرغم من حسه المرهف ، وعلمه الشرعي الجيد ، لم يعلق على هذه الحادثة التي استحل من خلالها ابن تومرت دماء المسلمين ، دونما مبرر شرعي ، بل لأنه شك في موالاتهم له ، وعدم قبولهم لأفكاره الغالية .

كذلك نجد الحاسة التاريخية بل وحتى الشرعية تضعف عند اليسع ، بل تكاد تنعدم منه حين حديثه عن دخول الموحدين لمدينة مراكش حاضرة المرابطين سنة ٥٤١هـ حيث قال : (. . وقتل في ذلك اليوم ، مما صح عندي ، مانيف على سبعين ألف رجل واستمر القتل على أهل البلد ثلاثة أيام . .)[٢١٧] هكذا أورد اليسع هذه الحادثة الشنيعة والتي عومل بها المرابطون من قبل الموحدين، معاملة الكفار حتى أن ابن الخطيب أسماها الوقيعة العظمى ،[٢١٨] دون تعليق أو بيان وجهة النظر الشرعية في مثل هذا العمل ، وهو ممن يملك القول في هذا ، ولاشك أن هذا السكوت دليل آخر على تبلد إحساسه التاريخي والديني إزاء ما يقوم به الموحدون ، بسبب موالاته القوية لهم .

وقد نحى حين حديثه عن المرابطين خصوم الموحدين اتجاها آخر ، حيث ردد التهم التي أطلقها ضدهم الموحدون مثل وصفهم بالتجسيم .[٢١٩] وقد ناقض نفسه في هذه المجاراة حيث قال :(سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين ، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله – تعالى – عما لا يجب وصفه بما يجب له ، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه)[٢٢٠] هكذا نفى اليسع عن المرابطين تلك التهمة التي اطلقها ابن تومرت ضد الموحدين ثم قال بها اليسع نفسه ، ولا شك أن هذا التناقض كان مبعثه مجاملة الموحدين ، وهذا النهج في إلصاق التهم السيئة بالمرابطين كان من السمات البارزة عند مؤرخي الدولة الموحدية كالبيذق ، وابن صاحب الصلاة ، وعبدالواحد المراكشي وابن القطان وغيرهم ، وإذا كان هؤلاء قد جعلوا هذا الاتجاه طريقا إلى الجاه و السلطان حيث عاشوا في وسط البلاط الموحدي ، فما الذي دفع اليسع إلى ذلك . وقد

ألف كتابه في مصر ، وفي ظل دولة ربما اختلفت مع الموحدين ؟ ! .[٢٢١]

ومن المزالق التي وقع فيها اليسع مبالغته في الانتقاص من قدر القاضي أبي بكر بن العربي ومما قاله عنه : (. . نصب السلطان عليه شباكه ، وسكن الأدبار حراكه ، فأبداه للناس صورة تذم ، وسوءة تبلى ، لكونه تعلق بأذيال الملك ، ولم يجر مجرى العلماء في مجاهرة السلاطين وحزبهم . .)[٢٢٢]وهكذا نرى أن ما ذكره اليسع عن ابن العربي فيه مبالغة وعدم موضوعية ، فإذا كان يرى أن مداخلة الحكام مأخذ على القاضي ابن العربي ، فلماذا وقع هو بهذه الهفوة ؟! فقد ألف كتابه لصلاح الدين ، كما أنه عاش آخر حياته في البلاط الأيوبي ، وقيل هذا عمل لدى بني هود وعياض . كما كان مقربا من السلطة الموحدية .

وبهذا العرض السريع يتبين لنا ما وقع فيه اليسع من مزالق حادت به عن جادة الحياد والموضوعية بعض الشيء ، حيث بالغ في مدح الموحدين ، كما وافقهم في ادعاء المهدي لابن تومرت ، وهو يدرك أنه ادعاء باطل وثوب مستعار قصد من ورائه ابن تومرت الوصول إلى بعض المطامح والمصالح و ليقيم حول نفسه هالة تجر الناس إليه[٢٢٣]، كما تبين لنا أيضا جرأة اليسع في النيل من المرابطين حيث وصفهم بالمجسمين وقد ناقض نفسه في هذه القضية ، لكنه أراد مجاراة الموحدين والتملق لهم مهما كان الثمن .

ولعل من الصور الواضحة ، والأدلة القوية في هذا الميدان انتقاصه للقاضي أبي بكر بن العربي في تصرفات ، وقع فيها اليسع نفسه وهي مداخلة الحكام والسلاطين والعيش في بلاطهم .

وفي ختام هذا المبحث لابد من بيان أن هذه المزالق التي حادت باليسع بعض الشيء عن جادة الحياد والموضوعية ، حتى ولو كان ذلك على حساب الحق والتاريخ ، لاتقلل كثيرا من قيمة ما تركه لنا من تراث علمي ، فهي هفوات لم يسلم منها الكثير ممن خاضوا في هذا الميدان ، فضلا عن كونها قليلة إذا ما قورنت بتراثه التاريخي الكبير ، ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن موضوعية اليسع بدت واضحة حتى مع النصارى الذين كان يظهر كراهيتهم ويدعو على قادتهم فهو حين حديثه عن ابن رذمير يصفه باللعين[٢٢٤] ويقول : (لارحمه الله)[٢٢٥] إلا أن هذا الشنآن لم يمنعه من أن يقول عنه : (وكان ابن رذمير ، معروفا بالوفاء ، حدثني من أثق به أن رجلا كانت له بنت من أجمل النساء ، ففقدها ، فأخبر أن كبيرا من رؤوسهم خرج بها إلى سرقسطة ، فتبعه أبوها وأقاربها فشكوه إلى ابن رذمير ، فأحضره وقال : علي بالنار كيف تفعل هذا بمن هو في جواري ؟ فقال الرومي لاتعجل علي فإنها فرت إلى ديننا فجيء بها ، فأنكرت أبويها وارتدت ، ولما دخل سرقسطة أقرهم على الصلاة في جامعها سبعة أعوام . . .) .[٢٢٦]

قيمة التراث التاريخي لليسع :

لعل من المناسب أن نشير قبل حديثنا عن قيمة التراث التاريخي لليسع أن نبين أن ذلك التراث ينحصر فيما وصلنا من تقول من كتابه المغرب بواسطة كتاب آخرين إذ هو الكتاب الوحيد[٢٢٧] الذي وصلت إلينا مقتطفات منه فقد نقل منه عدد من الكتاب والمؤرخين من المشرق والمغرب والأندلس فمن المؤرخين المشارقة نقل منه الذهبي في كتابيه سير أعلام النبلاء ، و تذكرة

الحفاظ ، وكذلك ابن حجر في كتابه لسان الميزان . أما مؤرخو المغرب فقد نقل عنه كل من ابن القطان في كتابه نظم الجمان ، وابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب ، والمقري في نفح الطيب ، ومن مؤرخي الأندلس نقل منه صاحب الحلل الموشية وابن سعيد في المغرب من حلي المغرب .

وقد جاءت نقول هؤلاء المؤرخين متفاوتة كما وكيفا ، إذ أن كل مؤرخ نهل من كتاب اليسع ما كان بحاجة إليه من معلومات فابن حجر أخذ منه مايهم تاريخ الرجال ابتداء من عصر الدولة الأموية بالأندلس وحتى عصر اليسع حيث أفاد منه في ترجمته لسبعة عشر رجلا في كتابيه الآنفي الذكر ، وقد تفاوتت نقوله حيث وصلت في بعضهم إلى ما يزيد على أربع صفحات .

أما صاحب الحلل الموشية وابن القطان فقد جاءت نقولهما منه فيما يتعلق بتاريخ دولتي الموحدين والمرابطين حيث أمدهما بمعلومات مفصلة عن كثير من القضايا لاسيما ما يتعلق بنشأة دولة الموحدين ووضع أسسها ، وكذا ضعف دولة المرابطين ونهايتها .

أما ابن سعيد في كتابه المغرب فقد كانت نقوله من اليسع ذات اتجاهين ؛ الأول منها يتعلق بالرجال والثاني بالمدن و الأقاليم ، و قد سار على هذا النهج - أيضا - المقري في كتابه نفح الطيب ، أما ابن عذارى فقد كانت نقوله منه في جزئيات تتعلق بدولة الموحدين .

هكذا تباينت نقول المؤرخين عن اليسع وهذا مما وفر لنا مادة علمية جيدة نهلها لنا كل مؤرخ حسب ميوله وطبيعة مؤلفه الذي أدرجها فيه ، حيث جاءت هذه النقول مكملة لبعضها أو سدت فجوات عديدة في تاريخ المغرب والأندلس ، كما أماطت اللثام عن عدد من القضايا التاريخية التي سكتت عنها

كتب التاريخ الموجودة بين أيدينا .

ومما زاد من أهمية هذه المادة العلمية كون اليسع معاصرا وشاهد عيان لكثير مما كتب لاسيما ما يتعلق بجهاد النصارى إبان ضعف دولة المرابطين ، وكذلك أحداث سقوط هذه الدولة وقيام دولة الموحدين على أنقاضها حيث صور لنا بعض وقائع تلك الأحداث بأسلوب علمي ، ورواية موثقة وهذا ما جعل المادة العلمية التي وصلتنا من كتابات اليسع ذات قيمة بالرغم من قلة كمها .

ومما زاد من أهميتها - أيضا أنها شملت تاريخ الدول ، والرجال والبلدان فضلا عن النظم والحضارة ؛ مما جعلها موردا لأكثر من باحث ومؤلف لاسيما أنها نقلت بواسطة كتاب ومؤرخين ثقات كان لديهم من النضج العلمي ، والحسي ، المعرفي ، والأمانة العلمية ، ما مكنهم من إثباتها في أماكنها المناسبة في ثنايا مؤلفاتهم بعد نسبتها إلى كاتبها الأول .

الخاتمة :

بعد هذه الدراسة التاريخية التحليلية لليسع وجهوده العلمية نخلص إلى عدد من القضايا التي بدت لنا واضحة جلية ومن أبرزها ما يلي : ـ

ـ إن كتابات المؤرخين المسلمين تشكل حلقات في سلسلة واحدة بمنظومة التاريخ الإسلامي مهما تباعدت أوطانهم ، وتباينت أزمانهم ، ويتساوى – في هذا الأمر – المؤرخون الذين وصلتنا مؤلفاتهم كاملة أو الذين فقدت مؤلفاتهم أو جزء منها ، وذلك لأنهم انبروا لمعالجة قضية واحدة شكلت هاجسا مهما عند الجميع ، ولعل اعتماد عدد من المؤرخين على كتابات اليسع أوضح دليل على ذلك ، حيث أفاد منه ثلة من مؤرخي المغرب والمشرق الإسلامي مما يؤكد قوة وشائج القربى بين المؤرخين المسلمين – أينما كانوا – وقد تبين لنا أن الكتب التي فقدت أو فقد جزء منها تعد ثروة مهمة ، وأن فقدانها لم يؤثر على قيمتها العلمية طالما تيسر الوصول إليها أو بعضها عبر قنوات موثوقة كما هو الحال بالنسبة لكتابات اليسع إذ سدت فراغا مهما وفجوة كبيرة بالمكتبة التاريخية ، ومما زاد من قيمتها أن مؤلفها كان شاهد عيان لكثير مما كتب ، إلى جانب تعدد مصادره ، وقوة رصده لكثير من القضايا التي عالجها .

ـ كما استبان أن كتاب اليسع لم يكن خاصا بموضوع أو إقليم معين ، بل جاء عاما لتاريخ الدول ، والرجال ، فضلا عن النظم والجوانب الحضارية ، وهذا مما زاد من قيمته العلمية ، وجعله موردا مهما لكثير من المؤرخين على الرغم من تباين مؤلفاتهم ، ولاشك أن قوة الكتاب في منهجه ، وأسلوبه ، ولغته ، فضلا عن غزارة مادته العلمية كانت من العوامل المهمة التي دعت أولئك المؤرخين إلى الاعتماد عليه ، والنهل من معينه .

وهكذا تبدو لنا أهمية كتابات المؤرخين الذين فقدت مؤلفاتهم ، أو جزء منها ، وأن فقدانها لا يعني عدم أهميتها ، بل ربما جاء بسبب عوامل سياسية ، أو اجتماعية أو دينية ، أدت إلى أهمالها أو التعدي عليها .

الهوامش

(١) – ذكر المؤرخون أكثر من اسم لمؤلف اليسع التاريخي سنذكرها – إن شاء الله تعالى – حين حديثنا عن الكتاب في الصفحات التالية .

(٢) – ابن الأبار : المعجم ٣٣٢ ، التكملة ترجمة ٢١١٢ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ ، المقري : نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ .

(٣) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ص١٤٣ (نقلا عن اليسع) .

(٤) – المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٥) – صلة الصلة : ق٥ ص٣٠٧

(٦) ابن الزبير : صلة الصلة ق ٥ ص٣٠٧ .

(٧) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦

(٨)- المصدر السابق ج ٢٠ ص ٤٤ (نقلا عن اليسع .)

(٩)- المصدر السابق ج ٢٠ ص ٤٣ (نقلا عن اليسع .)

(١٠)- ابن الأبار : التكملة ص ٧٣٥ . المقري : نفح الطيب ج ٢ ص٣٧٩ .

(١١)- ابن الأبار : المعجم ص ٣٣٢ ، التكملة ص ٧٣٤ .

(١٢)- ابن الأبار : المعجم ص ٣٣٢ ، ابن الزبير : صلة الصلة القسم الخامس ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(١٣)- المعجم ص٣٣٢ .

(١٤)- هو شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف ، ولد في سنة ٤٥١ هـ يعد شيخ المقرئين والمحدثين وخطيب أشبيلية ، أجازه أبو محمد ابن حزم ، وقال عنه ابن بشكوال : كان من جلة المقرئين معدودا في الأدباء والمحدثين خطيبا بليغا حافظا

محسنا فاضلا توفي سنة ٥٣٩ هـ ، وكانت جنازته مشهودة . (ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٣٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص١٤٣)

(١٥)- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص١٤٢ .

(١٦)- المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٤٣ (نقلا عن اليسع).

(١٧)- هو الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي يعرف بالجد قال عنه ابن بشكوال : كان فقيها عالما حافظا للفقه عالما بالفرائض توفي سنة ٥٢٠هـ وعمره سبعون سنة (ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٥٧٧ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٠١ - ٥٠٢ ،، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٤٨ - ٢٥٥ ، ابن العماد شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢)

(١٨)- هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي يسمى مسند الأندلس محدث قارئ بالسبع ، عده ابن بشكوال آخر شيوخ الأندلس في علو الإسناد ، كما ذكر أنه كان عارفا بالتفسير رحب الصدر لطلابه حيث يجلس لهم النهار كله وبين العشاءين ولد سنة ٤٣٣هـ وتوفي سنة ٥٢٠هـ . (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص ٣٤٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥١٥ ، تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٦١ .)

(١٩)- هو أبو بحر سفيان بن العاص بن أحمد بن العاص من علماء اللغة ، كما كان عالما بالحديث والفرائض عده ابن بشكوال من جلة علماء الأندلس وكبار الأدباء توفي سنة ٥٢٠هـ وقد ناهز عمره الثمانين (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص٢٣٠ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٥١٦ ،، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٦١).

(٢٠)- صلة الصلة القسم الخامس ص٣٠٧ .

(٢١)- هو أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن في علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة ، وقد رحل من مالقة إلى المرية حيث حل عند ملكها المعتصم بن صمادح فأكرمه وبوأه مكانة عالية .

وقد اشتهر بابن أخت غانم حيث نسب إلى خاله غانم بن الوليد المخزومي لاشتهار ذكره وعلو قدره . (ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤٣٣ ، المقري : نفــح الطيب ج٣ ص٣٩٧).

(٢٢)- المقري نفح الطيب ج٣ ص٣٩٧

(٢٣)- صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٤)- ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤، ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٥)- أحمد بن سلفة : أخبار وتراجم أندلسية ص٩٦ .

(٢٦)- ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٧)- ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٤٣٨ .

(٢٨) - هو أحمد بن عبد الملك بن هود المستنصر با لله ورث الحكــم عـن أبيه عماد الدولة الذي نشأت بينه وبين أمير المرابطين علـى بـن يوسـف بـن تاشـفين وحشة ، حيث استعان بالنصارى ضد المرابطين ، لكن النصارى اغتنموا فرصة الخلاف فاستولوا على منطقة الثغر ، ولم يبق له سوى روطة حيث مات بها ، فتولى بعده ابنـه المستنصر الـذي لم يسـتطع مقاومـة النصارى فسلم لهم روطة ، فلما ضعف أمر المرابطين بالأندلس في آخر أيامهم ملـك قرطبـة وغرناطة ، ومرسيه ، وبلنسـة وقد قتل في إحدى المعـارك الـتي وقعـت بينـه وبين النصـارى وذلـك سـنة ٥٤٠هـ كمـا يـرى ابـن الأبـار وابـن الخطيـب . (ابـن سـعيد : المغـرب ج٢ ص٤٣٨ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٨٩ ابـن الأبـار : الحلـة السـيراء ج٢ ص٢٤٩ - ٢٥٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعـلام : القسـم الثـالث ص٢٠٣ ، المقـري : نفـخ الطيـب ج١ ص٤٤١)

(٢٩) - هو الأمير المجاهد أبو محمد عبد الله بن عياض فارس الأندلس ، وبطلها المشهور ، اتفق عليه أهل شرق الأندلس حينما ضعفت دولة المرابطين هناك ، حيث اتخذ بلنسـبة قاعدة له حينما بايعه أهلها .

وقد أشاد المؤرخون بشجاعته ،حيث ذكر المراكشي أنه إذا ركـب الخيل لايقوم أحـد لـه وأن النصارى كانوا يعدونه بمائة فارس ،كما ذكر اليسع أن ابن عياض اشجع مـن ركـب

الخيل وأفرس من سام الروم الويل .

أصيب بسهم في إحدى المعارك مع النصارى حيث توفي بمرسيه سنة ٥٤٢هـ (ابن الأبار :الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ ، ٢٥١ . المراكشي : المعجب ص٣٠٥ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٥٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، ابن خلدون : العبر ص١٦٦ ، المقري : نفح الطيب ج٤ ص٤٥٦ .)

(٣٠) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٨ .

(٣١) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣

(٣٢) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(٣٣) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(٣٤) – الحلة السيراء ج٢ ص٢٥٣ .

(٣٥) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٤٣ (نقلا عن اليسع)

(٣٦) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ (نقلا عن اليسع)

(٣٧) – هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي حاكم مرسيه وبلنسية ، كان صهرا للملك أبي محمد عبد الله بن عياض توفي سنة ٥٦٧هـ . (المراكشي : المعجب ص٣٠٥ - ٣٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٨٩ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٥٠ ، ابن الخطيب : الإحاطة ج٢ ص١٢١ - ١٢٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٤٠ - ٢٤٢ .)

(٣٨) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ (نقلا عن اليسع)

(٣٩) – جنجالة : حصن بالأندلس يقع شمال مرسيه. (الحميري : الروض المعطار ص١٧٤)

(٤٠) – ذكر اليسع أن هذه المعركة وقعت سنة بضع وثلاثين وخمسمائة (الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ ، نقلا عن اليسع) لكن ابن الأبار ، وابن خلدون يريان أنها وقعت في سنة ٥٤٠هـ وهذا القول تؤيده بعض القرائن والأدلة ، كما أنه ينسجم مع

سياق الأحداث . (ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢٠ ص٤٤ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٦٦)

(٤١) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢٠ ص ٤٣ - ٤٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ (نقلا عن اليسع)

(٤٢) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٨ .

(٤٣) – انظر في تفصيلات ذلك ما ذكره الذهبي عن اليسع في سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣٧ - ٢٣٩ .

(٤٤) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ .

(٤٥) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٤٩ - ٢٥٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث ص٢٠٣ .

(٤٦) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٦٦ وذكر ابن الأبار أن ابن عياض قضى نحبه من سهم رمي به في حربه مع النصارى وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة (الحلة ج٢ ص٢٣٢)

(٤٧) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ .

(٤٨) – مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٦٤ .

(٤٩) – هو الشيخ الإمام المقريء أبو الحسن علي بن محمد بْن علي بن هذيل البلنسي ، ولد سنة ٤٧١هـ ، ويعد من علماء الأندلس وقرائها المشهورين توفي سنة ٥٦٤هـ (الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٠٦ - ٥٠٧ ، دول الإسلام ج٢ ص٧٨ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص٢١٣) .

(٥٠) – الصلة ص٧٢٢ :

(٥١) – مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٣٨

(٥٢) – صلة الصلة القسم الخامس ص٣٠٧ .

(٥٣) – نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ .

(٥٤) – ابن الأبار : المعجم ص٣٣٢ .

(٥٥) – ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٥ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٠ .

(٥٦) – صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٥٧) – المعجم : ص٣٣٢ .

(٥٨) – وقد ذكر ابن الأبار أن هذه الرواية ذكرها له الفقيه أبو عبد الله التجيبي شيخه ، وكان التجيبي قد لقي اليسع بالإسكندرية في سنة ٥٧٠هـ ، ثم لقيه بمصر ثانية بعد صدوره من الحج ، حيث ذكر أنه أول من خطب للعباسيين على منابر العبيديين بمصر (المعجم ص٣٢٣ - ٣٢٣)

(٥٩) – ابن الأبار : المعجم ص٣٢٣ ، التكملة ج٢ ص٧٤٤ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٥٠ .

(٦٠) – الروضتين ج٢ ص١٩٠ .

(٦١) – الروضتين ج٢ ص١٩٠ ، وانظر ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد (مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض رقم ٠٨ / ٩٥٣ ذ د ورقة ١٢٦ أ .)

(٦٢) – الكامل ج٩ ص١١١ .

(٦٣) – مفرج الكروب ج١ ص٢٠٠ .

(٦٤) – بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٣٥

(٦٥) – الكامل ج٩ ص١١١ .

(٦٦) – اتعاظ الحنفاء ج٣ ص٣٢٦ .

(٦٧) – المصدر السابق ج٣ ص٢٣٦ .

(٦٨) – المصدر السابق ج٣ ص٣٢٦ .

(٦٩) – النجوم الزاهرة ج٥ ص٣٥٥ .

(٧٠) – ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ ، ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٥ ، المعجم ص٣٢٣ ، ابن حجر : لسان الميزان ج٦ ص٣٠٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٠ .

(٧١) – ابن الأبار : التكملة ج٣ ص٧٤٤ .

(٧٢) – ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٧٣) – التكملة ص٤٤٧ .

(٧٤) – صلة الصلة ق٥ ص٧٠٧ .

(٧٥) – لسان الميزان ج٦ ص٣٠٠ .

(٧٦) – المغرب في حلي المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٧٧) – نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ ، وقد أطلق هذا الأسم الدكتور محمود علي مكي ، دون أن يذكر سببا لذلك.(انظر مقدمة كتاب نظم الجمان ص٤٧ ، ص٨٣ حاشية ٣) أما حاجي خليفة فسماه (المغرب في محاسن حلي المغرب) (كشف الظنون ج٣ ص١٧٤٧) .

(٧٨) – سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٤٥ ، ج٢٠ ص٢٤٠

(٧٩) المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٥ وج٢٠ ص٢٤٠ .

(٨٠) ـ وقد ذكرها أنخل بالنيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي دون أن يذكر غيرها (ص٢٤٢) .

(٨١) ـ ا بن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤ – ٧٥٢، ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٨٢) ـ ومما يدل على ذلك عدم دقة بعض المؤرخين في نقل عناوين مصادرهم ؛ فمثلا نجد أن ابن الخطيب والمقري قد اعتمدا كثيرا على كتاب ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة ومع ذلك فقد كانا يسميانه أحيانا تاريخ الموحدين (تاريخ المن بالإمامة : مقدمة المحقق ص٢٤ و٧٧) .

(٨٣) - نظم الجمان ص١٢٥ .

(٨٤) - المقري : نفح الطيب ج٢ ص١٧٩ .

(٨٥) - المغرب ج ٢ ص٨٨ .

(٨٦) - ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ١٦٦ .

(٨٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص١٢٤١ (نقلا عن اليسع)

(٨٨) - الحلة السيراء ج ٢ ص٢٧٢ .

(٨٩) - العبر ج٤ ص١٦٦ .

(٩٠) - المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٩١) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٦٦ - ٢٦٧

(٩٢) - المصدر السابق ج٨ ص٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٩٣) - المصدر السابق ج ٨ ص ٢٧١

(٩٤) - المصدر السابق ج١٨ ص١٨٤ ، تذكرة الحفاظ ج٣ ص ١١٤٨ .

(٩٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٣٩ ، ٤١ .

(٩٦) - المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٤٣ .

(٩٧) - المصدر السابق ج ٢٠ ص ٢٠١

(٩٨) - المصدر السابق ج٢٠ ص٢٣٣ - ٢٣٤، تذكرة الحفاظ ج٤ ص ١٢٩٦ .

(٩٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

(١٠٠) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

(١٠١) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٢٤٠

(١٠٢) - المقري : نفح الطيب ج٢ ص٤٨٧ .

(١٠٣) - المصدر السابق ج٣ ص ٣٩٧ .

(١٠٤) - ابن حجر : لسان الميزان ج٤ ص ٢٠٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٥ .

(١٠٥) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص ١٦٥ .

(١٠٦) - المصدر السابق ج١ ص ١٦٥ .

(١٠٧) - المصدر السابق ج١ ص١٦٢ .

(١٠٨) - المصدر السابق ص١٦٣ .

(١٠٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٧ – ٢٣٩ .

(١١٠) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٢ .

(١١١) - المصدر السابق ج١ ١٦٣ (نقلا عن اليسع) .

(١١٢) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(١١٣) - المصدر السابق : ج٨ ص ٢٥٤ .

(١١٤) - المصدر السابق : ج٨ ص٢٦٥ .

(١١٥) - المصدر السابق ج٨ ص٢٦٦ – ٢٦٧ .

(١١٦) - هو أبو عبدا لله محمد بن الفرج القطبي المالكي ، مولى محمد بن يحيى الطلاع ولد سنة ٤٠٤هـ كان فقيها حافظا ، صادقا في الفتوى مقدما في الشورى ، قال عنه القاضي عياض :[كان صالحا قوالا للحق .] توفي سنة ٤٩٧هـ . (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص٥٦٤ – ٥٦٥ ، ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ١٩٩ – ٢٠٠)

(١١٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٢٠٠ – ٢٠١ .

(١١٨) - لاردة : مدينة تقع بالثغر الشرقي للأندلس شرقي قرطبة على نهر شيقر وهي مدينة قديمة جدد بناءها إسماعيل بن موسى بن لب بن قسي سنة ٢٧٠هـ (ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٧ ، الحميري : الروض المعطار ص٥٠٧).

(١١٩) - إفراغة : مدينة تقع غربي لاردة بينهما ثمانية عشر ميل ، تقع على نهر الزيتون ، كانت هدفا مهما عند النصارى حينما ضعفت دولة المرابطين ، بالأندلس حيث تملكوها سنة ٥٤٣هـ . (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٢٢٧ ، الحميري : الروض المعطار ص٤٨)

(١٢٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٣٨ - ٤٤ وص٢٣٣ - ٢٣٤ و ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

(١٢١) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص٦٢ .

(١٢٢) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٦٤ - ١٦٥ .

(١٢٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(١٢٤) - المصدر السابق ص١٣٩ - ١٤٠ .

(١٢٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص٢٤٩

(١٢٦) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٢٧) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٣٩ .

(١٢٨) - البشير هو : أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريشي ، أحد العشرة الذين اختارهم ابن تومرت للأمور الخاصة والمسؤليات الجسام ، وقد أسند إليه مهمة عملية التمييز التي أجراها قبيل معركة البحيرة سنة ٥٢٤هـ ، توفي البشير في تلك المعركة (البحيرة) . (البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ص٢٤ ، ابن القطان : نظم الجمان ص١٦٤ - ١٦٥) .

(١٢٩) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٦ .

(١٣٠) - المصدر السابق ص٨٣ و ١٢٨ .

(١٣١) - المصدر السابق ص١٢٨ .

(١٣٢) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٢٤ - ١٢٥ ، مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٣٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٨٢

(١٣٤) - المصدر السابق : ص ٨٢

(١٣٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٤ .

(١٣٦) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٤٠ .

(١٣٧)- مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٣٨) - المصدر السابق ص١٣٥ - ١٣٦ .

(١٣٩) - المصدر السابق ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(١٤٠) - المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(١٤١) - أربونة وأشبونة : أربونة مدينة في شمالي الأندلس تقع ثغورها في بلاد الإفرنجة خرجت من حكم المسلمين سنة ٦٣٠هـ (الحميري : الروض المعطار ص٢٤)

أما أشبونة ويقال لها لشبونة فهي مدينة متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط . (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص١٩٥) .

(١٤٢) - المقري : نفح الطيب ج١ ص١٢٧ .

(١٤٣) - المصدر السابق ج١ ص٢٠٨ ٢٠٩ .

(١٤٤) - شنترة من مدائن أشبونة تقع قرب البحر فيغشاها ضباب دائم مشهورة بكبر تفاحها وكمثراها .(الحميري : الروض المعطار ص٣٤٧) .

(١٤٥) - المقري : نفح الطيب ج١ ص١٦٤ .

(١٤٦) - البساط : مدينة بالأندلس مشهورة بخصوبة أرضها (ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤١٥) .

(١٤٧) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤١٥ .

(١٤٨) - ألش : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير ، تشتهر بزبيبها ونخلها الذي لايفلح في غيرها من مدن الأندلس (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٢٤٥ الحميري : الروض المعطار ص٦٤).

(١٤٩) - ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٧٣ .

(١٥٠) - تينملل : قرية صغيرة تقع على رأس جبل درن في بلاد السوس ، ولا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد ، وهي في غاية الحصانة ، حيث يسد

خللها أقل عصبة من الناس (ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص٦٩ ، ابن القطان : نظم الجمان ص٧٥) .

(١٥١) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٤٥ .

(١٥٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٦ .

(١٥٣) - صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(١٥٤) - المغرب ج٢ ص٨٨

(١٥٥) سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠١ .

(١٥٦) - ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ . المقري : نفح الطيب ج٢ ص١٧٩

(١٥٧) - انظر تفصيلات ذلك في ص٣٢ من هذا البحث .

(١٥٨) سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ و ١٣٤ و٢٣٧ وج١٩ ص٢٠٠ .

(١٥٩) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ .

(١٦٠) - المصدر السابق ص١٣٢ .

(١٦١) - المصدر السابق ص٦٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٢ .

(١٦٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٨

(١٦٣) - المصدر السابق ص١٣٩ .

(١٦٤) - المصدر السابق ص١٤٨ .

(١٦٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٦٦) - المصدر السابق ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٦٧) - المصدر السابق ج٢٠ ص٤٢ .

(١٦٨) - المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(١٦٩) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٤٣ - ٤٤ .

(١٧٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٤ .

(١٧١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٨ .

(١٧٢) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٤٠ .

(١٧٣) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(١٧٤) - المصدر السابق : ص٣٩ .

(١٧٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٠ .

(١٧٦) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٦ .

(١٧٧) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٣ .

(١٧٨) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ١٤٣

(١٧٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٤ .

(١٨٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٧ .

(١٨١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢

(١٨٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ .

(١٨٣) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٢٠٠ .

(١٨٤) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(١٨٥) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٧ .

(١٨٦) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢ .

(١٨٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٢ .

(١٨٨) - المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٦

(١٨٩) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٨ .

(١٩٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٠ .

(١٩١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٣ .

(١٩٢) - المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٥ .

(١٩٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٩٤) - المصدر السابق ص١٤٠ .

(١٩٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٩٦) المصدر السابق ج٨ ص٢٥٤ .

(١٩٧) عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن مشتيم بن دميان ثائر بالأندلس أول من فتح باب الشقاق على المسلمين ، وصفه ابن حيان وابن عذاري وغيرهما من المؤرخين باللعين ، والخبيث ، والمنافق ، وهو أول من أسلم من أسرته حيث نشأ على الإسلام وقد بدأ ثورته على الأمير محمد بن عبدالرحمن الأموي سنة ٢٧٠ هـ حيث اعتصم بحصن ببشتر في ولاية ريه حيث دانت له كثير من الحصون والقلاع ، كما تكون لديه جيش كبير بلغ ثلاثين ألف رجل ، أظهر النصرانية سنة ٢٨٦ هـ ، وقد مات ، وقيل : قتل في عهد عبدالرحمن الناصر (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ص١٤٩-١٥١ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٤٣ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ج ص٣٤،٤١) .

(١٩٨) . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٦٥ .

(١٩٩) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤١

(٢٠٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢ .

(٢٠١) - المصدر السابق : ص٤٢ .

(٢٠٢) - المصدر السابق : ص٤٢ .

(٢٠٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(٢٠٤) - ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٠ .

(٢٠٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٢٨ .

(٢٠٦) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٧ .

(٢٠٧) - الذهبي : المصدر السابق ج٢٠ ص٤٢ .

(٢٠٨) - المصدر السابق : ص٢٤٠ .

(٢٠٩) - ابن سيده هو أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي إمام اللغة وصاحب كتاب المحكم للسان العرب توفي سنة ٤٨٥هـ (الحميدي : جذوة المقتبس ص٣١١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٣٣٠ - ٣٣١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٤ - ١٤٥) .

(٢١٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٥ .

(٢١١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(٢١٢) - هو الفقيه أبو القاسم بن الخياط ، أقام خمسين سنة على العفاف والخير لا تعرف له زلة ، فلما استولى النصارى على طليطلة سنة ٤٧٨ هـ حلق وسط رأسه وشد الزنار ؛ فقال له أحد أصحابه : لماذافعلت ذلك أين عقلك ؟ فقال : ما فعلت هذا إلا بعد ما كمل عقلي ، ثم لجأ إلىالنصارى وأخذ يتطاول على المسلمين (ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص٢٢) .

(٢١٣) - ابن سعيد المغرب ج٢ص٢٢

(٢١٤) - ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤ .

(٢١٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٦ .

(٢١٦) المصدر السابق : ص١٤٦ .

(٢١٧) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٩ .

(٢١٨) - الإحاطة ج١ ص١٨٧ .

(٢١٩) - المصدر السابق : ص٢٤٩ .

(٢٢٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٥٠ .

(٢٢١) - عن الخلاف بين الموحدين والأيوبيين انظر : الذهبي : العبر ج٤ ص٢٠١ ، محمد تقي الدين : مضمار الحقائق ص٢٢٩ .

(٢٢٢) - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٩٦ ، سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠١

(٢٢٣) - عن تفصيلات هذه القضية وغيرها من شطحات ابن تومرت انظر الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت (مقال منشور للباحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد السادس سنة١٤١٣ هـ)

(٢٢٤)- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤١ .

(٢٢٥)- المصدر السابق : ص٢٣٤

(٢٢٦)- المصدر السابق : ص٤٠ .

(٢٢٧) - ذكر ابن الزبير أن البسع ألف في مصر كتابا في فقهاء الأندلس ، كما ذكر الذهبي أن للبسع في ابن مردنيش عدة تواريخ ، لكنه لم يصلنا شيء من هذه المؤلفات (صلة الصلة ق٥ ص٣١٧ ، سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٤١)

قائمة المصادر والمراجع :

ابن الأبار : أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ)
- التكملة لكتاب الصلة
نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني ١٣٧٥ هـ .
- الحلة السيراء .
تحقيق حسين مؤنس . نشر الشركة العربية للطباعة . الطبعة الأولى ١٩٦٣م .
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي .
نشر دار صادر بيروت مصور عن طبعة مجريط ١٨٨٥م
ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)
- الكامل في التاريخ .
نشر دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ .
الأيوبي : محمد تقي الدين عمر شاهنشاه (٦١٧ هـ)
- مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق حسن حبشي . عالم الكتب بالقاهرة ١٩٦٨م
ابن إياس : أبوالبركات محمد بن أحمد (٩٣٠ هـ)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور . طبعة بولاق ١٣١٢ هـ
بالنثيا : أنخل جنثالث
- تاريخ الفكر الأندلسي
ترجمة الدكتور حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م.
ابن بشكوال : أبوالقاسم خلف بن عبدا لله (٥٧٨ هـ)
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم
تحقيق عزت العطار . نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٥ م

البيذق : أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت . ق ٦ هـ)
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب
تحقيق عبدالوهاب منصور
دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط ١٩٧١م
ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . نشر وزارةالثقافة والإرشاد القومي بمصر .
الحموي : أبوعبدا لله ياقوت بن عبدا لله (ت٦٢٦ هـ)
- معجم البلدان
نشر دار صادر بيروت
الحميدي : أبوعبدا لله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس
تحقيق إبراهيم الأبياري الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ
الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت٩٠٠هـ)
- الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق إحسان عباس نشر مكتبة لبنان ببيروت الطبعة الثامنة ١٩٨٤م
ابن الخطيب : أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله (ت٧٧٦هـ)
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . القسم الثانى
تحقيق ليفي بروفنسال
نشر دار الكشوف الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦م
- الإحاطة في أخبار غرناطة
تحقيق محمد عبدا لله عنان الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ مكتبة الخانجي بالقاهرة

ابن خلدون : أبوزيد عبدالرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
نشر دار الفكر بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ
ابن خلكان : أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق إحسان عباس
دار صادر بيروت
الذهبي : أبوعبدالله شمس الدين الذهبي (ت ٧٨٤هـ)
- تذكرة الحفاظ .
الطبعة الثانية مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٧٦هـ
- سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي
نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ
ابن الزبير : أبوجعفر أحمد بن إبراهيم (ت٧٠٨ هـ)
- صلة الصلة القسم الخامس : تحقيق عبدالسلام هراس ، سعيد إعراب
نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٤١٦ هـ .
السحيباني : حمد بن صالح
- الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت .
مقال منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
العدد السادس سنة ١٤١٣هـ .
ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد (٦٨٥هـ)
- المغرب في حلي المغرب .

- المغرب في حلي المغرب .

تحقيق شوقي ضيف نشر دار المعارف بمصر .

السلفي : أحمد بن محمد بن سلفة (ت ٥٧٦هـ)

- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي

أعدها وحققها إحسان عباس

نشر دار الثقافة بيروت ١٤٠٥ هـ

أبوشامة : أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)

- الروضتين في أخبار الدولتين

دار الجيل بيروت

ابن صاحب الصلاة : أبو مروان عبدالملك بن محمد (ت. أواخر ق ٦هـ)

- تاريخ المن بالإمامة

نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية في بغداد سنة ١٣٩٩هـ

ابن عذارى : أبو عبدالله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

تحقيق ومراجعة ج . س كولان ، وأ . ليفي بروفنسال

نشر دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٣م

ابن العماد الحنبلي : عبدالحي بن أحمد بن محمد (١٠٨٩هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب

المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت

ابن فرحون : المالكي (ت ٧٩٩ هـ)

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب

تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور . نشر دار التراث بالقاهرة .

ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت.ق ٧هـ)

- نظم الجمان في أخبار الزمان
تحقيق محمود علي مكي نشر دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م
مؤلف مجهول : (ت.ق ٨هـ)
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية
تحقيق سهيل زكار ، د . عبدالقادر زمامه
نشر دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .
المراكشي : عبدالواحد بن علي (ت٦٤٧ هـ)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب
تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العلمي العربي
القاهرة مطبعة الاستقامة ١٣٦٨ هـ
المقري : أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب
تحقيق إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ
المقريزي : أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
تحقيق جمال الدين الشيال
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٧هـ
ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال
طبعة القاهرة ١٩٥٣م



جامعة القاهرة - كلية الآداب
المؤرخ المصري

الإدراك الجمالي من منظور فكر الحسن بن الهيثم

د. عصام عرفة محمود
كلية التربية الأساسية-الكويت

مقدمـــــة:

يعد موضوع الإدراك الجمالي من الموضوعات ذات الأهمية الخاصة لدي الباحثين والمتذوقين في مجلات الفنون والآثار، وهي المجـــالات التـــي تعكس بوضوح مدي تقدم العصور التي تنتمي لها هذه لفنون ، ومدي رقـــي القائمين عليها والمبدعين لها.

لما كان لهذه الفنون – عبر العصور والولايـات الإســلامية – مـــن أصول فنية راقية وقيم جمالية متميزة ، تنفرد بها وتميزها عن غيرهـــا مـــن فنون الحضارات المختلفة، فكان علي المدركين لها محاولة إدراك جماليـــات هذه الفنون ، إدراكا جماليا منهجيا، من أجل الغوص فـــي قيمـــها الجماليـــة والارتقاء بادراك الباحثين ، والمتذوقين ، والفنانين إلي مستوي ما تتضمنـــه هذه الأعمال الفنية –التراثية منها والحديثة – من عناصر فنية وقيم جماليـــة، تساعد علي تفهم إدراك هذه المكونات الجمالية إدراكا جماليا.

إن المدخل إلي التعرف علي المستويات الإبداعية لأي فن من الفنـون هو التوصل الي كيفية تذوقها و كيفية الإدراك الجمالي لها، وهـــو مـــا دفـــع الباحث نحو دراسة موضوع الإدراك الجمالي، من خلال التعرض بـــالبحث والتحليل لمصدر من أهم المصادر التي بحثت فـــي هـــذا الموضـــوع بحثـــا مســـتفيضا بل كان من أمـــهات المصادر في هذا الصـــدد، الأمر الذي جعل الباحث يتخـــذ منه محـــورا لهذه الـــدراسة، فـــتعرض لموضوعاتهالخاصة

بالإدراك الجمالي بالتحليل والشرح بصورة تطبيقية علي مكونـــات الأعمـــال الفنية، وهذا المصدر يعكس بجلاء فكر ومنهجية مؤلفــه ابـــن الـــهيثم تجـــاه موضوع الإدراك الجمالي عبر كتاب المناظر كركيزة لبحث هذا الموضــوع ، والكشف عما يحويه هذا المصدر العلمي الهام من معارف ذات أهمية علميـــة ومنهجية حيث أن "بحوث (ابن الهيثم) هي أشمل وانضج ما وصل إلينا فـــي سيكولوجية الإدراك الحسي من العصر القديم والوسيط .. وصار كتابه مرجع الباحثين في البصريات في العالم الإسلامي ، وفي أوربا الي مطلـــع القـــرن السابع عشر الميلادي[١] " بل أكد كثيرا مما هو مطروح في هذا الكتاب ، قـــد سبق به بن الهيثم بعض المدارس الحديثة الخاصة بمجـــال دراســـة الإدراك الحسي، كمدرسة الجشتالت التي ترجع إلي مطلع القرن العشرين.

كما يدعم هذا البحث بعض الدراسات الحديثة التـــي تبحـــث حـــول الموضوع ذاته ومتخذ منها تمهيدا ومدخلا لبحث فكـــر ابـــن الـــهيثم حـــول الإدراك الجمالي ، فضلا عن الارتكاز عليها للتعرف بمصطلحات البحث.

الفصل الأول

مصطلحات البحث

أولا: الإدراك البصري:

يعرف الإدراك perception • بأنه عملية تنظيم وتفســـير المعطيـــات الحسية التي تصلنا (خلال) الأحاسيس sensation، لزيادة وعينا بما يحيط بنـــا وبذواتنا[٢] .

يخـــتص البحث بإحدى العمـــليات العقلية التي تجري بناء علي

استقبال المثيرات البصرية، وهي عملية الإدراك البصري[٣] " للتعرف علـــي المرئيات الكائنة في المجال البصري، استنادا علي الخبرات الحسية الســابقة، مثله كباقي أنواع الإدراك ويعتمد علي العقـــل فـــي تفسـير المدركــات أو المرئيات البصرية، التي تتم تلقائي دون جهد أو تفكير متعمــد، وقــد أثبتـت التجارب أن المدركات البصرية يستغرق تكوينها وقتا يزيد عن بضع أجـــزاء من الألف من الثانية، ولكنه في أحيان أخري يصل الي عدة ثـــوان بالنسـبة لإدراك شكل هندسي بسيط[٤] وذلك يعتمد أساس علي التفاعل بيـــن الإنســان المدرك وبين الشيء المدرك فلقد أكدت الدراســـات ســهولة إدراك وتذكــر الأشكال الهندسية ومعالجتها معالجة ذهنية من خلال اكتشاف نظم وعلاقـــات توزيعها ، وتمثل حركة العين حلقة اتصال بيـــن الإدراك الذهنـــي والبيئـــة الخارجية، علي اعتبار أنها حركة فعلية وذهنية فالإدراك البصري" في الواقـع تركيب متجانس من صور حسية كثيرة بها تتصل بها العين مضافا [٥] اليـــها وسائل تتفق معها مما يكون مختزنا في أذهاننا من خبرات سابقة فهي تمثـــل تفسيرات يضيعها العقل علي ما هو مرئي".

والإدراك البصري يمر بمراحل تبدأ بالنظرة الإجمالية للمـــدرك ثـــم تحليله ، ثم إعادة تركيبة الأمر الذي يؤكد أن "الكل يختلـــف عـــن مجمـــوع أجزئه، وأن الأجزاء يجب النظر إليـــها فـــي ضـــوء موضوعـــها ودورهـــا ووظيفتها في الكل الذي تنتمي إليه[٦]".

ويختلف قدر الاستجابة من متذوق لآخر تجاه العمل الفنـــي المـــدرك فإذا تساوت جميع المخلوقات في مدي اســـتجاباتها لنفـــس المثـــيرات فإننـــا سنتنافس [٧] ويؤكد ذلـــك تـــأثر الإدراك بـــالخبرات والتوقعـــات والدوافـــع

والانفعالات لذا فان الإدراك بصفة عامة عملية نشطة ومعقدة ٠٠ لا يعكس الحقيقة بدقة ، فهو ليس بمرآه، فالإدراك يعتبر نقطة التقاء المعرفة بالواقع[٨]٠ أي نقطة التقاء ما يعرفه المتذوق بما يراه في الواقع٠

ثانيا: الإدراك وأثر الانتباه عليه:

إن الانتباه يسبق الإدراك فعادة " تتسابق العديد من المثيرات لجذب الانتباه في كل لحظات اليقظة- وهذا المفتاح الانتقائي **(الانتباه)** لجزء صغير من الظواهر الحسية الواردة، هو ما يسمي الانتباه attention[٩] فيكون انتباه المتذوق مركز علي ما يهمه ، أما الأقل أهمية فإنه يذوب في المثير الأساسي، و لا يكون الوعي به إلا خفتا وإذا ما انتقلت عين المتذوق الي مساحة لونية أخري أكثر إثارة فان الانتباه يتحول بسهولة الي بؤرة جديدة ، ويتحكم في توجيه الانتباه حاجات الإنسان وميوله وقيمه" وإذا كنا ننتبه الي كل شيء في الحال فان المنبهات الهامة المرتبطة ببقائنا سوف نفقدها وسط هذه الفوضى [١٠].

ثالثا: انتظام الإدراك وأسسه:

لانتظام الإدراك لدي الإنسان المتذوق وتفسير المعلومات البصرية حول المرئيات قواعد وأسس هامة تتمثل في:

أ- الثبات: علي الرغم من تغير الصورة المكونة علي الشبكية لدي المشاهد في الحجم عند ابتعاد الشيء المدرك أو اقترابه٠٠٠ فان الثبات يعني أن الأشياء المرئية من زوايا مختلفة وعلى مسافات مختلفة أو تحت ظروف إضاءة متباينة، فسيبقى إدراكنا أنها باقية بنفس الشكل والحجم واللون ٠٠٠٠

والثبات يعطينا نوع أكبر من الاستقرار لعالمنا الإدراكي.

ب- الشكل والأرضية: أن الحروف السوداء في الكتاب تبرز علي الصفحة البيضاء، والصورة تبرز من الحائط المعلقة عليه، وأينما نظرنا حولنا نري الأشياء علي خلفية ... وطالما كانت حواسنا وعقولنا تعمل بطريقة عادية فأنه لا يمكن أن نري في كل من الشكل والأرضية الأشياء، ... وتبدو هذه القاعدة بالذات فطرية علي وجه العموم.

١- التشابه Similarity: عناصر الرؤية التي تحمل نفس اللون، والشكل والتركيب تظهر كأنها تنتمي لبعضها (مثل المربعات المتجاورة والمتطابقة شكلا ولونا) ونحن نميل الي تجميع الأشكال التي تتجه في اتجاه متماثل أيضا (أي الموحدة الاتجاه).

٢- التقارب Proximity: العناصر البصرية القريبة من بعضها تري وكأنها تنتمي لبعضها البعض، ويقودنا التقارب الي تنظيم (الأشكال في أعمدة أو صفوف).

٣- التماثل Symmetry : عناصر الرؤية التي تتكون من أشكال منتظمة وبسيطة ومتوازية تري وكأنها تنتمي لبعضها.

٤- الاستمرار Continuity : عناصر الرؤية التي تسمح للخطوط والمنحنيات، أو الحركات باستمرار، في الاتجاه المستقر، تميل إلي تجميعه مع بعضها (أي وحدة الاستمرارية والاتجاه).

٥- الإغلاق Closure : الأشياء غير الكاملة عادة تكتمل وتري وكأنها كاملة، وهذه النزعة تسمي الإغلاق، فالمخ يمدنا بالمعلومات التي لم تكن حواسنا قد وفرتها .. خاصة إذا كان الشئ المعروض مألوف لدينا [١١].

فهذه الأسس تعد هامة من أجل انتظام الإدراك لدي المتذوق ، ومن أجل تفسير المعلومات البصرية حول المرئيات، حيث يتوقف المجال الإدراكي علي تنظيم مجال الإدراك الحسي في نمط أو انماط معينة.

الفصل الثاني

إدراك الأعمال الفنية من منظور فكر الحسن بن الهيثم

تعرض ابن الهيثم في كتابه لدراسة خصائص الضوء في أحواله الثلاث (الإشراق علي الاستقامة ، ولانعكاس، والانعطاف) مستخدما المناهج الرياضية في تفسير الظواهر الطبيعية، ولما لهذا الموضوع من أهمية علمية لكل من المتذوق والباحث فسوف يكون موضع الدراسة في هذا الفصل لتبيان وايضاح المفهوم العلمي لإدراك الأعمال الفنية وما يتبع ذلك من عمليات وظواهر فسيولوجية لدي المتذوق أو المتلقي.

وتركز هذه الدراسة علي استخلاص ما هو شديد الصلة بهذا الموضوع من كتاب ابن الهيثم، مستفيدا بما أورده في مباحثه المختلفة [١٢].

حيث ان الإدراك من الناحية الفسيولوجية يعتمد علي النظام الحسي والمخ" فالنظام الحسي يكتشف المعلومات ويحولها الي نبضات عصبية، ... ويرسل معظمها الي المخ ... وعلي ذلك اعتمد الإدراك علي عمليات أربع هي الاكتشاف والتحويل والإرسال وتجهيز المعلومات[١٣] بالمخ حيث تتحكم في سلوكنا ونتحرك بموجبها.

فبالعين "خلايا خاصة .. حاسة للضوء (تحوله الي) صورة طاقة كهرومغناطيسية[١٤]وبسبب الطريقة التي تتحرك بها الموجات الضوئية فان

الصورة تتبلور علي الشبكية ، مقلوبة من أعلي الي أسـقل ومعكوسـة مـن اليمين الي اليسار ٠٠ وفي الظروف العادية تكون عيوننا في حركة مستمرة، والحركة تتكون من خلجات واهـتزازات لا إرادية صـغيرة وسريعة تسمي رارأة، ونفضات لمقلة العين من وضع الي أخر تسمي شكمات، وبسبب نشـاط العين الذي لا ينقطع تتكون صور شبكية بمعدل من ثلاث الي خمس مـرات تقريبا في الثانية وبالطبع فان هذه الحركات تتم دون وعي أو انتباه[١٥].

وقد تعرض ابن الهيثم إلى علاقة الإدراك بالشيء المدرك من جميـع جوانبه ، من حيث إدراكه لا إراديا، والعوامل المؤثرة فيه وموقع البصر مـن التكوين ، وتأثر الإدراك بأوضاع المبصر، وغيرها التي سوف تكون موضـع دراسة فيما يلي:

أولا: الإدراك بالقياس أو المـعرفة أو التميز : وذلك حين يتأمل المشـاهد أو المتذوق بعض الأعمـال الفنية ٠ فقد تعرض ابن الهيثم في هذا لصـدد الي كيفية إدراك مكونات عناصر ما هو مدرك ، حيث ذكر أن إدراك التشـابه بين المبصرات هو أدراك بقياس لأنـه إنمـا هـو مـن قيـاس إحـدى الصـورتين بالأخرى، فالمعرفة إذن إنما تكون بضرب من ضروب القيـاس (لادراك التشابه بين أكثر من صورة) ٠٠ فان كثيرا ممـا يـدرك بالقيـاس (لا)[١٦]يدرك إلا بعد استقراء جميع المعاني٠٠ والإدراك بالمعرفة يتميز عن جميع ما يدرك بالقياس ٠٠ وهو يتميز بالسـرعة لأنـه أدراك بالإمـارات ، وأكثر المعاني المبصرة (لا) تدرك إلا بالمعرفة ، والمعرفة ليس هي مجـرد الإحسـاس فحاسة البصر تدرك صـور المبصرات من الصور التـي تـرد الى البصر من ألوان المبصرات وأضوائها٠٠ ثم ما كان في الصورة من

المعاني قد أدركها البصر من قبل أو أدرك أمثالها ٠٠ فإنما يدركها في الحال بالمعرفة ومن الامارات التي تكون في الصورة فيدرك منها جميع المعاني التي تكون في الصورة[١٧]٠

أي أن أدراك مكونات شئ أو عمل فني إنما يكون بالقياس لآخر سبق رؤيته، أو لسابق معرفة بالمكونات والعناصر وبكل ما تتضمنه من تفاصيل في الهيئة أو اللون ٠ كما لم يغفل ابن الهيثم أثر ترتيب العناصر التي تختلف من عمل فني أو من شكل لآخر وأثر هذا الترتيب علي تحديد قوة مميزة للعمل تميزه علي غيره من الأعمال ، حيث ذكر أن "القوة المميزة تميز هذه الصورة فيدرك منها جميع المعاني التي تكون فيها من الترتيب، والتخطيط ، والتشابه والاختلاف ٠٠ فالمعاني التي تدرك بحاسة البصر منها ، ما يدرك بمجرد الحس ومنها ما يدرك بالمعرفة، ومنها ما يدرك بتمييز وقياس ، يزيد علي مقاييس المعرفة[١٨]٠

أي أن القوة المميزة هي التي تفرق في الشبة بين انسان وآخر وبين نبات وآخر أو بين حيوان وآخر، وكذا بين عمل فني وآخر، ويرجع ابن الهيثم ذلك الي اختلاف ترتيب العناصر من مدرك لآخر، ففي اختلاف ترتيبها- وان كانت عناصر متشابهة كما هو بالأعمال الفنية يؤدي الي اختلاف القوة المميزة أو الهيئة الكلية للعمل الفني ، فالأعمال الفنية كمدركات - علي سبيل المثال - تتكون من خطوط ، وألوان ، ومساحات ، وأشكال ، وكتل وفراغات إذا ما تشابهت مواقع هذه المكونات وترتيبها داخل أي تكوينين، أدي ذلك الي إضعاف القوة المميزة لكل منهما ، وإذا ما زاد اختلاف ترتيب هذه العناصر ، زادت القوة المميزة لكل عمل عن الآخر ٠

كما يرجع ابن الهيثم زيادة القوة المميزة لعمل عن الآخر الي اختلاف التخطيط وان كانت عناصر العمل متشابهة في اللون والحجم، فان لاختلاف التخطيط واختلاف الأشكال أثره في تميز عمل فني عن الآخر ، فالإدراك إما أن يكون إدراكا بالقياس من خلال مقارنة وقياس صورة بأخرى أو مدرك بآخر ، واما أن يكون الإدراك إدراكا بالمعرفة ، وهو نوع من الإدراك يتميز عن الإدراك بالقياس لما له من خلفية معرفية سابقة تخص الشيء المدرك، فالأمر الذي يجعل المدرك أسهل ادراكا وأسرع ، فضلا عن الإدراك بالتمييز بين مدرك وآخر نتيجة لاختلاف كل منهما في ترتيب العناصر والمكونات ، أو اختلافهما في تخطيط الشكل .

ثانيا" علاقة الإدراك بموقع البصر من التكوين :

ذكر ابن الهيثم أنه "إذا نظر الناظر الي جسم فسيح الأقطار (كلوحة مثلا) وقابل بوسط بصرة وسط ذلك المبصر فانه يجد إدراكه لوسط ذلك المبصر أبين (وأوضح) من إدراكه لأطرافه ، ويجد بين الإدراكين تفاوتا ظاهرا، ويجد ما قرب من الوسط من أجزائه أبين مما بعد عن الوسط، وان حرك بصره مقابل جزء غير ذلك الجزء المبصر، صار إدراكه للجزء الثاني أبين من إدراكه لذلك الجزء في الحالة الأولي، وصار ادراكه للجزء الأول اضعف من إدراكه له في الحالة الأولي .

إن الإبصار بوسط البصر .. أبين واشد تحققا من الإبصار بحواشي البصر[١٩] ومن ثم فان حركة العين أمام العمل الفني يتبعها تغير في شدة إدراك أجزاء التكوين ، فما تقع عليه العين من أجزاء التكوين يكون اشدها استحواذا علي إدراك المشاهد، وما يتماس مع هذه الأجزاء وتتدرج في

الابتعاد عن مركز البصر فإنها تقل تدريجيا في الاستحواذ علي شدة الادراك.

فإذا ما تركز البصر علي جزء ما من التكوين كان أشد إدراكا من غيره ويصبح هذا الجزء في دائرة انتباه attention المتلقي ، ذلك الانتباه الذي يلعب دورا أساسيا في عملية الإدراك البصري، لأنه حالة تركيز علي أجزاء من الخبرة المباشرة الخارجية ، بحيث تصبح حية وذات فاعلية مع سائر الأشكال الموجودة في مجال الإدراك البصري"[٢٠] .

فالمتذوق حينما يكون أمام العمل الفني فانه يركز علي جزء ما من العمل الفني ثم ينتقل الي جزء آخر، حيث تتسابق أجزاء العمل الفني لجذب انتباه المتلقي في كل لحظة من لحظات التأمل . " إن هذا المفتاح الانتقائي لجزء صغير من الظواهر الحسية الواردة هو ما يسمي الانتباه[٢١] فالانتباه يكون مركز علي ما يهم المتلقي، أما الأقل أهمية فانه يذوب في المثير الأساسي، وحتى يتحول الانتباه الي بؤرة جديدة . ولذا تحتم علي المتلقي – وهو أمام العمل الفني – أن يتعمد التركيز علي كل جزء من أجزائه خاصة إذا ما كان هذا العمل كبيرا علي المحورين الأفقي والرأسي مثل الأعمال الفنية الجدارية منها والمعمارية. " فإذا أراد (المتلقي) أن يتحقق صورة الميصر فهو يتحرك ويقابل بواسطة كل جزء من أجزاء المبصر .. وإمرار سهم الشعاع (البصري) علي جميع أجزاء المبصر.. ومقابلة كل جزء من أجزاء المبصر بواسطة البصر.

والمبصر إذا كان في غاية الصغر ولم يكن مقابلا لوسط البصر (فلا) يتم تأمله إلا بعد أن يتحرك البصر حتى يمر السهم (البصري) بذلك (الجزء

الصغير من) المبصر ٠٠ وإذا كان المبصر مقتدرا (ضخما) ، (فلا) يتم تأمله إلا بتحرك سهم الشعاع (البصري) أو ما قرب من خطوط الشعاع في جميع أقطار المبصر[٢٢].

ثالثا: العوامل المؤثرة علي توجيه الانتباه وثبات الإدراك[٢٣]

أثبتت العديد من الدراسات أن هناك عوامل ذاتية توجه الانتباه عند المتذوق حين يشرع في تأمل العمل الفني ، فالميول الذاتية، والحاجات المواد إشباعها، والقيم السائدة تعد من أهم العوامل المؤثرة علي توجيه الانتباه، فالمتذوق حين يواجه العمل الفني يجتذب انتباهه شكل ما أو درجة لونية محددة، أو ملمس استثارة من ناحية التكنيك وكان يبحث عن تطبيقات له، ويسيطر أحد هذه المثيرات – دون غيره علي مركز انتباه المتذوق "فإذا كنا ننتبه إلى كل شئ في الحال فان المنبهات الهامة المرتبطة ببقائنا (وميولنا وحاجاتنا) سوف نفقدها وسط هذه الفوضى"[٢٤].

أما إدراك جزء ما من العمل الفني أو شكل ما، فإن أدراك المتذوق له يؤثر فيه ما يختزنه العقل من معلومات وما يختزنه الوجدان من أحاسيس وآثار نفسية، تراكمت عبر الزمن ويؤكد ابن الهيثم[٢٥] أن إدراك البصر للمبصرات يكون علي وجهين، إدراكا بالبديهة وإدراكا بالتأمل وذلك أن البصر إذا لحظ المبصر فانه يدرك منه المعاني الظاهرة التي فيه في حال ملاحظته، ثم ربما تأمله من بعد ذلك أو ربما لم يتأمله٠ (فإذا لم يتأمله) فانه يدرك منه صورة غير محققه، وهو يدركها بالبديهة٠ (وإذا تأمله) فهو يدرك منه صورة محققة (تفصيلية) ويكون إدراكها بالتأمل" وبما يتوافق مع ما لديه من معلومات وأحاسيس مختزنة٠

أما تأكيد الإدراك وثباته فإنه يتطلب من المتـذوق تكـرار الانتبـاه والإدراك ، مشيرا ابن الهيثم الي أن "البصر إذا أدرك مبصرا من المبصـوات وتحققت صورته عند (الحاس)[٢٦] فإن صورة ذلك المبصر تبقي في النفـس وتكون متشكلة في التخيل ، وإذا تكرر إدراك البصر للمبصر كانت صورتـه أثبت في النفس من صورة المبصر الذي لم يدركـه إلا مـرة واحـدة٠ واذا عادت الصورة مرة (أخري) أدركت النفس منها ما لم تكن أدركته في المـرة الأولي ٠٠ وكلما تكررت الصورة علي النفس ظهر منها ما لم يكن ظـهر إذا لم يكن ظهر فيها جميع المعاني التي فيها في أول مرة٠

وإذا أدركت النفس من الصورة جميع المعاني التي فيها فى أول مـرة ثم تكرر ورود الصورة عليها ، ولم تدرك فيها بعد المرة الأولي معني زائد ، تحققت (ثبت) أن الذي أدركته في أول مرة هو حقيقة صورتها[٢٧]٠

فابن الهيثم يؤكد علي أن تكرار الانتباه، ومن ثم الإدراك يؤديان الـي وضوح إدراك الشيء وثبات إدراكه ، وان تكرار الإدراك يعد مدخـلا هـام لإدراك دقائق المرئيات، التي تزيد بدورها من أدراك الكليات ومـن ثبـات الصورة بالعقل وانطباعها بالوجدان٠

رابعا: التشابه والاختلاف فـي الادراك، بـاختلاف المتذوقيـن وبـاختلاف المدركات:

١- **تشابه واختلاف الإدراك باختلاف المتذوقين:** ان الإدراك "عملية لتفسـير المثيرات الواردة للعقل، حيث تكون المفـاهيم وما يرتبط بها من تصـورات عن العـالم المحيط بالإنسان ، ويتوقـف ذلك علي البيئة السـيكولوجية وبخاصة الدافعية، والخبرات السابقة[٢٨]٠ فالميول الذاتية، والحاجات المراد

إشباعها، والقيم السائدة، والانفعالات والقيم والخبرات السابقة هي معايير موضوعية متغيرة، وتؤدي الى تنظيم فكري وعمليات إدراكية مختلفة- في معظمها من شخص لاخر . و"إذا تساوت جميع المخلوقات في مدي استجابتها لنفس المثيرات فإننا سنتنافس علي نفس موارد الغذاء والمأوي، الا أن اختلاف حساسياتنا يسمح لنا باقتسام البيئة الطبيعية في سلام[٢٩].

فالإدراك يتغير – في معظمه – من متذوق لآخر ، لأنه " يعتبر نقطة التقاء المعرفة – (المتغيرة من شخص لاخري) ، مع الواقع" [٣٠] المتمثل في منظر طبيعي أو لوحة ما.

٢-تشابه واختلاف الإدراك باختلاف الصورة الكلية، والجزئية للمدركات:

ويميز ابن الهيثم بين ما يتفق فيه إدراك المدركات وبين ما يختلف فيه ، حيث يذكر أن "الصورة الكلية التي تحصل في النفس لأنواع المبصرات، وتكون متشكلة في التخيل (اي سبق إدراكها) ، فأن لكل نوع من أنواع المبصرات هيئة وشكلا يتساوى فيها جميع أشخاص (أشكال) ذلك النوع، وتختلف تلك الأشخاص (الأشكال) بمعان جزئية، مما يدرك بحاسة البصر.. وربما كان اللون في جميع أشخاص (أشكال) النوع واحدا .. (كما في بعض أنواع الحيوانات وغيرها)، وبتكرار إدراك البصر لأشخاص (لأشكال) النوع الواحد، تتكرر عليه الصورة الكلية التي في ذلك النوع مع اختلاف الصورة الجزئية التي لتلك الأشخاص"[٣١] أو الأشكال.

أي التشابه يكون في إدراك الكل الذي يتفق فيه النوع الواحد من المخلوقات – مثلا- من حيث الهيئة والشكل العام الكلي، رغم اختلاف جزئياتها ، التي تكون بجزئيات وتفاصيل الشكل الكلي كما وأن إدراك الجزء

هام ويقود المشاهد الى إدراك الكل ، وذلك نتيجة لسابق المعرفة بعلاقة كـــل جزء بما ينتمي إليه من كل ٠ أي " إذا عرف الصــــورة الجزئيــة، عــرف المبصر (الشيء) بعينه ٠٠ فشخص الإنسان إذا أدركــه البصــر: فإنـــه إذا أدرك تخطيط يده فقط (كجزء منه) قد أدرك أنه إنسان قبل أن يدرك تخطيـط وجهه، وقبل أن يدرك تخطيط بقية اجزاءه٠٠ ولانه يدرك بقية أجزائه بتقــدم المعرفة[٣٢]

فإدراك الجزء لابد وأن يقود الي أدراك الكل لما للإدراك من ترابـــط بسابق المعرفة، ولما لهذا الجزء من صفات ينفرد بها وتنعكس دائمـــا علـــي الكل، كما فرق ابن الهيثم بين نوعية المبصر أو الشـــيء المــدرك ، وبيــن شخصيته من حيث زمن الإدراك فقـــد أورد أن : "إدراك البصـــر لنوعيـــة المبصر (كانسان أو حيوان أو لوحه أو إناء) ، يكون في زمن أقصــــر مـــن الزمن الذي يدرك فيه شخصية المبصر، ٠٠ (فالمشاهد) يدرك إنسانا قبل ان يدرك صورته الجزئية التي تخص شخصه [٣٣]٠ فإدراك الكل دائمـــا ايســـر وأسرع من أدراك الجزئيات أو التفاصيل، وبالفطرة فان إدراك الطفـــل فـــي بداية حياته لوجه أمه، يكون إدراكا كليا سريعا، قبل أن يدرك تفاصيله عــــبر مراحل نموه المختلفة ٠ كما وأن ابن الهيثم فرق بين ســـرعة إدراك الشـــيء قليل التفاصيل (البسيط) وبين سرعة إدراك نظيره كثيف التفاصيل (المركـــب) حيث ذكر أن "إدراك شخصية الشخص (الشيء) القليل الشبه ، أسرع مـــن إدراك شخصية الشخص (الشيء) الكثير الشبه، وكذلك إذا أدرك البصر شكلا مستديرا وكان في داخله شكل كثير الأضلاع، وكانت أضلاع ذلـــك الشـــكل صـــغارا، وكان مع ذلك مختلف الأضـــلاع اختلافا متقاربا ولم يكن متفاوتـــا

فانه في حال إدراكه لجملة الشكل ،قد أدرك أنه مستدير . ولا يـــدرك فـــي الحال أن في داخله شكلا مضلعا.. وإذا تأمل الشكل المستدير .. ظهر لـــه الشكل المضلع الذي في داخله[٣٤] . فيكون إدراكه لاستدارة الشكل المســتدير أسرع من إدراكه للشكل المضلع الذي في داخله.

من ثم ، فان إدراك الصورة الكلية للوحة ما ايسر وأســـرع مـن إدراك الصورة الجزئية أو الجزئيات، من قبل المتذوق، " فـــان الحـــاس إذا أراد أن يتأمل شكل جملة المبصر، فيكفيه أن يمر البصر علي محيط المبصر فقــط. وكذلك إذا أراد أن يتأمل لون المبصر فيكفيه ان يمر البصر عليه امـــرارا. وكذلك إذا أراد أن يتأمل خشونة سطح المبصـــر أو ملاســـته أو شـــفيفة أو كثافته... وليس كذلك المعاني الخفيفـــة[٣٥]أي الدقيقـــة التفـــاصيل، حيـــث تستغرق وقتا أطول من أجل إدراك كل ما تحويه من تفاصيل دقيقة.

خامسا:كيفية إدراك المتذوق لجزئيت وعناصر العمل الفني [٣٦]

يتأمل المتذوق العمل الفني المسطح منه أو المجسم، فانه يحلله الـــي شـــقين أساسيين، الأول منهما يتمثل في العناصر الفنية التشكيلية، أما الثاني فيتمثـــل في القيم الجمالية، والمتذوق المتخصص في مجال الفنـــون التشـــكيلية يعلـــم العلاقة الجمالية بين العناصر الفنية والقيم الجمالية ، فالعناصر هي وسيلة فـــي نان لتحقيق القيم الجمالية، والعناصر الفنية تتمثل في كـــل مـــا تـــراه العيـــن بالتكوين من عناصر، والتي تتمثل في الخطوط بسمكها المختلف، والألـــوان بدرجاتها الفاتحة والداكنة، والأشكال ، والكتل ، والفراغـــات، والأرضيـــات وملامس السطوح . أما القيم الجمالية فهي تتمثل في كل ما يســتطيع الفنـــان تحقيقه من قيم تحكم بناء العمل الفني جماليا ، والتي تتمثل في تنويع العنـــاصر

مع وحدتها الكلية ، وإيقاع توزيعاتها واتزانها، وتناسب أبعادها الجمالية، وقيم الخامات المستخدمة ، وقيم تعدد أبعاد السطوح وغيرها من القيم الجمالية.

وقد تعرض ابن الهيثم بالتحليل الي عناصر ومكونات العمل الفني بصفة مطلقة، سواء كان هذا العمل لوحة ما، أم جزء من الطبيعة ، وقد أطلق علي هذه العناصر المكونة للعمل اسم المعاني الجزئية التي تدرك بحاسة البصر، وقد صنفها الي اثنين وعشرين عنصرا، هي: "الضوء ، واللون ، والبعد والوضع، والتجسيم، والشكل، واالعظم، واالتفرق، والاتصال، والعدد، والحركة، والسكون، والخشونة، والمياسة (النعومة) ، والشفيف، والكثافة، والظل والظلمة، والحسن، والقبح، والتشابه، والاختلاف، في جميع المعاني الجزئية على انفرادها، وفي جميع الصورة المركبة من المعاني الجزئية ... (كما أن) الحاس يحس بالصورة ويحس بكل جزء من أجزاء الصورة من إحساسه بألوان تلك الأجزاء وأضوائها، والقوة المميزة (الحاسة الجمالية لدي المتذوق) تدرك ترتيب تلك المواضع من جملة الصورة.. ومن إدراكها (الحاسة الجمالية) لفصول الأجزاء (مجموعات العناصر التشكيلية المتجاورة) ، فتدرك المتباين منها ، والمتياسر، والمرتفع، والمنخفض من قياس بعضها ببعض، وتدرك المتماس والمتفرق..."[٣٧]

ووفقا للتصنيف سالف الذكر، الخاص بما يدركه المتذوق من جزئيات وعناصر العمل الفني، فقد حلل ابن الهيثم كل جزء أو عنصر منها بإسهاب يرقي لان يكون ذي فائدة كبيرة، للباحثين في مجال التراث، أو للدارسين بمختلف كليات الفنون. وقد تمثلت كيفية إدراك العناصر الفنية التشكيلية فيما يلي:

١-كيفية إدراك الضوء واللون : " أن اللون يشرق عن الجسم المتلون المضيء (أي الساقط عليه ضوء) ويمتد في جميع الجهات. كما يشرق الضوء الذي في ذلك الجسم، ويكونان أبدا معا. وتكون صورة اللون ممازجة لصورة الضوء (أي تلون الضوء بلون الجسم).

وان صورة اللون التي تمتد مع صورة الضوء تكون أضعف من اللون نفسه، وكلما بعدت عن الجسم المتلون ازدادت ضعفا.(٣٨)

أي أن اللون الساقط علي شبكية العين يكون أضعف من لون الشيء الملون المشاهد سواء كان هذا الشيء شكل في لوحة ما، أو جزء من الطبيعة، وكلما بعد ذلك الشيء عن شبكية عين المشاهد كان أضعف مما هو عليه حين يكون قريبا. كما ذكر ابن الهيثم ان البصر ، لا يدرك مائية (صفة) اللون إلا إذا كان اللون ثابتا (غير متحرك كلون طائر يطير).. زمانا محسوسا..

(فترة زمنية)، أو كان متحركا في زمان محسوس مسافة لا يؤثر مقدارها في وضع ذلك اللون من البصر"(٣٩).

أى أن حركة الشيء المشاهد الملون تؤثر علي درجته اللونية ويصبح لونه غير واضح، قدر شدته علي عكس وضوح درجة اللون بدقة حين يكون الجسم ثابتا، ولفترة زمنية تمكن المشاهد من إدراكه و من ثم فان إدراك اللون بدقة ووضوح ، يتناسب عكسيا مع زيادة سرعة حركة الجسم المرئي، ومع زيادة بعده عن شبكية العين، ومع قلة الفترة الزمنية حين يكون ثابتا.

٢-كيفية إدراك المنظور: " إذا أحس البصر بأن أحد طرفي السطح أو الخط أو المسافة تلي جهة التباعد عن البصر (ا ب)، وأن الطرف الآخر يلي جهة

التقارب من البصر (ج د) فقد أحس ببعد طرفي ذلك السطح/ أو الخط أو المسافة ، وقرب الآخر ·· و إذا أحس (بذلك) فقد أحس بميل وضع ذلك السطح أو الخط (أي ميل ا ج ب د) ، فالسطوح والخطوط والمسافات المائلة على خطوط الشعاع المفرطة الميل يدرك البصر ميلها من إدراكه لجهتي طرفيها" (٣٩) (ا ج مثلا)·

مما سبق فقد وصف ابن الهيثم إدراك المنظور وصفا دقيقا، حيث أشار الي أن أى سطح إذا كان في وضع منظور ، فان حافته البعيدة تكون أقصر من حافته القريبة فهو وصف لكيفية أدراك المنظور الأفقي للأشكال الممتدة أفقيا داخل أي تكوين أو الممتدة أفقيا داخل أي مكان في الطبيعة· وهو وصف تطبيقي هندسي يعرض للمتخصص وغير المتخصص في مجال الفنون التشكيلية، كيفية رسم الأشكال والمجسمات وفقا لمنظور محدد ، يعكس الإحساس بعمق الأشكال ، ومن ثم الإحساس بعمق التكوين ككل، وهو الأمر الذي يعكس بدوره للمشاهد كيفية أدراك المنظور أو العمق بالعمل الفني أو الطبيعة ، بيسر وإتقان هندسي·

٣- كيفية إدراك التجسيم

عرض ابن الهيثم الي كيفية إدراك التجسيم حيث يذكر أن امتداد الجسم في الأبعاد الثلاثة (تميزا له عن المسطحات ذات البعدين)، ··· فاذا أدرك _المبصر) سطح الجسم فقد أدرك امتداد السطح في الطول والعرض ·· أعني بعدين من أبعاده ولم يبقي إلا البعد الثالث"(٤٠)

ان ادرك التجسيم لابد وأن يرتبط بامتداد الجسم في الأبعاد الثلاثة في عمق العمل الفني أو في الطبيعة، أما إذا أدرك المشاهد أحد جوانب الشكل

المجسم، فانه يراه ممتدا في بعدين فقط، وفي هذه الحالة يكون منظور الشكل في مستوي النظر (شكل ب) ويكون البعد الثالث خلف السطح المواجه للبصر، وغير مرئي، فيقتصر الإدراك علي رؤية الشكل في بعدين فقط، وقد أصاب ابن الهيثم حين اختار هذه الحالة وتعرض لها بالشرح فهذه الحالة التي عرض ابن الهيثم لها، هي الوضع الوحيد للجسم من أوضاع المنظور الثلاثة (أ، ب، ج) التي يصبح المجسم فيها ذو بعدين، حين يكون في مستوي النظر، بينما في الوضعين الآخرين للمنظور يكون الجسم في وضع أعلي مستوي النظر (شكل ج) أو أسفل مستوي النظر (شكل أ) ، ويبدو فيهما الجسم بأبعاده الثلاثة.

كما عرض ابن الهيثم الي أنواع المجسمات، والي وضعها وكيفية ادراكها مشيرا الي أن الأجسام منها ما يحيط به سطوح مسطحة متقاطعة منعطف بعضها الي بعض، (شكل ا) ومنها ما يحيط به سطوح محدبة (شكل ب) أو مقعرة " [٤١]، (ب) ، (ج) وهنا قد أشار ابن الهيثم عند تصنيفه لأنواع المجسمات – الي مجسات متعددة الأسطح ، وأخري كروية، منها: المحدب ، ومنها المقعر . موضحا بعد ذلك كيفية إدراك أشكال هذه المجسمات، حيث أشار الي أن – بصفة عامة – كل جسم يدرك البصر منه سطحين متقاطعين، فانه يدرك تجسمه... وأن السطح المحدب إذا كان مقابلا للبصر فان أبعاد أجزائه من البصر تكون مختلفة، ويكون وسطه أقرب الي البصر من حواشيه ... فالأجسام التي سطوحها محدبة أو فيها سطح محدب إذا أدرك البصر تحديب سطوحها فانه يدرك تجسيمها[٤٢] . وهنا وضح ابن الهيثم كيفية أدراك شكل المجسم المحدب من خلال تحليله الي أسطح قريبة من البصر

تتوسطه، وأخري بعيدة عن البصر تحيط به، وأن هذا التحليل هو السبب في إدراك الشكل علي هيئته المجسمة حيث يقول "فإدراك البصر لتجسيم الأجسام إنما هو من إدراكه لإنعطافات سطوح الأجسام".

وقد أكد ابن الهيثم علي هذا المفهوم حين عرض الي كيفية ادراك السطح المقعر ومثيله المسطح ، حيث يقول : " إذا كان التقعير يلي البصر، فان البصر يدركه من إدراكه لبعد الأجزاء المتوسطة منه، (الوسطي منه)، وقرب أجزاء محيطة .. فأما استواء السطح فإنما يدركه البصر من إدراكه لتساوي أبعاد أجزائه المتقاربة وتشابه ترتيبها[٤٣]. أن دقة تحليل ابن الهيثم لكيفية إدراك الشكل المقعر، هي من أكثر الوسائل الهندسية والتطبيقية دقة لنقل مفهوم الأشكال المقعرة، وكيفية تنفيذها فنيا. فهذا التحليل يعني أن مركز الشكل المقعر هو أبعدها عن البصر أي الأكثر عمقا، وكلما ابتعد البصر عن المركز الي الأجزاء المحيطة فإن العين ترى قرب السطح منها، ومن ثم يدرك المشاهد هيئة وكيفية التقعير. وهو مالا يشعر به المدرك عند مشاهدة السطح المستوي. وذلك لتساوي أبعاد أجزائه عن مركز البصر.

٤ - كيفية إدراك العظم:

تعرض ابن الهيثم في هذه الجزئية الى تعريف العظم "بأنه هو مقدار المبصر "[٤٤]، أي هو مقدار عظم المبصر بالقياس لما حوله من مبصرات سواء أكانت هذه المبصرات تشغل عملا فنيا مسطحا أو مجسما، أم كانت هذه المبصرات تمثل جزء من الطبيعة. لكن ابن الهيثم يعترف بخلاف جمهور المفكرين في عهده (بالقرن الخامس الهجري) حول كيفية إدراك عظم المبصرات، حيث ذكر : " اختلف أصحاب التعاليم (المفكرين) في كيفية

إدراك العظم: فرأي جمهور أصحاب التعاليم أن مقدار عظم المبصر إنما يدركه البصر من مقدار الزاوية التي تحدث عند مركز البصر "[٤٥]. أي أن مقدار عظم الشيء يتناسب طرديا مع زاوية شعاع البصر (ز) عند مركز البصر، فكلما انفرجت زاوية شعاع البصر – وهي الزاوية التي تحصر ارتفاع الشيء– كلما أدرك المشاهد عظم الشيء ، أي أن إدراك العظم ناتج عن إدراك العلاقة بين حجم الشيء وبين بعده عن مركز البصر، مؤكدا ذلك ابن الهيثم حيث يذكر أن "الأشخاص المتساوية ، إذا كان بعده ابعادها من الأبعاد المعتدلة (المتقاربة) (فلا) يدركها البصر إلا متساويا ... (و) أن إدراك العظم إنما هو من قياس قاعدة مخروط الشعاع (أ) الذي يحيط بالعظم (بحجم الشخص) ، وبزاوية المخروط الذي عند مركز البصر (ب)، وبطول المخروط الذي هو بعد العظم[٤٦]. أي بعد الحجم عن البصر . من ثم فقد قنن ابن الهيثم كيفية إدراك عظم الشيء من خلال معادلة يتم بها احداث علاقة بين (مساحة قاعدة المخروط) التي تمثل حجم الشيء ، و(زاوية رأس المخروط) التي تمثل ارتفاع الشيء، و(طول المخروط) الذي يمثل بعد الشيء عن مركز البصر . فقد بسط ابن الهيثم كيفية إدراك العظم من خلال هذا المفهوم العلمي الذي يقيس من خلاله أي عظم أو حجم عن طريق مخروط الرؤية ذو الثلاثة أبعاد ، الممثلة في قاعدة المخروط وبعدها عن مركز البصر، ومقدار زاويتها . من ثم فان أدراك العظم يجب أن يكون بصورة تقديرية وعلمية.

٥- كيفية إدراك الحركة:

إن إدراك الحركة يتحقق من إدراك شئ متحرك بالقياس لآخر

ثابت. والفنان حين يعبر عن حركة الإنسان أو الطائر أو غيرهما، فإنه يضعه في وضع المتأهب للحركة، أو في وضع مائل متحرك بالقياس لما حوله من عناصر مستقرة في أوضاع ثابته . وابن الهيثم عبر عن كيفية إدراك الحركة حين أشار الي أن "الحركة يدركها البصر من إدراكه لاختلاف وضع المبصر المتحرك بالقياس الي غيره "[٤٧]، أي من اختلاف وضعه حين يسير في الطبيعة، فتتقدم أرجل وتتأخر أخري ، ويختلف ذلك الوضع من لحظة لأخرى ، كم هو متمثل لدى الحيوانات وغيرها، أو حين تختلف أوضاع الأشخاص بين مائل ومتقدم أو متأخر، وذلك بالأعمال الفنية بالقياس الي عناصر أخري رأسية كالأشكال المعمارية حيث تبدو ثابته دون حركة. من ثم فإن إدراك الحركة من منظور فكر ابن الهيثم يعكس ضرورة مقارنة أوضاع الكائنات بالقياس لبعضها البعض، وأن التركيز علي إدراك اختلاف أوضاع الأشكال هو أساس هام يجب علي الفنان التزامه حين يعبر في أعماله عن مفهوم الحركة، وهو الأساس نفسه الذي يستخدمه المتذوق حين يحاول إدراك حركة جسم ما بالطبيعة أو حركة شكل ما بالعمل الفني.

٦- كيفية أدراك ملامس السطوح:

يتعرض هنا ابن الهيثم الي تحليل كيفية دراك ما يسمي حديثا بملامس السطوح، وهي الملامس المعبرة في أعمال الفنان عن معاني الغائر والبارز، أو الخشن والناعم ، أو اللين والصلب، أو اللامع والمطفئ، وغير ذلك من التعبيرات الفنية المعبرة عن مختلف الملامس السطحية التي تعطي للعمل الفني قيم جمالية رفيعة، وتضيف علي كل عنصر من عناصر التكوين قيمة السطحية المختلفة والمعبرة عن ملمسه، فملامس سطوح الأشكال المعمارية

الحجرية منها والرخامية، تختلف عن ملامس غيرها من الأشجار أو السطوح، أو الحيوانات ، أو ثنايا الملابس، أو حتى البشرة الآدمية.

وقد تعرض ابن الهيثم بالتحليل الي كيفية إدراك بعض ملامس السطوح، حيث يقول أن الخشونة هي اختلاف وضع أجزاء سطح الجسم ، وهو أن يكون بعض أجزاء السطح شاخصة (بارزة)، وبعضها غائرة ... (و) الضوء اذا أشرق علي سطح ذلك الجسم كان للأجزاء الشاخصة الظلال علي الأجزاء الغائرة ... وليس علي الأجزاء الشاخصة إظلال"[٤٨].

ويعد تحليل ابن الهيثم من أبدع التحليلات التي تعرضت لكيفية إدراك الخشونة حيث حللها الي أجزاء بارزة وأخري غائرة متجاورة علي سطح ما وعند سقوط الضوء فان الأجزاء البارزة تسقط ظلالها علي الأجزاء الغائرة، وهو ما يحقق إدراك المشاهد للتنوع في ظلال السطوح تعبيرا عن الخشونة، والحقيقة أن لهذا التحليل أهميته التطبيقية لدي الفنان، حيث حلل ابن الهيثم كيفية تنفيذ هذا التأثير الخشن تطبيقيا علي سطح العمل الفني، وبطريقة علمية وفنية توجه الفنان نحو ضرورة التزام الخلط بين مواقع بارزة فاتحة تسقط ظلالها علي أخري غائرة داكنه ، من أجل تحقيق الإحساس بالخشونة وهو الأسلوب نفسه الذي يلتزمه المتذوق حين يشاهد ملمسا خشنا. كما تعرض ابن الهيثم بالتحليل لكيفية إدراك السطح الأملس، وهو أحد ملامس السطوح الهامة المعبرة عن كثير من عناصر العمل الفني ، أو عن كثير من عناصر الطبيعة ، حيث ذكر أن " السطح الأملس أجزاؤه متشابهة الوضع، فإذا أشرق عليه الضوء، كانت صورة الضوء في جميع السطوح متشابهه"[٤٩].

وهذا التحليل إذ ادركه الفنان استطاع التعبير من خلاله - بيسر

وبساطة – عن السطح الأملس، ومن أجل إدراك المشاهد له وكأنه أملس. أن تجانس جزئيات السطح وتشابه أوضاعها، وتلوينها بلـــون متجــانس علـــي امتداها. من حيث درجة إضاءة أو إعتام اللون، يحقق للفنان التعبير بصـــدق عن الملاسة أو النعومة، ويحقق للمتذوق إدراك ذلـــك التـــأثير بوضـــوح .
ولإدراك ابن الهيثم أهمية هذه الملامـــس المتنوعـــة فـــي الإدراك الفنـــي ، ولضرورتها لدي الفنان من أجل التعبير عن جماليات السطوح المختلفة ، فقـد حذر ابن الهيثم مما قد يتعرض له الفنان من أخطاء في إدراك بعض ملامـس السطوح ، وفي التعبير عنها بالأعمال الفنية قد حلل عدد من الأعمال الفنيـــة المسطحة والمجسمة والمصورة علي الجدران، والخشب ، والـــورق مشـــيرا الي دقة وبراعة الفنان في التعبير عما ضمته هذه الأعمال الفنية من ملامـــس شديدة الدقة والتعبير عن مختلف الملامس حيث ذكر أنه " قد يعرض الغلـــط في الخشونة (مثلا).. وذلك يكون كثيرا في الـــتزاويق (المصـــــورات) . فأن المزوقين (المصورين والفنانين) يشبهون ما يزوقونـــه مـــن الصـــور ، والتزاويق بأمثالها من الأجسام المشاهدة (بالطبيعة). وقـــد يتـــأنون لتشـــبيه الحيوانات والأشخاص المعينة (الصور الشـــخصية)، والنباتـــات، والالآت ، وسائر المبصرات المجسمة (ذات الظلال التي تعطيها بعدا ثالثـــا) ، وســـائر المعاني التي قريا بالصور المسطحة (ذات البعدين دون تجسـيم) ، وفطنـــوا للمواضع التشبيهية (التي جعلت الرسوم شـــديدة الشـــبه بـــالواقع) ، منـــهم يتلطفون (يدققون) في ذلك بالاصباغ والنقوش، فإذا صوروا صور الحيوانـــات ذوات الشعر ... والنباتات ذوات الزغـــب ، والأوراق الخشـــنة الســـطوح والجمادات (العمائر والأثاث) الخشنة ، الظاهرة الخشونة . فهم يشبهونـــها

(يصورونها) بالنقوش والتخاطيط واختلاف الأصباغ، بما يظهر من خشونة سطوح تلك الحيوانات ، وذلك النبات، وتلك الجمادات. وتكون الصور التي يعملونها مع ذلك ملسا وصقيلة أيضا (ملساء ومصقولة ناعمة) ، وكذلك يصورون أشخاص الناس ، وخشونة ما يظهر من أبشارهم بالشعر والمسام، وتكاسير لباسهم . والبصر يدرك الصور المصورة شبيهة بصورها التي هي شبيهة بها (بالطبيعة) إذا كان مزوقا (مصورا) حاذقا بصناعة التزاويق . فإذا أدرك البصر صورة مصورة علي حائط ، أو علي خشب ، أو علي قرطاس. وكانت تلك الصورة من صور الحيوانات ذوات الشعر ... ، فلن البصر يدرك الشعر منها كأنه شعر (لدقة المصور) وكذلك إذا أدرك البصر صور النباتات الخشنة الأوراق فإنه يدركها كأنها خشنة، وكذلك يدرك صور الجمادات الظاهرة الخشونة، وكذلك يدرك صور أشخاص الناس المصورة كأنها صور مجسمة وأن ما فيها من صور الشعر المتفرق (كأنه) شعر، وما فيها من الغصون كأنه غصون ، وما في تكاسير اللبس التي علي الصور المصورة كأنها تكاسير الثياب التي يلبسها الناس، مع ملاسة سطوح تلك الصور وصقالها.. وسطوح الأجسام قد يجتمع فيها الصقال (النعومة الملساء) ، والخشونة معا ، إذا كانت أجزاءها مختلفة الوضع، كانت سطوح الأجزاء المختلفة الوضع صقيلة (ملساء) ، وكانت الأجزاء الصقيلة متراصة ومتكاثفة ، كالشعر والأصداف .. وإذا انعكس الضوء منها الي البصر ، أدرك البصر صقالها"[٥٠].

لقد عرض ابن الهيثم الي أوصاف وتحليلات أعمال فنية مسطحة ومجسمة، منفذه علي خامات مختلفة ، أبدعها الفنان بكل الألوان، وإذا كان

ابن الهيثم قد حلل هذه الأعمال بهذا القدر من الدقة الجمالية ، فان ذلك يعكس قدر ما تمتع به ابن الهيثم من قدرة علي تمييز وإدراك الجمال، بل والبراعة في التعبير عما يري من دقائق كل عمل ، وكيفية إدراك ما يتسم به من ملامس مختلفة للسطوح. وهي الملامس التي أشار ابن الهيثم الي أنها متنوعة من سطح لآخر، ومن خامة لأخرى ، بل أن بعض عناصر العمل الفني قد اجتمع فيها "الصقال والخشونة معا" ، وذلك – ولاشك – يمثل رسالة موجهه من ابن الهيثم الي كل فنان من أجل إدراك الطبيعة إدراكا دقيقا، ثم التعبير عما به بصدق، وكذا كي يدرك المتذوق هذه التعبيرات بقدر يعكس جماليات الواقع الماثل أمامه.

٧- كيفية إدراك الشفافية والإعتام والظل :

تعد الشفافية اللونية من أبدع القيم الجمالية التي يعمد الفنان الي تحقيقها في أعماله الفنية : والشفافية تعني إمكانية إدراك ما خلف الأشياء أو الأشكال الشفافة. وقد أفاد ابن الهيثم في هذا الصدد أن "البصر يدركه (الشفافية) بالاستدلال من إدراكه لما وراء الجسم المشف ، و(لا) يدرك البصر شفيف الجسم المشف إلا إذا كان فيه بعض الكثافة (أو اللون رغم شفافيته) وكان شفيفه أغلظ (أكثر كثافة وإعتاما) من شفيف الهواء المتوسط بينه وبين البصر. فأما إذا كانت في غاية الشفيف (فلا) يدرك البصر شفيفه ولا يحس به، وإنما يدرك ما وراءه فقط ، فان الجسم المشف إذا كان وراءه ضوء أو جسم متلون مضيء فانه يظهر من وراء الجسم المشف ، ويحس به البصر"[٥١].

إن عرض ابن الهيثم لكيفية الشفافية يدعو الفنان الي كيفية إدراك

الشفافية بصورة علمية وبرؤية تطبيقية تساعده علي كيفية تنفيذهـا بمختلف عناصر العمل الفني ، ويتمثل ذلك علي وجه الخصوص عند مقارنـة ابـن الهيثم بين الجسم الذي به بعض الكثافة أو اللون والذي يدرك المشاهد هيئتـه وشفافيته، وبين الجسم شديد الشفافية الذي لا يمكن إدراك هيئته أو الإحساس به، وفي ذلك دعوة الي الفنان لاستخدام الدرجات ذات الشفافية المتوسطة أو العالية قليلة الكثافة عند التعبير عن الشفافية المتفاوتة الكثافة.

كما عرض ابن الهيثم الي كيفية إدراك الإعتام أو قلة الشفافية، مشيرا الي أن إدراك الإعتام أو إدراك الكثافة ... يدركها (البصـر) مـن عـدم الشفيف"[٥٢]. علي اعتبار أن إدراك الإعتام أو الكثافة عكس إدراك الشفافية. وتحقيق ذلك تطبيقا يتم بزيادة كثافة اللون أو سمكه. وإذا مـا كـان الجسـم معتما، فان الفنان يراعي تأكيد ذلك في أعمله الفنية بعمل ظل سـاقط منـه، فيعكس اتجاه الضوء الواقع عليه من مصدر ما ، ويشير ابن الهيثم الي كيفية إدراك الظل حيث ذكر أن " البصر يدركه بالقياس الـي مـا يجـاوره مـن أضواء... (أما) الظلمة فهي عدم الضوء بالجملة[٥٣] .

وقد كان ابن الهيثم شديد الدقة حين فرق بين إدراك الظل، وبين إدراك الظلمة ، علي اعتبار أن الظل أقل إظلاما وإعتاما من الظلمة، فالإظلام هـو إعتام تام. وأن التعبير الفني عن الإظلام يحتم علي الفنان اسـتخدام اللـون الأسود دون إسقاط أي ضوء عليه ودون مزجه بلون آخر أفتح منـه، علـي عكس الظل الذي تتفاوت درجات ألوانه بين الدرجات الداكنة من الإعتـام ، وبين الدرجات الفاتحة من أي لون.

سادسا- اثر الإدراك بأوضاع المبصر :

يتأثر بصفة عامة إدراك المشاهد بأوضاع ما يكـون عليـه الشـيء المرئي من تأثيرات ضوئية أو لونية أو غيرها مما قد يؤثر علـي مسـتوي إدراك، فيقوى بذلك إدراك المشاهد أو يضعف ، الأمر الذي يوفر ظروفـا لا تحقق إدراكا حقيقيا لما هو مرئي، سواء كان ذلك المرئي يمثـل جـزء مـن عمل فني، أو كان يمثل جزء من الطبيعة ،

وقد عرض ابن الهيثم الي أهم العوامل التي تؤثر علي مسـتوي إدراك المبصرات حيث ذكر ما يلي :

١-تأثر الإدراك بشدة الضوء:

أن المبصر الذي فيه ضوء يسير (شديد) .. (لا) يـدرك البصـر صورته إدراكا صحيحا، وخاصة إذا كان فيه معان لطيفـة"[٥٤]، أي نقـوش وتفاصيل دقيقة ، يشير ابن الهيثم هنا الي ضرورة مناسبة شدة الضوء مـع حجم المبصر، ومع بعده عن مركز البصر، وألا فـإن البصـر لا يـدرك صورته إدراكا صحيحا، فالضوء الشديد ، الزائد يضعـف إدراك دقـائق أو تفاصيل مكونات المبصر، كما وانه قد يوحي بزيادة حجمه، فضـلا عـن أن الضوء القوي لابد وأن يؤثر علي حقيقة ألوان المبصر فيجعلها فاتحة أكـثر مما هي عليه بالواقع، وأن الضوء الخافت يزيد من ظلال المكونات البـارزة من المبصر، ويوحي بصغر حجمه الكلي، ويضعف إدراك حقيقـة ألوانـه، ويجعلها داكنه أكثر مما هي عليه بالواقع ،

٢- تأثر الإدراك بدرجة شفافية المدرك:

" كلما كان المشف (الجسم الشفاف) أرق لونا احتاج في إدراكه الـي زيادة في الكثافة (أي يصبح أقل شفافية)، وكلما كان أقـوي لونـا ، أمكـن

البصر أن يدركه مع كثافة يسيرة (عالي الشفافية)، لا يدرك معـــها حقيقــة المبصر الرقيق اللون إدراكا صحيحا "(٥٥).

هنا يشير ابن الهيثم الي العلاقة العكسية بين قوة اللون وبيـــن درجــة الكثافة الخاصة بأي جسم مرئي شفاف، فكلما قلت قوة لونه، لابد وأن تزيـد درجة كثافته ويصبح أقل شفافية، وكلما زادت قوة لونه، لابد وأن تقل درجـة كثافته ويصبح أكثر شفافية، من أجل أن يستمتع المشاهد بجماليات الأجســام أو الأعمال الفنية مختلفة الشفافية، وهو الأمر الذي يجب أن يلتزمــه الفنــان حين يعبر عن شفافيات مختلفة في أعماله.

١- تأثر الإدراك بلون المدرك:

عرض ابن الهيثم الي أثر لون المدرك علي إدراك المشاهد له. فقـد ذكر أن الشيء المبصر إذا كان "ترابي (رمادي) اللون ، يكون أضيق مـــن عرض البعد ، بالقياس الي المبصر النقي البياض، والمشرق اللــون"(٥٦). أي أن الشيء الرمادي اللون يبدو للمشاهد وكأنه في ضباب ، فلا يدرك أبعــاده الحقيقية ويبدو أقل حجما من حجمه الحقيقي. بالقياس لغيره مـن المدركـات ذات الألوان النقية البياض، أو المشرقة الألوان ذات الألوان الفاتحــة، حيـث تعكس علي المشاهد الأبعاد الحقيقية للأشياء المدركة. كما ذكر ابن الـهيثم أن " البصر إذا أدرك المبصر في الدخان ، فانه يـــدرك لونــه ممتزجــا بلــون الدخان، فإذا كان مسفر (فاتح) اللون ، أدركه البصر مظلم اللون ، وخاصــة إذا كان البصر (اتجاهه) خارجا من الدخان.(٥٧)

يشير ابن الهيثم هنا الي أثر امتزاج لون الدخان بلون ما هو مشــاهد ، حيث يتحول لون الشيء المشاهد الي مزيج من لوني الدخان وما هو مدرك.

وفي حالة ما إذا كان الشيء فاتح اللون ، ويقع الشيء المشاهد بين الدخان وبين المشاهد فإن المشاهد يدركه داكن اللون مظلم ٠ وهذا ما يحدث دائما حين يشاهد المرء – مثلا – إنسانا ابيض اللون ومن خلفه ضوء فاتح فإنه يتم إدراكه أسود اللون، وهو ما يعرف الآن في مجال التصوير الضوئي والسينمائي بمصطلح (السيلويت) أي تعمد إظهار الشيء أو الجسم داكن أو أسود اللون، علي غير حقيقته وذلك بوضعه بين المصور ، وبين دخان أو ضوء فاتح، وهو أسلوب تم اكتشافه حديثا مع بداية تطور وانتشار التصوير السينمائي ٠

٤-تأثر الإدراك بالعلاقة بين شدة الضوء وزمن الإدراك:

" إن المبصر المختلف الألوان (لوحة ملونة مثلا) ، الذي يكون في وضع مغدر (قليل الإعتام) وتكون ألوانه قوية ومتقاربة الشبه (مثل البرتقالي الي جانب الأحمر) فان البصر إذا لمح المبصر ٠٠ لمحه خفيفة ثم التفت عنه في الحال ، فانه يظنه ذا لون واحد ، ولا يحس باختلاف ألوانه٠٠٠ من أجل خروج (قلة) الزمن الذي فيه يدرك البصر المبصر (كما أن) الضوء الضعيف جدا (لا) يؤثر في البصر في حال حصول الصورة في البصر ٠٠ إلا في زمن له قدر (كافي) لضعف قوة الضوء ٠٠٠ وضعف تأثيره ٠٠٠ (فلا) يحس باللون الممازج له إلا في زمن متنفس (كافي)"[٥٨]

عرض ابن الهيثم في هذه الجزئية الي رؤية شئ ما متعدد الألوان في ضوء خافت ٠ وأثر ذلك الضوء علي إدراك الألوان ٠ مشيرا الي أن الألوان القوية المتقاربة مثل الأحمر الي جانب البرتقالي – علي لوحة ما فان إدراكهما بالضوء الخافت لا يفرق بينهما ، خاصة إذا ما كان زمن الإدراك

قليلا ٠ إلا إذا زاد هذا الزمن ، ومنح المشاهد فرصة كافية للتدقيق من أجل الوصول الي الإدراك الصحيح للون٠ وعوضا عما يتسم به الضوء من ضعف من ثم فان زمن الإدراك بتناسب عكسيا مع قوة الضوء الساقط على الشيء المشاهد٠

٥- تأثير الإدراك بميل المدرك:

كما يعرض ابن الهيثم هنا الي علاقة الإدراك بميل الشيء المبصر حيث ذكر أنه " إذا كان المبصر أيضا مواجها للبصر يكون أبين منه نفسه إذا كان مائلا وفي موضع آخر ذكر أن " صورة المبصر المائل المسرف الميل مشتبهة (غير واضحة) وصورة المبصر المواجه بينه (واضحة)"[٦٠]٠

ويعني ابن الهيثم بذلك أنه عند روية شئ ما وليكن منظرا طبيعيا في لوحة ما، وتكون كل المكونات مائلة، فان إدراك مكوناتها يكون ضعيفا، وفي حاجة الي زمن أكبر مما لو كانت معتدلة الوضع٠ وأنه إذا ما تم إدراكها وهي مائلة الوضع فان بعض مكوناتها يتم إدراكها إدراكا خاطئا، خاصة إذا كانت هذه المكونات يدركها المشاهد للمرة الأولي٠ كما وأن المشاهد قد يدركها مائلة أي خاطئة الوضع بل وحدوث ما يسمي بالتكيف الإدراكي فقد اكتشف علماء النفس أن الناس يمكنهم أن يتوافقوا بمرور الوقت مع أنواع كثيرة من التشوهات البصرية٠٠٠٠فيمكننا أن نتعود علي مجال بصري مقلوب من أعلي لأسفل ، أو من الأمام الي الخلف ، وعلي أي مجال مائل أو منحدر" [٦١]٠ ومن ثم يتم إدراك المرئيات بتشوهاتها ، تكيفا مع ما هو مدرك، ومتكرر الإدراك٠ الأمر الذي يدعو الي التزام الأوضاع الصحيحة لكل شكل من الأشكال أو أي مبصر أو عمل فني بصفة عامة، وحتي تصبح

الصورة واضحة ، سهلة الإدراك ٠

٦- تأثر الإدراك بحركة المدرك :

كما حلل ابن الهيثم العلاقة بين الإدراك وبين سرعة واتجاه حركة الشيء المرئي حيث ذكر أن (الحركة ٠٠٠ إذا كانت مستديرة كحركة الدوامة)، وكانت شديدة السرعة ، فان البصر لا يدركها ، ويدرك الدوامة أو الجسم المتحرك بحركة الدوامة إذا كان شديد السرعة ، كأنه ساكن ٠٠ والحركة البطيئة المسرفة البطء ٠٠٠ كأنه ساكن وغير متحرك [٦٢].

فالشيء المرئي شديد السرعة أو شديد البطء يدركه المشاهد وكأنه ساكن ٠ وقد حدد ابن الهيثم اتجاه الجسم شديد السرعة في الاتجاه المستدير كحركة الدوامة لان ذلك يعني أن الجسم شديد السرعة في الاتجاه المستقيم لا يدرك وكأنه ساكن فإدراك السكون لا يتحقق إلا مع شدة سرعة الجسم وفي الاتجاه المستدير، أو مع شدة الجسم وفي أي اتجاه٠

٧- تأثر الإدراك ببعد المدرك:

وأخيرا يعرض ابن الهيثم الي العوامل المؤثرة علي العلاقة بين بعد الشيء المدرك ، وبين قوة إدراكه ، خاصة إذا ما كان هذا الشيء عملا فنيا مسطحا أم مجسم٠ وهي عوامل تحتم علي المتذوق التزامها لما لها من أهمية في إدراك الشيء إدراكا جيدا، فقد أشار ابن الهيثم الي أهمية "الاعتدال في البعد بالقياس الي كل مبصر من المبصرات بحسب لون ذلك المبصر، وبحسب المعاني اللطيفة (التفاصيل والزخارف الدقيقة) التي في ذلك المبصر، وبحسب الضوء الذي فيه وبحسب وضعه ، وبحسب حجمه وبحسب كثافته (درجة شفافيته) ، وبحسب الهواء المتوسط بينه وبين البصر (شفاف أم

غير نقي) ، وبحسب الزمان (زمن الإدراك) ، وبحسب البصر وقوته"[٦٣].

فهنا عرض ابن الهيثم الي العوامل المؤثرة علي إدراك شئ ما – مثل العمل الفني– بالقياس الي بعده عن المشاهد، وتمثلت في عوامل : اللون، والتفاصيل الدقيقة، والضوء، والوضع ، والحجم والشفافية، وهي عوامل تخص الشيء المدرك، فضلا عن عوامل نقاء الهواء الفاصل بين المدرك وبين المشاهد ، بالإضافة الي عاملين آخرين يخصان المتلقي، وهما زمن الإدراك، وقوة الأبصار . ولهذه العوامل علاقة ببعد المدرك عن المشاهد، من أجل إدراكه إدراكا جيدا، وقد أشار ابن الهيثم الي أهمية الاعتدال في بعد المدرك عن المشاهد حيث ذكر "الاعتدال في البعد بالقياس الى كل مبصر " وبحسب العوامل سالفة الذكر . وذلك يعني أن هناك علاقة هامة بين الاعتدال في بعد المدرك، وبين هذه العوامل ، فللبعد المعتدل أثر علي قوة إدراك لون الشيء أو اللوحة مثلا، فإذا ما بعد هذا الشيء عن البعد المعتدل، ضعفت ألوانه وتداخلت وتقاربت قوتها وضعف ما تشير أليه هذه الألوان من عناصر أو تفاصيل، وإذا ما قرب الشيء عن البعد المعتدل زادت قوة ألوانه، وأصبح إدراك كل لون فيها إدراكا منفصلا عما حوله من ألوان. وكذلك الحال بالنسبة للعوامل الأخرى المتمثلة فيما يتضمنه الشيء المرئي من تفاصيل دقيقة، أو من قوة ضوء ساقط عليه. كما وأنه لابد من تناسب بعد الشئ مع حجمه أو درجة شفافيته . فكلما صغرت تفاصيل العمل الفني كلما كان مفضل اقترابه من المشاهد ليكتمل لديه الإدراك، وكلما كانت قوة الضوء الساقط عليه شديدة كلما كان من الأفضل ابتعاد هذا الشيء حتي تقل قوة الضوء الساقط منه علي شبكية العين وكلما كان حجم العمل الفني كبيرا

كلما كان ابتعاده عن المشاهد افضل من اقترابه؛ من أجل إدراكه إدراكا كليا متكاملا. وكلما زادت شفافيته كلما كان من الأفضل اقتراب الشيء حتى لا تضيع أو تتداخل معالمه مع ما حوله أو خلفه من مرئيات أخري. أما الهواء المتوسط بينه وبين البصر فان قوة شفافيته تتناسب عكسيا مع قدر بعد الشيء عن البصر، لان لزيادة كثافة الهواء وعدم شفافيته أثر في إدراك التفاصيل. أما زمن الإدراك فانه يتناسب طرديا مع بعد الشيء عن البصر ، آي كلما زاد بعد الشيء عن البصر، تطلب ذلك زمنا اكثر لتمام الإدراك . كما وأن قوة بعد المشاهد تتناسب طرديا مع بعد الشئ، فكلما زادت قوة البصر كلما كان ابتعاد الشيء عن مركز البصر أفضل من اقترابه منه. بل " الاعتدال في البعد بالقياس الي كل مبصر كما ذكر ابن الهيثم.

سابعا- العناصر المؤثرة علي الإدراك الجمالي:[٦٤]

إذا ما انتبه الإنسان الي منظر طبيعي أو عمل فني ما ، فانه يبدأ في إدراك ما ينتبه أليه من خلال التعرف علي العناصر المرئية في المجال البصري، استنادا الي الخبرات الحسية السابقة واعتمادا علي العقل في تفسير هذه المدركات التي تتم تلقائيا، من خلال التفاعل بين الإنسان ، وبين العمل الفني. من أجل الوصول الي اكتشاف نظم وعلاقات توزيع وتركيب العناصر الفنية التشكيلية المكونة للعمل الفني، والمؤثرة علي الإدراك الجمالي له. ويثير أبو حيان التوحيدي (٦٥) (٤٠٠ هـ) مشكلة الإدراك الجمالي والعوامل المؤثرة فيه قائلا: ما سبب استحسان الصورة الحسنة؟ وما هذا الولوع الظاهر، والنظر والعشق الواقع من القلب والخيال الماثل للإنسان؟ أهذه كلها من آثار الطبيعة؟ أم هي من عوارض النفس؟ أم هي من دواعي

العقل؟ أم من سهام الروح؟ . " وواضح من هذا النص أن فيلسوفا معني بالتعرف علي الأصل في الإدراك الجمالي... لكنه مهتم أيضا بالوقوف علي شتي الأغراض الجسمية والنفسية "[٦٦]، والتي تصاحب الإدراك . فمن الفروض التي طرحها التوحدي هنا، هذا التساؤل الهام المتمثل في " أهذه كلها من آثار الطبيعة؟ " أي من آثار مكونات وعناصر ما هو مدرك من الطبيعة، فهذا التساؤل يشير الي دور مكونات وعناصر الطبيعة في إدراك، الأمر الذي يؤكد أن السبب في الإدراك الجمالي يرجع الي عناصر ومكونات ما هو مدرك سواء كان جزء من الطبيعة أم عملا فنيا، وأن لهذه العناصر أثرها علي الإدراك الجمالي.

وهو ما يؤكده ابن الهيثم هنا - في هذا الجزء من الدراسة - ومنهيا الي تحديد واضح لهذه العناصر الكائنة بالعمل الفني المدرك، وأثر هذه العناصر علي الإدراك الجمالي. وفيما يختص بإدراك الجمال، ويذكر ابن الهيثم أن " البصر يدركه من إدراكه للمعاني الجزئية "[٦٧] والمعاني الجزئية تعني المكونات الجزئية الخاصة بأي عمل فني ، فكل عمل مسطح أم مجسم يتكون من مكونات جزئية تتمثل في شقين، الشق الأول منهما : يتضمن العناصر التشكيلية وهي العناصر التي يتعمدها الفنان بالعمل تعبيرا عن موضوع ما، وتتمثل في : الخطوط بمختلف سمكها ، والألوان بدرجاتها المتعددة ، والكتل بمختلف أحجامها وتنوع البارز منها والغائر، والخشن منها والناعم، واللين منها والصلب، واللامع منها والمطفئ، أما الشق الثاني فيتمثل في القيم الجمالية التي يتعمدها الفنان في العمل الفني والتي تنتج عن علاقات العناصر الفنية - سالفة الذكر - بعضها البعض، والتي ينشأ عنها

تنوع عناصر العمل الفني ووحدتها وهو ما يتعمده الفنان دائما لإبداع أعمالا فنية متنوعة ومترابطة العناصر، وكذلك تحقيق الفنان لقيمة الإيقاع الذي يعني العلاقة بين الشكل والفراغ، وأيضا التناسب الجمالي بين أحجام التكوين وبين مساحته ومختلف عاصره، وكذلك تحقيق قيمة الاتزان، وهي قيمة يبدعها الفنان من خلال تحقيق العلاقات بين أوزان عناصر التكوين، حتى يشعر المتذوق باستقرار التكوين واتزانه ككل، وغير ذلك من القيم الجمالية الهامة التي تمثل هدفا دائما لكل فنان من أجل الرقي بالعمل الفني، وتحقيق الجمال الذي يدركه المتلقي ويستمتع به عبر هذه الأعمال الفنية.

فهذه العناصر الفنية والقيم الجملية تمثل ما يقصده ابن الهيثم من المعاني الجزئية والتي يذكر أنها "تفعل نوعا من الحسن بانفرادها، وتفعل هذه المعاني أنواعا من الحسن باقتران بعضها ببعض ومجتمعه، (إن) صور المبصرات (الأعمال الفنية) مركبة من المعاني الجزئية التي تبين تفصيلها، والبصر يدرك الصور من إدراكه لهذه المعاني، فهو يدرك الحسن من إدراكه (لها)[٦٨]. كما وأن المعاني الجزئية تعني العوامل المؤثرة في إدراك جماليات أي شكل أو عمل فني بصورة كلية. ويشير ابن الهيثم هنا، الي أن الجماليات تفرزها عناصر العمل الفني ومكوناته، سواء كان ذلك ناتجا عن دور كل عنصر من هذه العناصر بصورة منفردة، أو كان ذلك ناتجا عن علاقة كل عنصر مع ما حوله من عناصر، أي بصورة مجتمعة. والدراسات الحديثة لأطوار عملية الإدراك تشير الي ما ذكره ابن الهيثم هنا، من إدراك المتلقي للجمال الناتج عن النظرة المنفردة للعناصر، أو عن النظرة المجتمعة لها، فالإدراك البصري أمام العمل الفني يمر بمراحل

متسلسلة تمثل الأولي منها نظرة إجمالية للشيء المدرك، وتمثل الثانية تحليل المدرك وإدراك العلاقات الكائنة بين عناصره وتمثل المرحلة الثالثة إعادة تركيب العناصر والعودة الي النظرة الجمالية[٦٩]. وخلال انتقال المتلقي بين النظرة التحليلية للعناصر، والنظرة الإجمالية للتكوين، فانه يدرك جماليات الجزء، وجماليات الكل ، حيث أن المتلقي إذا ما ركز انتباهه علي عنصر ما فانه سرعان ما ينتقل الي إدراك علاقات ذلك العنصر بما حوله من كل . وتظل العين ويظل الانتباه في ذلك التنقل مابين الجزء وبين الكل من أجل إدراك جماليات العمل الفني.

ويستطرد ابن الهيثم بعد ذلك مصنفا المعاني الجزئية أي العناصر المؤثرة علي إدراك جماليات العمل الفني والتي ينتج عنها- بصورة منفردة، وبصورة مجتمعة - جماليات ما هو مدرك، بل .أثرها علي العمل ذاته إذا كانت خارجة عن نطاقه، وساقطة عليه من مصدر مجاور ، وقد تمثلت[٧٠] فيما يلي:

١- أثر الضوء واللون على الإدراك الجمالي: يذكر ابن الهيثم أن"الضوء يفعل الحسن ، واللون أيضا يروق الناظر"[٧١] ، ويقرن ابن الهيثم بين الضوء وبين اللون ، لما لهما من أثر مشترك علي كل جزء أو عنصر بالعمل الفني، ويقول ابن الهيثم " أن اللون مشرق عن الجسم المتلون المضيء ويمتد في جميع الجهات ... وتكون صورة اللون ممازجة لصورة الضوء "[٧٢]. وفي ذلك اشاره واضحة لما يفرزه الضوء أو اللون، كل منهما بصورة منفصلة، أو بصورة مجتمعه من جماليات، علي ما حولهما من جزئيات وعناصر العمل، أو ما يفرزه من جماليات ضمن الجماليات الكلية الناتجة عن العمل

ككل. فضلا عن دور آخر للضوء واللون يتمثل في ابراز جمال العمل ذاته، إذا ما كان كل من الضوء واللون ممتزجان وساقطان علي العمل الفني من مصدر خارجي قريب.

٢-أثر ترابط ووحدة العناصر علي الإدراك الجمالي: وهو يعد من أهم ما يعمد الفنان الي تحقيقه بالعمل الفني لم لذلك من أثر في إدراك جماليات العمل الفني، فترابط ووحدة عناصر أي عمل فني له أهميته التشكيلية والجمالية في إضفاء الإحساس بأهمية كل عنصر كجزء من كل ، وأن لكل عنصر دوره في إضافة ما لديه من قيم جمالية علي ما حوله من عناصر أخري ، فالألوان تضيف قيمتها الجمالية ككل، وكذلك الخطوط والفراغات ، وملامس السطوح وغيرها. أن في ترابط العناصر ووحدتها ينتج عنها الشعور والإحساس بعدم تفكك أو تنافر مكونات العمل الفني، وذلك يجعل منه كلا متكاملا. ويذكر ابن الهيثم فيما يختص بأهمية ترابط ووحدة العناصر تطبيقا علي عناصر الطبيعة أن الاتصال يفعل الحسن...

ولذلك صارت الرياض المتصلة النبات المتكاثفة، أحسن من المتقطع منها والمتفرق"[٧٣]وهنا يفاضل ابن الهيثم بين تكاثف واتصال وتداخل النبات ، وبين المتقطع منها والمتفرق، مفضلا المتصل منها والمتكاثف. ولكن يشير ابن الهيثم الي أهمية وجود بعض القواصل أو الفراغات " لما قد تضفيه هذه الفراغات من إحساس بجمال كل عنصر حين يدرك منفصلا، لكن في إطار الكل الموحد، حيث يشير الي أن " التفرق يفعل الحس... ولذلك صارت المصابيح والشموع أحسن من النار المتصلة المجتمعة"[٧٤] . وذلك يعكس أهمية كل من الاتصال والترابط بين العناصر، وكذلك التفرق مع تعمد إبقاء

بعض الفراغات، لإضفاء الإحساس بجمال ترابط العناصر وبجمال ما بينهما من فراغات.

٣-**أثر البعد علي الإدراك الجمالي**: يتحدث ابن الهيثم عن ضرورة تناسب بعد الشيء المدرك مع قدر ما به من تفاصيل ونقوش، فإن إدراك الجمال يتعارض مع قرب الأشياء المرئية شديدة التفاصيل، فقرب المشاهد منها يجعله يغوص في تفاصيل كل عنصر منها علي حدة، الأمر الذي يعيق تنبه المشاهد لإدراك الكل، ومن ثم عدم إدراك الجمال الكلي لما هو مرئي. حيث يذكر ابن الهيثم أن " البعد أيضا قد يفعل الحسن .. وذلك أن الصورة المستحسنة منها ما يكون فيها وشوم(نقوس) ، غصون ، ومسام تشين الصورة ... فإذا بعدت عن البصر، فضل بعد خفيت (معه) تلك المعاني الدقيقة"[٧٥]. فوضع العمل الفني أو الشيء المدرك علي بعد يتناسب مع ما به من تفاصيل، يخفف من تزاحم هذه التفاصيل ويؤكد علي إدراك الكل الجمالي لما هو مرئي

٤-**أثر التناسب[٧٦]بين عناصر التكوين علي الإدراك الجمالي**: يعد التناسب الجمالي من أهم القيم الجمالية التي يعمد الفنان الي إضفائها علي تكويناته، مثل العلاقة الجمالية بين مختلف العناصر الداخلة في التكوين ، والتي تتمثل في التناسب الجمالي بين مختلف الألوان من حيث أبعاد مساحاتها وعلاقاتها الجمالية المتجاورة. وكذا من حيث تنظيم أحجام وأبعاد الأشكال والعناصر الداخلة في التكوين ، فضلا عن العلاقات الجمالية بين أنواع ملامس السطوح، ومختلف الخطوط. وهنا يذكر ابن الهيثم أن "الوضع يفعل الحسن ... ذلك أن النقوش كلها إنما تستحسن من أجل الترتيب (التنظيم الجمالي لها داخل التكوين) ، لأن حسن الخط هو من تقويم أشكال الحروف.. فان لم

يكن تأليف الحروف وترتيبها منتظما متناسبا (فلا) يكون الخط حسنا "[٧٧]
فهنا يربط ابن الهيثم بين إدراك الجمال وبين أوضاع العناصر الداخلة في التكوين ويقصد ابن الهيثم بأوضاع العناصر الإشارة الى أهمية ترتيبها، وتنظيمها جماليا داخل التكوين علي المحورين الأفقي والرأسي، وعلاقات أبعادها بعضها البعض من حيث الأطوال والقصر أو من حيث السمك والرقع ، ضارب – ابن الهيثم علي ذلك – مثالا يشير فيه الي أهمية تقويم وتنظيم أشكال لحروف العربية الداخلة في أي تكوين كتابي وترتيبه ترتيبا منتظم متناسبا فيما بين أبعاد الحرف الواحد، وعلاقته بأبعاد ما حوله من حروف ، فلهذا التنظيم المتنوع ولذلك التناسب [٧٨] أثرهما لمباشر علي إدراك الجمال الكلي للتكوين الكتابي ، مؤكدا ابن الهيثم ذلك حين ذكر أنه " لو تساوت أواخر الحروف وأوساطها ووصولها وتعليقاتها ٠٠ لكان الخط في غاية القبح" [٧٩].

٥- العلاقة بين الجزء ولكل وأثره علي الإدراك الجمالي: يؤكد ابن الهيثم علي أن العلاقة بين كل جزء من جزئيات العمل الفني ، وبين التكوين الكلي، أثرها الكبير علي الإدراك الجمالي، فقد ذكر أن "كل واحد من المعاني الجزئية التي تدرك بحاسة البصر التي بينا تفصيلها[٨٠] وقد تفعل الحسن بانفرادها ، ولكن في بعض المواضع دون بعضها، وعلي بعض الصفات دون بعضها"[٨١] .

فيؤكد ابن الهيثم هنا علي أن لكل عنصر من العناصر التي تدركها عين المتذوق بالعمل الفني أثرها علي الإدراك الجمالي، لما قد تفعله من الحسن وهي منفردة، وقد حدد ابن الهيثم ذلك الأثر الجمالي علي الإدراك عند

الإشارة إلى أنه قد يحدث في مواضع دون أخري من العمل الفنـــي، وذلــك يعتمد – ولاشك – علي أثر كل عنصر أو جزء علي ما حوله من عنــاصر، فقد يتوافق عنصر مع ما حوله – من ناحية الشكل أو اللـــون أو الحجـم أو الملمس– في موضع ما من التكوين دون الآخر، أو فـــي عمــل فنـــي دون الآخر، وذلك يعتمد علي المستوي الإبداعي للفنان، وعلي مدي ما تفرزه هــذه العلاقات من قيم جمالية، يستطيع المتذوق إدراكها • ويستطرد ابـــن الـــهيثم قائلا " وأيضا فان هذه المعاني قد تفعل الحسن باقتران بعضها ببعض وذلــك أن الخط الحسن هو الذي تكون أشكال حروفه أشــكال مستحســنة، وتــأليف بعضها ببعض تأليفا حسنا •• فغاية حسن الخط إنما يكون من اقتران الشــكل والوضع[٨٢]، "فالمعاني الجزئية •• تفعل الحسن بانفرادها ، وتفعــل الحســن باقتران بعضها ببعض • أن الصور المركبة المتألفة مــن أعضــاء مختلفــة وأجزاء مختلفة ، يحصل لاجزائها أشــكال مختلفــة (نتيجــة لتجــاور هــذه الأجزاء، واختلاف هذا التجاوز من موقـــع لآخــر) ، وأعظــام مختلفــة ، وأوضاع مختلفة ، واتصال واقتران، ويحصل في كل واحد منها عدة معـــان من المعاني الجزئية ، وليس جميعها يكون متناسبا ومتآلفا، ، وذلك أنه ليــس كل شكل يحسن مع كل شكل ، ولا كل عظم يحسن مع كل عظم ، ولا كـــل وضع يحسن مع كل وضع ، ولا كل شكل يحسن مع كل عظم، ولا كل عظـم يحسن مع كل وضع"[٨٣]•

ان حديث ابن الهيثم هنا يشير – بدقة– الي العلاقة الدائمة بين عناصر التكوين من حيث الشكل أو العظم أو الحجم أو الوضع ، وأثر هذه الســـمات علي العلاقة بين كـــل عنصر وبين ما حوله من عناصر ، فهذه السمات التي

حددها ابن الهيثم تحكم هيئة وشكل كل عنصر، وتحدد العلاقة بين كل عنصر وآخر، بل وتجعل من العلاقات بين العناصر المتجاورة، علاقات جمالية، أو غير جمالية، فقدرة الفنان علي إبداع العلاقات الجمالية بين الأشكال أو العناصر المتجاورة في أي عمل فني هي المدخل الوحيد لتحقيق الإدراك الجمالي بين هذه الأجزاء بعضها البعض، وبين كل جزء وعلاقته بباقي التكوين، وفي ذلك دعوة لكل فنان الي التزام التناسب الجمالي بين مختلف عناصر العمل الفني، فان " كل واحد من المعاني الجزئية يناسب بعض المعاني ويباين بعضها، وكل مقدار فهو يناسب بعض المقادير، وبيان بعضها ... وتحسن الصورة باجتماع الأشكال المناسبة لأعضاء الصورة".[٨٤] فلن تطبيق التناسب الجمالي بين عناصر العمل الفني يعني اجتماع العناصر المتناسبة جماليا فيما بينها، بل هو المقياس الأساسي لتحقيق الإدراك الجمالي للعمل الفني ككل. فالحسن (الجمال الفني)إنما يكون من المعاني الجزئية، وتمامه وكماله إنما هو من التناسب والائتلاف الذي بين المعاني الجزئية" فأما القبح فهو الصورة التي تخلو من كل واحد من المعاني المستحسنة"[٨٥].

وتؤكد الدراسات الحديثة الخاصة بالإدراك الجمالي، أن المتذوق يدرك العمل الفني كمدركات حسية كلية، لها صفات تختلف عن صفات الإحساسات مجتمعة، كما أن مفهوم مدرسة الجشتالت يشير الي أن معظم الكليات تتسامي فوق المجموع الكلي للعناصر المكونة لها وقد سبق ابن الهيثم هذه الدراسات الحديثة بحوالي خمسة عشر قرنا حين ذكر أنه " إذا استقرءت الصورة المستحسنة من جميع أنواع المبصرات، وجد التناسب (بين عناصر العمل) يفعل فيها من الحسن ما (لا) يفعله كل واحد من المعاني

(العناصر) الجزئية علي انفراده، وما (لا) تفعله المعاني الجزئية أيضا التي تجتمع في الصورة باقتران بعضها ببعض[٨٦] كما وأنه" لا يدرك البصر شيئا من المعاني الجزئية (العناصر)منفردا" [٨٧] ، بل أن الإدراك الجمالي لكل عنصر يكون ضمن إطار العمل الفني ككل ، وليس بصورة منفردة، فجماليات العمل الفني ككل تفوق ما يفرزه كل عنصر من جماليات علي انفراد داخل التكوين ، لما ينشأ عن هذه العناصر من علاقات جمالية وحلول تشكيلية، وروابط بين العناصر ، لا يدركها المتذوق حين تكون هذه العناصر منفردة، فهذه الأجزاء أو العناصر يجب النظر اليها في إطار التكوين ، وفي ضوء موضوعها، ودورها ووظيفتها في الكل الذي تنتمي اليه، وهو الكل الذي يتفاعل بداخله كل جزء من أجزائه.

الخاتمة

عرض الباحث في هذه الدراسة الي موضوع الإدراك الجمالي الذي يعد من الموضوعات ذات الأهمية الخاصة لدي المتذوقين في مجالات الفنون والآثار. فلهذا الموضوع أثره المباشر علي الباحثين والمتذوقين في هذه المجالات، لما يوضحه من كيفيات إدراك مختلف الفنون إدراكا منهجيا يسمح لهم بالغوص فيما تنطوي عليه هذه الفنون من جماليات جعلتها ذات مستويات إبداعية راقية ميزتها عن غيرها من فنون الحضارات الأخري.

إن كيفيات فهم وإدراك هذه الجماليات، والرقي بالذوق الفني بطريقة منهجية عن طريق التعرض لكيفيات تحليل وإدراك الأعمال الفنية كان محور هذه الدراسات، وقد أثار الباحث شمول هذا الموضوع بفكر ومنهجية أحد

كبار العلماء الذين أثروا الفكر الإسلامي بالقرن الخامس الهجري وهو (الحسن بن الهيثم) من خلال مصدر يعد من أمهات المصادر بصفة عامة والذي بحث بجلاء ودقة في موضوع الإدراك الجمالي بصفة خاصة ، وهو "كتاب المناظر".

وقد تضمن البحث فصلين ، اشتمل الأول منها علي "مصطلحات البحث" كمدخل لتحليل معاني المصطلحات المستخدمة في البحث، فضلا عن التعرض بالتحليل لأسس و كيفيات انتظام الإدراك المتذوق ، وذلك استنادا علي الفكر المعاصر وآخر ما وصل إليه الفكر الحديث في مجال التعريف بهذه المصطلحات.

واشتمل الفصل الثاني علي موضوع البحث الخاص بالإدراك الجمالي للأعمال الفنية من منظور فكر الحسن ابن الهيثم، متضمنا سبع نقاط تعكس منهجية فكر الحسن ابن الهيثم حول الإدراك بالقياس أو المعرفة أو التمييز ، وعلاقة الإدراك بموقع البصر من التكوين، والعوامل المؤثرة علي توجيه الانتباه وثبات الادراك، والتشابه والاختلاف في الإدراك، وكيفية إدراك المتذوق لجزئيات وعناصر العمل الفني، وتأثر الإدراك بأوضاع المبصر، ثم العناصر المؤثرة علي الإدراك الجمالي.

ان هذه الدراسة ذات أهمية خاصة لما ضمته من إحياء لفكر أحد أعظم علماء المسلمين بالعصور الإسلامية ، عبر كتاب المناظر الذي يعد من أشمل وأنضج ما وصل إلينا في مجال سيكولوجية الإدراك الحسي من العصور الأسلامية.

ولما لموضوع هذه الدراسة من أهمية كمدخل أساسي لكل متذوق

وباحث من أجل التعرف علي المستويات الإبداعية لأي فن من الفنون ، حيث توصل الباحث في هذه الدراسة الــي منهجيــة كيفيــات التــذوق و الإدراك الجمالي للأعمال الفنية، وللقيم الجمالية التـــي كـــانت موضـــع بحـــث بـــهذه الدراسة، حيث أن المتذوق لا يدرك من القيم إلا ما يتعلم كيفيــــة إدراكـــه . ومن ثم كان البحث في منهجية و كيفيات الإدراك ضروريا لكل متذوق ولكـل باحث . فان الإحساس بالعمل الفني من خلال الإدراك الجمالي المنهجي هـــو أقصر طريق الي إصدار أحكاما جمالية معبرة عن مستوي الأعمـــال الفنيـــة وعن عمق الادراك .

الهوامش

(١) الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٢) كتاب المناظر ، المقالات ، ٣،٢،١، في الإبصـــار علي الاستقامة، حققها وراجعها علي الترجمة اللاتينية عبد الحميد صبرة، الكويت ١٩٨٢، السلسلة التراثية (٤) ، ص ٨ .

(٢) لندال ، دافيدوف، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب ، واخران، مراجعـــة فؤاد أبو حطب، دار ماكجروهيل للنشر ، نيويورك ، القاهرة ، ١٩٨٣، ص ٢٤٦ .

(٣) ظهر مفهوم الإدراك البصري نتيجة لما تمخضت عنه تجارب مدرسة الجشتالت في مطلع القرن العشرين علي يد مجموعة من علماء النفس النمساويين والألمان، ومعنـــي كلمة جشتالت الهيئة أو الشكل أو الصيغة " د. مصطفي الرزاز ، التحليل المورفيولوجـــي لأسس التصميم وموقف المشاهد منها، مجلة دراسات وبحوث جامعة حلـــوان ، القـــاهرة، المجلد السابع، العدد الثالث ، أغسطس ١٩٨٤ – صـــ ٥٦، ومدرسة الجشتالت لــــلإدراك البصري قد أسهمت في تبيان كيفيات إدراك المتلقي **gestalt of visual perception** ولمـــا هو سرني، وقد أشار ليفن leven في تعريفة لكلمة جشتالت الي أنه تنظيـــم عـــام تكـــون جزئياته مرتبطة ارتباطا فعالا بحيث اذا تغير احد هذه الأجزاء تبعه تغير في الشكل الكلـــي العام " عنايات يوسف ، فن الخداع البصري ، القاهرة، مؤسسة دار التعاون ، ١٩٧٥ .

(٤) بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمـــي ، عـــالم المعرفـــة ، المجلـــس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، العدد ٦٧، ١٩٨٣، ص ٢٦٣ .

(٥) جيلام سكوت، أسس التصميم ، ترجمة عبد الباقي ابراهيم وآخرون ، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة ، ص ٤٦ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٤٠

(٧) المرجع نفسه ص ٢٤٥

(٨) المرجع نفسه ، ص ٢٤٧، ٢٥٠

(٩) المرجع نفسه.

(١٠) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(١١) المرجع نفسه ، ص ٢٥٧ – ٦٣ .

(١٢) أن بحوث (ابن الهيثم) هي اشمل وأنضج ما وصـــل إلينـــا فـــي ســـيكولوجية الإدراك الحسي من العصر القديم والوسيط• وهدف ابن الهيثم في كتاب المناظر لم يكـــن مجرد إقامة البراهين علي ما جاء به السابقون في الإبصار وكيفته (أمثال بطليموس فـــي كتابه المناظر) ، والحق انه اعرض عن اراء االسابقين الا ما كان منها متفقا مـــع بحثـــه الجديد القائم علي استقراء الموجودات " وتصفح أحوال المبصرات " والترقي في البحـــث والمقاييس علي التدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج " ابن الـــهيثم ص ٣٣، ٣٤ •

(١٣) ليندال، ص ٢٥١

(١٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥٢

(١٥) المرجع نفسه•

(١٦) دائما مذكور (ليس) وفقا للغة القديمة التي كتب بها ابن الهيثم ، علـــي امتـــداد كتابه•

(١٧) ابن الهيثم ، ص ٢٢٠، ٢١

(١٨) المرجع نفسه

(١٩) المرجع نفسه ، ص ٢١٥، ١٦ •

(٢٠) عبلة حنفي، مذكرات علم النفس ، كلية االتربية الفنية،١٩٨٤، ص ٦٠

(٢١) لندال ، ص ٢٥٠

(٢٢) ابن الهيثم ، ص ٣٢٠ –٢١•

(٢٣) هناك اسس فسيولوجية للإدراك تعتمد علي كل من النظام الحســـي والمـــخ ، فالنظام الحسي يكتشف المعلومات ويحولها الي نبضات عصبية•• ويرسل معظمها الـــي المخ عن طريق الأنسجة العصبية (ليجهزها) •• وعلي ذلك يعتمد الإدراك علي عمليـــات أربع هي : "الاكتشاف ، والتحويل (تحويل الطاقة من شكل لآخر) ، والارسال ، وتجـــهيز المعلومات" • لندال ، ص ٢٥٢ – ٥٦ •

(٢٤) لندال، ص ٢٥١

(٢٥) ابن الهيثم ، ص ٣١٩

(٢٦) هناك فرق بين الإحساس والإدراك، فالإحساس يكون بالحواس كالبصر مثـــلا، بينما الإدراك يكون دائما مقره العقل، فكل حواسنا تعتـــبر منـــافذ عـــي العـــالم تســـتقبل الأحاسيس التي تدرك بالعقل.

(٢٧) ابن الهيثم ، ص ٣٢٢ – ٢٤

(٢٨) علي المسلمي ، اتجاهات جديدة في الفكر التنظيمي ، عالم الفكر ، الكويت ، مج ٣، ع ٤، ص ٨٨

(٢٩) لندا ، ص ٢٤٥

(٣٠) المرجع نفسه ، ص ٣٢٥

(٣١) المرجع نفسه ، ص ٢٥٠

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ٣٢٩

(٣٣) المرجع نفسه ، ص ٣٣٠

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ٣٣٣

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٣٣٤

(٣٦) يعتقد الباحث أن كتاب "المناظر" يعد من أقدم وأهم المصادر التي بحثت بدقـــه في كيفية إدراك مكونات العمل الفني

(٣٧) المرجع نفسه ، ص ٢٣٠ – ٢٦٥ .

(٣٨) المرجع نفسه ، ص ١١٤

(٣٩) المرجع نفسه ، ص ٢٦٠ وفي ذلك يقول أبو الوفـــا البوزجـــاني المـــهندس " الخطوط المتوازية تري من البعد مختلفة العرض " ، عن رسالة فيما يحتاج اليه الصـــانع ، ص ٦١٠ أي أن الخطوط المتوازية تري من علي البعد متقاربـــة الأطـــراف البعديـــة ، ومتباعدة الاطراف القريبة.

(٤٠) ابن الهيثم، ص ٢٦٧

(٤١) المرجع نفسه.

(٤٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٨، ٦٩

(٤٣) المرجع نفسه

(٤٤) ابن الهيثم ، ص ٢٧٣

(٤٥) المرجع نفسه، وهو تعبير علمي ادق مما قد ذكره قبله أبو الوفـــا البوزجـاني المهندس / ت: ٣٨٧هـ) بحوالي خمسين عاما، حيث قال " ان المقـــادير المتســاوية إذا وضعت علي أماكن متفرقة تري مختلفة في العظم" ، أي مختلفة في الحجم ، عن : رسـالة فيما يحتاج إليه الصانع، ص ٦٢

(٤٦) المرجع نفسه ، ص ٢٧٤، ٢٩١

(٤٧) المرجع نفسه ، ص ٢٩٨

(٤٨) ابن الهيثم، ص ٣٠٣

(٤٩) المرجع نفسه،

(٥٠) ابن الهيثم، ٤٣٤، ٤٣٦

(٥١) ابن الهيثم ، ص ٣٠٥

(٥٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٦

(٥٣) المرجع نفسه ، ص ٣٠٧

(٥٤) ابن الهيثم ، ص ٣٧٦

(٥٥) ابن الهيثم ، ص ٣٧٧

(٥٦) ابن الهيثم ، ص ٣٨٠

(٥٧) ابن الهيثم ، ص ٣٩٥

(٥٨) ابن الهيثم، ص ٣٩٦

(٥٩) نفس المرجع

(٦٠) المرجع نفسه ، ص ٣٧٣

(٦١) لندال ، ص ٢٦٨

(٦٢) ابن الهيثم ، ص ٣٧٨

(٦٣) المرجع نفسه ، ص ٣٧٩

(٦٤) الإدراك الجمالي ينتظم أساسا وفقا لأسس هي : الثبات، والشكل ، والأرضيـــة، والتجميع ، انظر الدراسة التفصيلية لها، وبالفصل الأول من هذا البحث ،

(٦٥) الهوا مل والشوامل، المسألة رقم ٥٢، ص ١٤٠

(٦٦) زكريا ابراهيم ، ابو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة ، وفيلسوف الأدباء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة أعلام العرب ٣٥

(٦٧) ابن الهيثم ص ٣٠٧

(٦٨) المرجع نفسه

(٦٩) يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨، الطبعة السابعة ، ص ١٨٣ -٨٥

(٧٠) سبق التعرض بالتحليل لمكونات العمل الفني من جزئيات وعناصر ، من منظور فكر الحسن بن الهيثم (وبالفصل الثاني، خامسا) ، وقد صنفها ابن الهيثم الى اثنين وعشرين عنصرا، وقد اعاد الباحث تصنيفها ودمجها في سبعة عناصر تحت عنوان " كيفية إدراك المتذوق لجزئيات وعناصر العمل الفني" ، وذكر ابن الهيثم لهذه العناصر هنا وبصورة أخري تحت عنوان" إدراك الجمال" هو تأكيد لاثر هذه العناصر في تحقيق الجمال بالتكوين المدرك.

(٧١) ابن الهيثم ، ص ٣٠٨

(٧٢) المرجع نفسه ، ص ١١٤

(٧٣) ابن الهيثم ، ص ٣١٠

(٧٤) المرجع نفسه ، ص ٣٠٩

(٧٥) المرجع نفسه ، ص ٣٠٨

(٧٦) التناسب الجملي هو العلاقة بين الأجزاء المختلفة لتكوين ما ، أي العلاقة بين كل عنصر بالنسبة للاخر ، وبالنسبة للكل. وكان التناسب الهندسي موضع اهتمام الفنان والمعمار عبر العصور والولايات الاسلامية ، فاستخدموا منه بعض النسب مثل ١: ٦١٨ ,١ أو ١: ٨٤ ,١، وكذلك استخدموا لديناميكي (١ : ٣) ، والمربع المتداخل الديناميكي (١ : ٢) ويذكر كريسويل Creswell, E.M.AA. Vol ١, Part ١,P ٢٩٧,٩٨ ان صناع الموزايكو لدي عبد الملك بن مروان (بالقرن الأول الهجري) كانوا مدربين علي احترام التقاليد الفنية القديمة .. (المتمثلة في التناسب الهندسي) للأشرطة الزخرفية D:C:B:A = ١: ٨٤ ,١ :٣,٣٨ " والمزخرفة لبواطن عقود قبة الصخرة بالقدس (٧٢ هـ)

(٧٧) ابن الهيثم ، ص ٣٠٩

(٧٨) يقول القلقشندي في صبح الاعشي في صناعة الانشـــا، جـــ ٣. ص ١٦٧ " ولابد من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات في ذلك للحروف"

(٧٩) ابن الهيثم، ٣١١

(٨٠) وهي "الضوء ، واللون، والبعد ، والوضع ، والتجسيم، والعظـــم، والتفــرق، والاتصال، والعدد ، والحركة ، والسكون، والخشونة، والملامسة ، والتشفيف، والكثافـة ، والظل، والظلمة، والحسن، والقبح، والتشابه، والاختلاف" • ابن الهيثم ، ص ٢٣٠ – ٧٥

(٨١) المرجع نفسه ، ص ٣١١

(٨٢) المرجع نفسه

(٨٣) ابن الهيثم المرجع السابق ، ص ٣١٣

(٨٤) المرجع نفسه

(٨٥) المرجع نفسه

(٨٦) المرجع نفسه

(٨٧) المرجع نفسه ، ص ٣١٨

المصادر والمراجع

*** بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمـــي، عـــالم المعرفـــة، المجلـــس الوطني للثقافة والفنون والآدب، الكويت ، العدد ٦٧، ١٩٨٣**

*** جيلام سكوت، أسس التصميم ، ترجمة عبد البـــاقي إبراهيـــم وآخـــرون، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة.**

*** الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٢ هـــ / ١٠٤٠ – ١٠٤١ تقريبا) : كتاب المنـــاظر للحسن بن الهيثم، المقالات (١،٢،٣) في الأبصـــار علـــي الاســـتقامة، حققـــها وراجعها علي الترجمة اللاتينية عبد الحميد صبرة، الكويت ، ١٩٨٢، السلســـلة التراثية(٤).**

• زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة سلسلة أعلام لعرب، ٣٥

* Creswell (K.A.C) : Early Muslim Architecture, Vol. ١, Part ١, Oxford, ١٩٣٢-٤٠

* عبلة حنفي، مذكرات في علم النفس ، كلية التربية الفنية ، ١٩٨٤ ،

* علي السلمي، اتجاهات جديدة في الفكر التنظيمي ، عالم الفكر التنظيمي، عالم الفكر ، الكويت ، مج ٣، ع ٤ ،

* عنايات يوسف، فن الخداع البصري، القاهرة، مؤسسة دار التعاون، ١٩٧٥ ،

* القلقشندي ، (أبو العباس أحمد) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ جـ القاهرة ، ١٩١٣ – ١٩١٧ ،

* لندال، مدخل علم النفس ، ترجمة سيد الطواب وآخرون، مراجعة فؤاد أبو حطب، دار ماكجروهيل للنشر، نيويورك، القاهرة ، ١٩٨٣ ،

* مصطفى الرزاز، التحليل المورفيولوجي لأسس التصميم وموقف المشاهد منها، مجلة دراسات وبحوث جامعة حلوان ، القاهرة، المجلد السابع، العدد الثالث، أغسطس ١٩٨٤ ،

* يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ ، الطبعة السابعة ،

جامعة القاهرة - كلية الآداب
المؤرخ المصري
يصدرها قسم التاريخ

دراسة فى وثائق السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين المنشآت التجارية و أضواء جديدة على التخطيط المعماري للفنادق والرباع في العصر المملوكى

د : مرفت محمود عيسى
كلية الآداب - جامعة حلوان

مقدمة :

من المعروف أن الوثائق مصدر هام من مصادر الدراسات التاريخية والأثرية، وهي في مجال الدراسات الأثرية مصدر أساسي لاغني عنه وذلك لدقتها ومصداقيتها في الوصف و التاريخ.

ومن الوثائق ما يحظى بأهمية خاصة وذلك لارتباطها أما بأحداث هامة ، أو شخصية جليلة أو منشآت عظيمة.

ومن هذه الوثائق وثيقتا وقف تحملان اسم سلطان حكم مصر ما يقرب من أربعة عشر عاما، في فترة حاسمة من تاريخ البلاد ، إلا وهي الفترة الفاصلة بين عصري المماليك البحرية والمماليك الجراكسة، في أواخر الفترة التي أصطلح المؤرخون علي تسميتها بعصر أولاد الناصر محمد وأحفاده.

وهذا السلطان هو الملك الأشرف شعبان بن حسين والذي سبق أن أشرت في بحث سابق، إلى أهمية وثائق وقفه، لما تتضمنه من معلومات بالغة القيمة في مجالات عديدة أهمها مجال الدراسات الآثرية.

ويحتفظ كل من أرشيف دار الوثائق القومية، وأرشيف المحكمة

الشرعية بوثيقتي وقف باسم السلطان الملك الأشراف شعبان بن حسين.
والوثيقة الأولي للملك الأشرف والمحفوظة في دار الوثائق القومية، رقم ٤٩ محفظة ٨، مؤرخة في ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٧٧هـ . وهي عبارة عن ملف من الرق، من ثمانية وأربعين درجا وبها تمزق بأولها و هوامشها . وهي تضم أوقاف الملك الأشرف وأملاكه بالشام والحجاز.[١]

وهذه الوثيقة تتضمن نصوصا لها أهميتها التاريخية والأثرية البالغة، فهي تقدم وصفا لمنشآت الملك الأشرف بالشام والحجاز وهو ما لم نجد له ذكرا في كتب التاريخ والخطط بالإضافة الي ما تقدمه لنا من نصوص رائعة توضح دور سلاطين مصر في العصر المملوكي في الاهتمام بحرمي مكة و المدينة المشرفين، وذلك من خلال ما قرره الملك الأشرف ، من ربع أوقافة، واختص به هذين الحرمين وما قرره لأميريهما[٢]

من ربع أوقافه أيضا ، مشترطا عليهما إلا يتناولا شيئا من المكوس من حاج أو زائر أو مقيم . وما قرره للقراء والمدرسين والطلبة والأيتام والمؤذنين والمادحين والمؤذنين بالحرم المكي الشريف ، بالإضافة الي ما قرره لعمارة بعض مساجدها وعيون الماء بها.

أما الوثيقة الثانية فمؤرخة في ١٣ جمادى الآخر سنة ٧٧٧ هـ ومحفوظة بأرشيف محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة (المحكمة الشرعية سابقا) بدون رقم [٣] .

أي أن هاتين الوثيقتين قد حررتا في نفس الشهر والعام، وكانت الأولى تختص بمنشآته وأملاكه و أوقافه بالشام، أما الثانية فقد كانت تضم عمائره بمصر، بالإضافة الي الوثيقة المؤرخة في ٣ رجب سنة ٧٧٥ هـ والتي

فقدت من النظار علي وقف الملك الاشرف.[٤]

ومما لاشك فيه أن دراسة وثيقة وقف الملك الأشرف ، المؤرخة في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٧٧هـ والمحفوظة بأرشيف محكمة الأحوال الشخصية، والتي لم يسبق دراستها أو نشر نصوصها، ليعتبر إضافة جديدة في ميدان الدراسات الوثائقية والأثرية نظرا لما تحويه من كم هائل من العمائر ، ومن أسماء الأماكن والخطط والدروب والحارات، مما ورد ذكره في كتب الخطط ومما لم يرد فيها.

وهذه الوثيقة عبارة عن ملف من الرق، وبعض دروجه من الورق الحموي، وعدد دروجه أربعة وخمسين درجا، يبلغ طول كل منها في المتوسط ما بين ٦٥ و ٧٤ سم وعرضه ما بين ٢٨ و ٣١ سم، وعدد سطور الوثيقة ١١٠٩ سطر.

ووجه الوثيقة مكتوب بالحبر الأسود القاتم اللون، وإن بهت في بعض السطور، مما أدي الي عدم وضوح بعض الكلمات. ويضم الوجه وثائق الوقف والضم واشهادات القضاة بثبوت الوقف وصحته، وشهادة الشهود ، ويضم التوقيعات والاشهادات. وهناك بعض الدروج مكتوبة من الظهر، وتضم مبايعات لعقارات واشهادات بصحة الوقف.

والوثيقة ليست أصلا وإنما هي صورة من الأصل تمزقت بعض دروجها، وفقد أولها وعدة دروج من باقيها وأعيد لصق الدروج في غير موضعها مما أدي الي فقد التسلسل بين آخر بعض الدروج وأول الدروج اللاحقة.

وتبدأ الوثيقة بالافتتاحية، وقد فقد الجزء الأول منها ، كما طمست

بعض الكلمات والتي كانت تتضمن الألقاب الرسمية والفخرية للأشرف[٥] ، أما الجزء الباقي فقد تضمن الدعاء للأشرف ثم اسم أبيه الأمير حسين وأسم جده الملك الناصر محمد ثم أسم وألقاب جده الأكبر الملك المنصور قلاوون (لوحة١)٠

ثم ورد بعد ذلك وصفا كاملا لعدد هائل من منشآت الملك الأشرف بالقاهرة، وورد بها أيضا الأراضي والعقارات التي وقفها، و الجارية في ملكه، بموجب هذه الوثيقة الموثقة والمشهود بصحتها، كما ورد بها أيضا شروط الواقف فيما يخص ريع أوقافه، والذي قرر فيه أن يقوم الناظر علي الوقف بالصرف علي ما يحتاج إليه الموقوف من العمارة أو الترميم وما فضل بعد ذلك يصرف بعد وفاته الي أولاده الذكور والإناث الموجودين والحادثين والي عتيقة الأمير صرغتمش الأشرفي [٦] فإذا انقرضوا بأجمعهم (سطر ٢٤٣) فإنه يصرف علي الوجه التالي:

يصرف ١٠٠٠ الريع في مصالح المارستان المنصوري يسلمه لمن له النظر علي اوقافه يضيفه الي ريع وقفه ويصرفه الي حكم ما شرطه جده مولانا السلطان الملك المنصور والباقي لعتقاء السلطان الواقف ومن توفي منهم صرف ما كان يستحقه لمن يكون مرابطا بساحل من السواحل للغزو أو ملاقاة العدو فان تعذر الصرف صرف في وجوه البر المعتادة من إطعام طعام وتسبيل ماء عذب وخلاص مسجون وتكفين موتى المسلمين وتجهيز الغزاة والحجاج والزائرين وفك أسري المسلمين وغير ذلك من القربان (سطر ٢٥٥-٢٥٧)٠

ثم ورد بعد ذلك شرط الواقف لمن يكون له النظر علي وقفه٠ وكان

علي النحو التالي:

١- السلطان الأشرف شعبان ابن حسين الواقف مدة حياته - ثم من بعده،

٢- البالغ الرشيد من ذريته بمشاركة السادة الموالـــي الأمــراء: الأشــرفي السيفي بهادر الجمالي[٧] والمقر الأشرفي السيفي طشتمر العلائي[٨] والمقــر الأشرفي الناصري محمد بن المرحوم آقبغا آص [٩] الاستادار[١٠] والجنــابين العاليين الأميرين عز الدين دينار اللالا الآشرقي[١١] محي الديــن الجمــدار الآشرقي [١٢] فإن تعذر نظر الرشيد من أولاد الملك الاشرف استقل بالنظر

٣- الأمراء الأربعة المذكورين أعلاه . فإذا أنقرضوا جميعا

٤- من هو أهل للنظر من الذكور من أولاد الواقف بمشـــاركة رأس نوبــة الأمير الجناب السيفي أرغون شاه[١٣] . فإن تعذر مشاركته فلمن له النظـــر علي وقف الخانقاه التي بسوق الخيل. فإن تعذر ذلك.

٥- استقل رأس نوبة النوب[١٤] بالنظر.

كما ورد في الوثيقة أيضا الشروط المصطلح عليها في كتب الوقـــف ثم الفقرات الجزائية المتواتر عليها في وثائق الوقف عامة، ثـــم ورد تـــاريخ الوثيقة وهو الثالث عشر من شهر جمادى الأخرة سنة ٧٧٧هـ.

وتحمل الوثيقة اشهادات عديدة ، أثنان منها بتاريخ ٧ رمضان سنة ٧٧٧ هــ وثالث بتاريخ ٢١ رمضان ٧٧٧هـ ورابـــع بتـــاريخ ٢٧ رمضـــان سـنة ٧٧٧هـ ، وخامس بتاريخ ٤ شوال سنة ٧٧٧هـ (لوحــة٢). ويلـــي ذلــك اشهادات خمسة ، في أعوام تالية لعام الوثيقة [١٥] وهي أعـــوام ٨٣٥هـــ ، ٨٥٢، ٨٥٣هـ، ٨٥٩هـ، ٨٩٩هـ (لوحة ٣).

وهــذه الــوثيقة تتضمـــن، كما ذكرنا، عددا هائلا من منشآت الملك

الأشرف شعبان بمصر وهي منشآت لم يرد ذكرها في كتب الخطط أو التاريخ المؤرخة للعصر المملوكي، ومن هنا تتضح أهمية الوثيقة خاصة وأنها تناولت بالوصف الدقيق هذه المنشآت مما جعل من اليسير معرفة شكل وتخطيط بعض أنواع العمائر المملوكة خاصة ما ورد وصفه في المصادر إشارة لاتفصيلا.

ونظرا لكثرة ما تحويه هذه الوثيقة رأينا البدء بنشر ما تحويه من منشآت تجارية ، لاسيما وقد ألقت الضوء، وبوضوح، علي أنواع من العمائر التجارية المملوكة مما لم يعثر علي وصف كامل ودقيق له في كثير من وثائق ومصادر هذا العصر، بالإضافة الي اندثار هذا النوع من المنشآت وقلتها وأعني بها الفنادق والرباع ، تلك العمائر التي لم تحظ بالشهرة التجارية أو الانتشار مثلما حظي به باقي أنواع العمائر التجارية الأخرى من قياسر ووكالات ، وان كانت قد ساهمت هي الأخرى بدور في قاهرة المماليك واحتلت مكانها علي خريطة القاهرة الاقتصادية في العصر المملوكي.

عمائر الملك الأشرف:

الأشرف شعبان هو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية [١٦] ، ولد سنة ٧٥٤هـ بقلعة الجبل. والده هو الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون.

وتولي الأشرف السلطنة سنة ٧٦٤هـ ، وله من العمر عشر سنين [١٧] ، واستمرت سلطنته حتى قتل سنة ٧٧٨هـ - ويتسم عهده بسوء الأوضاع الداخلية واشتداد تيار الأخطار الخارجية كما كان عهده أيضا حلقة

من حلقات تدهور الاقتصاد المصري في ذلك العصر ،[١٨]

ولقد كان الأشرف من أجل الملوك سماحة وشهامة وتجملا وسؤددا • وكان ملكا جليلا شجاعا مهابا كريما هينا لينا محبا للرعية، قيل بأنه لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن خلقا وخلقا •[١٩]

ويبدو من خلال ما ذكرته المصادر أن الملك الأشرف كان محبا ومشجعا للعمارة والفنون، ففي عهده مشي سوق أرباب الكماليات من كل علم وفن ، ونفقت في أيامه البضائع الكاسدة من الفنون والملح، وقصدته أربابها من الأقطار وهو لا يكل من الإحسان إليهم ، حتى كلمة بعض خواص في ذلك، فقال : أفعل هذا لئلا تموت الفنون في دولتي وأيامي [٢٠]

ويبدو أيضا من خلال ما خلفه من عمائر، رغم اندثارها، أنه كان محبا للعمارة والبناء، ويبرهن علي ذلك ما حفلت به وثائق وقفه من منشآت عديدة تميزت بثرائها وفخامتها وتنوعها •

فمنشآت الأشرف داخل مصر وخارجها تمثل مجموعة متكاملة من كل أنواع العمائر ، فهي تتنوع بين المدارس والخانقاوات والبيمارستانات والأسبلة والقصور والدور والرباع والفنادق و الحمامات وغير ذلك من أنواع العمائر الأخرى، وهذه الأنواع رغم اندثارها إلا أن وصفها مازال قائما وخالدا في صفحات وثائق وقفه•

١- عمائره بالحجاز:

يتضح من خلال وثيقة وقف الملك الأشرف [٢١] اهتمامه بحرمي مكة والمدينة • ومن أهم عمائره بالحجاز البيمارستان بمكة، والذي لم تحدد الوثيقة موضعه، والميضأة بباب علي [٢٢] بالحرم المكي الشريف، كما جدد

مسجد الخيف بمنى[٢٣] ورباط السدرة بمكة[٢٤] ورصد الأموال لتنظيف عيون ماء حنين[٢٥] والجوبانية[٢٦] .

كما رتب الملك الأشرف بالحرم المكي دروسا في الفقه ، على المذاهب الأربعة، ودروسا في الحديث. كما رتب القراء والمؤذنين والمادحين. ورتب الطلبة لدراسة الفقه والحديث ، ورتب الأيتام والمؤدبين وقرر لهم الرواتب التي تصرف من ريع أوقافه، فضلاً عما يصرف لهم من النفقة والكسوة واللوازم الشرعية.

٢- عمائره بالشام:

أما الشام فقد قلت عمائره بها وكثرت أوقافه، فقد تعددت أملاكه ببلاد الشام، وذكرت الوثيقة أسماء العديد من القرى التي وقفها الملك الأشرف ببلاد الشام منها قرية من عمل الكرك (كرك الشوبك)[٢٧] وقرية من أعمال حماه[٢٨] وقري من أعمال حلب[٢٩] مثل العنيتاب[٣٠] والدربساك[٣١] وقريتين من جبل سمعان[٣٢] وقريتين من عمل معرة النعمان[٣٣] وأخرى في نابلس.

وهذه القرى أوقفها علي عمائره بالحجاز وما رصده لأمرائها وما أحدثه من وظائف في الحرم المكي، سبق الحديث عنها، كما رصد ريعها أيضا للصرف منه علي رباط السدرة وعلي عمارة مسجد الخيف وعلي تنظيف وإصلاح عيون الماء. بمكة ومنى وعرفات وغير ذلك من وجوه البر.

أما ما أنشأه بالشام فقد كان البستان والحمام بالكرك ، و من المعتقد أيضا أنه شيد قلعة كرزال، وهي قلعة صغيرة على رأس جبل ، من أعمال

حلب، استجدت في سنة نيف وسبعين وسبعمائة[٣٤] .

٣- عمائر الأشرف بمصـــــــر:

أما عمائره بمصر فقد تضمنتها وثيقة وقفه المؤرخة في ١٣ جمـادي الآخر سنة ٧٧٧هـ ، بالإضافة الي الوثيقة المفقودة والمؤرخة في ٣ رجـب سنة ٧٧٥هـ .

ومن أهم منشآته بمصر مدرسته التي أنشـأها بـالصوة [٣٥] تجـاه طبلخاناه قلعة الجبل [٣٦] . والتي ورد ذكرها دون وصفها في وثيقـة وقفـة وذلك لأنه لم يكن قد تم بناؤها عند تحرير الوثيقة المؤرخة في ١٣ جمـادى الآخرة سنة ٧٧٧هـ . فهذه المدرسة شرع في بنائها في شهر صفـر سـنة ٧٧٧هـ [٣٧] وتمت بعد وفاة الأشرف في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ ، ولـم تستمر طويلا فقد هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق[٣٨] سنة ٨١٤هـ ، وشيد مكانها السلطان المؤيد شيخ بيمارستانه سنة ٨٢٣ هـ[٣٩] .

وهذه المدرسة وصفتها المصادر بأنها كانت مـن محاسـن الدنيـا، ضاهي بها الملك الأشرف مدرسة عمه السلطان الناصر حسن بالرميلة تجـاه قلعة الجبل[٤٠] .

ومن منشآته أيضا بجوار المدرسة ، السبيل بـالعلوة بـالمحجر ودار البقر وعدة دور وإسطبلات ذكرتها الوثيقة المفقودة والمؤرخة في ٣ رجـب سنة ٧٧٥هـ ، وأشارت اليها الحجة المتأخرة و المؤرخة في ٤ ربيـع الأول سنة ١١٩١هـ .

ومن أعمال الملك الأشرف بالقلعة ، إنشاء القاعة الإشـرافية التـي بـالـقلعة داخل دور الحرم[٤١] كما جدد الدور السلطانية في عامي ٧٦٩هـ

و ٧٧٤ هـ علي أثر حريقين شبا بها[٤٢]

ومن أعماله الحربية إصلاح مدينة الإسكندرية وعمارة أسوارها بعد حمله بطرس لوز جنان عليها سنة ٧٦٧هـ [٤٣]

أما منشآته المدنية والتجارية والعامة والتي ورد وصفها كاملا في وثيقة وقفه، فهي عديدة فقد شيد الأشرف كما هائلا من القصور والدور والإسطبلات[٤٤] والحمامات والرباع والفنادق وغيرها.

فحول قلعة الجبل وبالقرب منها شيد الأشرف شعبان عددا من القصور والدور، وقد يكون في ذلك مقلدا لجده الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي شيد العديد من القصور حول قلعة الجبل وبالقرب منها وذلك لخاصة أمراءه ومماليكه[٤٥] .

فقد شيد الأشرف قصرا منيفا بسويقة منعم[٤٦] كان يضم عددا هائلا من القاعات والمقاعد والطباق ، فضلا عن ذلك كان يحوي طبلخاناه ومجموعة من البيوت السلطانية[٤٧] .

ومن الدور التي عمرها الملك الأشرف بظاهر القاهرة ، دارا واسطبلا بخط بستان سيف الإسلام[٤٨] ، وأخري بنفس الموضع أي بحكر الغتمي [٤٩] ، وشيد ثالثة بحضرة الكبش[٥٠] .

أما ما عمره الملك الأشرف شعبان بخط بين القصرين وبالقرب من الجامع الأزهر فعديد، وتنوع بين دور مستقلة بذاتها ودور متلاصقة ومجموعات سكنية. فقد أنشأ دارا داخل باب النصر مقابل وكالة قوصون[٥١] وعمر أخري قريبة من ذلك، بحارة الروم السفلي بخط الجوانية[٥٢] .

كـــما عمر دارا بـــدرب السلسلة[٥٣] وعمر ثـــلاثة دور واصطبلا ملحقا بهم يدرب الخضيري[٥٤] بخط الخرنفش[٥٥] ، وعمر رابعة بنفس الخط، بـــالقرب من رحبة أبى تراب [٥٦] ، كما عمر دارا برحبة الصاحب موفق الديـــن[٥٧] ، وأخري بحارة الجودرية٠[٥٨] وعمر الملك الأشرف شعبان عدة قاعات جليلة أهمها القاعة بخط ابن عبود[٥٩] والقـــاعتين بخـــط الخـــوخ الســـبع بجـــوار الأبارين[٦٠] كما عمر اسطبلا ودارين متقابلتين بحارة كتامة [٦١] بخـــط درب القماحين[٦٢] ٠

المنشآت التجارية بالقاهرة في العصر المملوكي

حرص ملوك وأمراء دولة المماليك علي إنشاء العمـــائر ذات الصفـــة التجارية، تلك العمائر التي تدر عائدا شهريا أو سنويا ، وأوقفت هذه العمـــائر علي منشآتهم الدينية من مدارس ومساجد وخانقاوات، كمـــا أوقفوهـــا علـــي الاسبلة والكتاتيب والزوايا والبيمارستانات وغيرهـــا مـــن أنـــواع العمـــائر الأخري٠

فمن المعروف ان هذه المنشآت كان يتطلب بقاؤها واســـتمرار أدائـــها لوظائفها وجود الأوقاف الثابتة للصرف عليها وعلي العاملين والمقيمين بـــها، ولعمارتها٠

ورغم ان ملوك وأمراء هذه الدولة قد أوقفوا الأراضـــي والعقـــارات علي هذه المنشآت، إلا أن حرصهم كان بالغا علي إنشاء هذه العمائر وجعلـــها ضمن أوقافهم علي عمائرهم ذات النفع العام٠

ولقد ساعد علي إنشاء العمائر التجارية بكثرة في العصر المملوكي،

المركز العالمي الذي حظيت به مصر في هـــذا العصـــر بالنســبة للتجــارة العالمية.

فمصر في العصر المملوكي كانت قبلة التجار من جميـــع الأنحـــاء، ومحط أنظارهم ورحالهم، فشهدت رواجا تجاريا لم تشهده عصورها الســـابقة ولا اللاحقة.

ومما لاشك فيه أن الاهتمام بهذه المنشـــآت وكثرتـــها فـــي قـــاهرة المماليك، كانت انعكاسا للدور الذي لعبه المماليك في تاريخ التجارة الدوليـــة في ذلك العصر، نتيجة انقطاع طرق التجارة الدولية من الشرق الـــي أوربـــا بسبب حروب المغول والصليبيين، واتخاذ الطرق البحريـــة مـــرورا بـــالبحر الأحمر ، ثم عبر أراضي مصر الي البحر الأبيض المتوسط وما تبع ذلك مـن سياسات اقتصادية كسياسة احتكار التوابل وغيرها، وهو ما يتطلب إنشاء هـذه المنشآت التي تفي بهذه الأغراض التجارية.

فمثلت هذه المنشآت جانبا استثماريا هاما في حياة القاهرة لمـــا تـــدره من دخل وفير [٦٣]

ولقد حفلت وثائق ومصادر العصر المملوكي بمجموعة هائلـــة مـــن المنشآت التجارية ، فنادرا ما خلت وثيقة من وصف أو ذكر لمنشأة تجاريـــة ، إذ حرص ملوك دولة المماليك وأمرائها ، وغيرهم علي بناء هذا النوع مـــن المنشآت بجوار منشآتهم الدينية [٦٤] والمدنيـــة [٦٥] ، كما شيدت أيضا فـوق أو بجوار منشآت عامة [٦٦] ، وأحيانا شيدت مستقلة[٦٧] .

والمنشآت التجارية تتعدد أنواعها فمنها الوكالة والخان والقيســـارية . ومنها أيضا الربع والتربيعية والفندق.

فأما الوكالة فتطلق على تلك العمائر التـــي أعــدت ســكنا للتجــار الشرقيين وحفظ بضائعهم، وهي تجمع بين وظيفتي الفندق والخان ، إلا أنها أكبر منهما من حيث المساحة وأكثر دقة من حيث التخطيط[٦٨] .

ومن أشهر الوكـــائل المملوكيـــة وكالـــة قوصـــون التـــي وصفـــها المقريزي[٦٩] بقوله: هذه الوكالة في معني الفنادق والخانات ينزلـــها التجـــار ببضائع بلاد الشام، كانت دارا فأخربها وما جاورهـــا الأمـــير قوصـــون[٧٠] وجعلها فندقا كبيرا الي الغاية وبدائرة عدة مخازن، ويعلو هذه الوكالة رباع،

أما الخان فكلمة فارسية معناها منزل أو سوق، وهي عبارة عن بنـــاء هندسي يتكون من عديد من الحجرات تحيط بفناء مكشـــوف ويضـــم غالبـــا طبقتين فوق بعضهما، يحوي الدور الأول من الداخل إســـطبلات، وبجـــواره من الخارج صف من الحوانيت الصغيرة ذات الشكل المألوف، أمـــا الأدوار العلوية فكانت مقسمة عموما الي مساكن[٧١] .

ومن أشهر خانات القاهرة المملوكية خان الزراكشة[٧٢] الذي وصفتـــه الوثيقة بقولها:

.... ويجاور ذلك الباب الكبير المذكور فيه يتوصل منه الي بـــاب الخـــان المعروف بخان الزراكشة المذكورة فيه يدخل منه الي فسحة مفروش أرضـــها بالبلاط الكدان بها مخازن دايرة وبيرما معين يقابلها ساحة لطيفة ثم يتوصـــل من ذلك الي فندق صغير ومنافع وحقوق وبدهليز الخان المذكور فيـــه بابـــان يدخل من كل منهما الي سلم يتوصل منـــه الـــي طبـــاق دايـــرة متجـــاورة ومتطابقة،

مـــن أنواع المنشآت التجارية أيضا القياسر، وهي نوع من الأسواق تضم عددا من الحوانيت التجارية، كما أنها تختص ببيع نـــوع معيـــن مـــن البضائع ، وغالبا ما كان يعلو البناء ربع لسكن الأجانب وغير الأجـــانب(٧٣) ، مثل قيسارية بيبرس وقيسارية بكتمر وغيرهما(٧٤).

أما الرباع:

فهي مساكن علوية ، تحتها عـــادة وكـــائل للتجـــارة (٧٥) أو قياســـر (٧٦) أو فنادق(٧٧) أو حوانيت. ولكل ربع غالبا مدخل يتصل مباشـــرة بســـلم داخـــل واجهة البناء يصعد من عليه الي مساكن الربع المخصصـــة لســـكني النـــاس بالأجرة. وأحيانا يبني الربع مستقلا، وفي هذه الحالة كان عادة يعلو حوانيـــت أو اسطبلات. والربع في اللغة هي الدار بعينها حيث كانت وجمعـــها ربـــاع وربوع وأرباع وأربع (٧٨) . والتربيعية أيضا ، هي إحدى المنشآت التجارية، وهي عبارة عن بناء مكون من مجموعة من الحوانيت، تتفاوت أعدادها مـــن تربيعه لأخرى(٧٩) ، وتتوزع غالبا علي أضلاع البناء الأربعة، ومن المعتقـــد أن هذا هو سبب تسميتها بالتربيعية، ويلحق عادة بالتربيعية عـــدة مقـــاعد(٨٠) وقد يعلوها طباق(٨١) .

وهذا النوع من المنشآت التجارية يعد نادرا إذا مـــا قـــورن بـــأنواع المنشآت التجارية الأخرى(٨٢) ، التي ازدانـــت بـــها القـــاهرة فـــي العصـــر المملوكي، إلا أنها رغم ذلك شغلت مكانا ولو صغيرا علي خريطـــة القـــاهرة التجارية في العصر المملوكي. والفندق هو أيضا أحد المنشـــآت التجاريـــة، وهو عادة ملحق بمنشأة

تجارية أخري هي الربع، فالفنادق لم تكن تبني مستقلة وإنما كان يعلوها في أغلب الأحيان رباع للسكن.

ومن الفنادق القاهرية المملوكية فندق دار التفاح والذي تحدث عنه المقريزي[٨٣] فقال:هذه الدار تجاه باب زويلة ترد إليه الفواكه علي إختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين القاهرة. وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة. ونستنتج من كلام المقريزي عن الفنادق ومما جاء ذكره في الوثائق أنها كانت تشتمل عادة علي مجموعة من الحوانيت بظاهرها وساحات ومخازن بدائرها من الداخل، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في الصفحات التالية.

المنشآت التجارية في وثيقة الملك الأشرف:

أنشأ الملك الأشرف شعبان بالقاهرة عددا لا بأس به من المنشآت التجارية ، وهو ما ورد في الوثيقة، ولكنه عدد قليل إذا ما قورن بما خلفه سلاطين هذا العصر من هذا النوع من المنشآت ، وبما خلفه هو أيضا من منشآت مدنية وغيرها. ولكن من الواضح أن ما وصلنا وصفه من منشآت تجارية للأشرف شعبان ليس بالعدد الحقيقي لمنشآته التجارية، فمما لاشك فيه أن هناك عدد آخر منها قد تضمنته وثيقة وقفه المفقودة.

والمنشآت التجارية في وثيقة الأشراف ، ورد وصف أغلبها كاملا ، مما أفاد الي حد بعيد في معرفة موقعها وتخطيطها، وإن كانت هذه المنشآت لم تتنوع كثيرا وإنما اقتصرت علي الفندق والربع.

أما الحوانيت فقد شيد عددا هائلا منها، إما ملحقا بعمائره المدنية أو مستقلا مثل المجموعة التي شيدها بخط الوراقين[٨٤] بالقاهرة وكانت تشتمل

علي تسعة وعشرين حانوتا وأربعة مقاعد وحجرة ، أطلقت عليـــها الوثيقـــة حجرة الولاية.[٨٥]

وهذه المجموعة انشأ منها واحـــد وعشـــرين حانوتـــا متجـــاورين، بالإضافة الي المقاعد الأربعة والحجرة ، وثمانية أخري منها ستة بسوق العنبرين[٨٦] واثنين بالقرب من قيسارية علم الدين الخياط[٨٧] .

وهذه المجموعة وصفتها الوثيقة بقولها:

جميع الحوانيت والحجرة الآتي ذكر ذلك فيه وذلك جميعه/ بالقـــاهرة المحروسة يشتمل ذلك علي تسعة وعشرين حانوتا وأربعة مقاعد والحجـــرة المعروفة بحجرة الولاية / وذلك كله سفل أو علـــو يشـــتمل كـــل الحوانيـــت المذكورة علي مسطبة ودراريب وداخل منـــها واحـــد وعشـــرون حانوتـــا/ والمقاعد الأربع متجاورات لها حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الـــي الطريـــق في الجدار الفاصل / بين ذلك وبين قيسارية للعنبر[٨٨] والي حانوت يعـــرف بوقف القطبية والي ربع القطبية[٨٩] والي حجرة بالجوار وفي هذا الحد ســبعة حوانيت/ والمقاعد الأربعة وباب الحجرة والحد البحري ينتهي الـــي المســجد المعروف بالجعبري [٩٠] والي حانوت والحد الشرقي ينتهي الـــي/ الحوانيـــت المعروفة بالخفاقين [٩١] والي التربيعة المعروفة باليـــهود[٩٢] وفيـــه أبـــواب حوانيت والحد الغربي ينتهي الي حجرة الجوار / والـــي .... والـــي الطريق وفيه ابواب حوانيت والي الساحة أيضا وفيه باب أحد المقاعد/ ومـــن ذلك ستة حوانيت ويوجدان بسوق العنبرين القبلـــي مـــن ذلـــك الـــي ســـوق اللجميين[٩٣] والحد البحري ينتهي الي الطريق/ والحد الشرقي ينتـــهي الـــي حانوت .... والحانوتان الأخران حدهما القبلي الي قيسارية علـــم الديـــن / الخياط.

وبهذا الوصف والتحديد فإن هذه المجموعة من الحوانيت والمقاعد كانت تقع في المنطقة المحصورة حاليا بين جامع الشيخ مطهر[٩٤] وبين الضلع الجنوبي لجامع الملك الأشرف برسباي بشارع الأشرفية وماخلفه، ومن المحتمل أن جزءا كبيرا من هذه الحوانيت قد زال عند فتح شارع السكة الجديدة (شارع جوهر القائد) ، كما زال الباقي منها ، قبل ذلك ، عند بناء جامع الأشرف برسباي وبالإضافة الي هذه المجموعة شيد الملك الأشرف شعبان ربعين خارج بابي زويلة[٩٥] والباب الجديد [٩٦] ، كما شيد ربعين آخرين بالقاهرة أحدهما بخط بين القصرين[٩٧] وكان يعلو فندقا ، كما شيد آخر بالقرب من المشهد الحسيني بالقاهرة. وقد وصفت الوثيقة أحد هذه الرباع فقالت[٩٨] . وجميع الربع الكامل أرضا وبناء وغير القطعة.. / الربع ... يجاوره الآتي ذكر ذلك وصفه وتحديده وذلك بظاهر القاهرة المحروسة/ .. الحقوق ويحيط بذلك حدودا أربعة الحد القبلي ينتهي الي الطريق المسلوك فيه .. / والحد البحري ينتهي الي الدار المعروفة بروح الجناب السيفي طشتمر [٩٩] الساقي والحد الشرقي .../ الي الإسطبل المخلف عن الجناب السيفي أرغون اللحياوي [١٠٠] والجدار الذي به دهليز الإسطبل مشترك بين الإسطبل والربع المذكور أعلاه الحد الغربي ينتهي الي الطريق المسلوك.. السلطاني[١٠١] وغيره وفيه الحوانيت ومساطبها[١٠٢] وطاقات الطباق المذكور بحدود وحقوق . وهذا الربع لم يرد وصفه كاملا، كما هو واضح من النص الوثائقي (لوحة ٥) ومن المحتمل أن وصفه قد ورد في الجزء الأول من الدرج الخامس عشر، والذي تمزق أوله وأعيد لصقه بطريقة أفقدته جزءا كبيرا مما كان يحويه، والذي كان يتضمن بالقطع وصف الربع.

ويتضح من خلال ما ذكرته الوثيقة في وصف هذا الربع أنـــه كـــان يتكون في طوابقه العلوية ، من مجموعة مـــن الطـــباق تعـــلو مجموعة من الحوانيت وإسطبل في الطابق الأرضي٠

كما يتضح لنا أيضا من خلال تحديد الوثيقة لمكان هذا الربـــع، أنـــه كان يقع بشارع المظفر[١٠٣] (لوحة ٦) ، ومن المعتقد أن موضعـــه يشـــغله الآن العقارات الواقعة علي يسار الداخل بهذا الشـــارع (لوحـــة ٧) ، وهـــي عبارة عن مجموعة من الحوانيت وسبيل يوسف بك [١٠٤] ٠ وبالبحث خلـــف هذه العقارات تبين لنا وجود بقايا أبنية قديمة مكونة من حـــائطين متـــهدمين، فتح بأحدهما فتحة باب مستطيل الشكل معقودة بعقد نصف دائري، تجاورهـــا فتحة نافذة صغيرة٠ كما فتح بنفس الحائط ، في مستوي أكثر انخفاضا فتحـــة كانت تؤدي الي ممر أو حجرة صغيرة مغطاة بقبو، تهدمت ولم يتبق منـــها سوي فتحة الدخول (لوحة ٧) ، ومن المحتمل أن تكون هـــذه الأبنيـــة بقايـــا الطابق الأرضي من ربع الملك الأشرف شعبان بن حسين[١٠٥]

أما الربع الثاني من رباع الملك الأشرف فقد وصفته الوثيقة وحـــددت موضعه [١٠٦] علي النحو التالي : جميع / الحوانيت التســـعة والإســـطبل ٠٠ وهو الربع العالي علي ذلك وعلي الحوانيت الأربعة الخارجة عن هذا الوقـــف / وذلك بالقاهرة المحروسة بخط الصالحية[١٠٧] ٠٠٠ بجـــوار ســـكن المقـــر السيفي قشتمر[١٠٨] المشتمل كل الحوانيت التسعة علـــي مســـطبة / وداخـــل ودراريب [١٠٩] وظله وسقيفة ومرافق وحقوق ويشتمل باقي ذلك علي ثلاثـــة أبواب أحدهما مقنطر[١١٠] بعتبة سفل / صوانا [١١١] يعلوه شباك حديد يغلـــق عليه زوجا باب يدخل منه الي إسطبل مسقف غشيما[١١٢] به باتكتان معقودتان

بالحجر/ بمرافق وحقوق والباب الثاني مقنطر يغلق عليه زوجا باب يدخل منه الي سلم معقود بالبلاط الكدان[١١٣] ويصعد من عليه الي دور أول به خمس طباق متجاورات تشتمل كل منها علي مرافق وحقوق ويصعد من باقي السلم/ الي دور ثاني به ست طباق متجاورات تشتمل كل منها علي ايوان ودور قاعة ومرحاض وطاقتان مطلتان/ علي الشارع المذكور يصعد من بقية السلم المذكور الي السطح العالي علي ذلك المحطربا٠٠ والي قناة خالصة لذلك/ والباب الثالث مربع يغلق عليه الي رواقين متطابقين يشتمل كل منهما علي ايوان ودور قاعة وطاقات مطلات / علي الشارع المذكور ويجاوره مطبخ ومرحاض ولذلك سطح خاص ومرافق وحقوق ويحيط بذلك حدود / أربعة الحد القبلي ينتهي الي بعض حقوق دار المقر المرحوم السيفي قشتمر والحد البحري ينتهي بعضه من / سفله الي الطريق المسلوك فيه من سويقة حارة الصالحية[١١٤] الي درب الحجر [١١٥] وغير ذلك وباقي الحد في سفلة / ينتهي الي جانب الحانوت القبلي والحوانيت الأربعة المذكورة الخارجة عن هذا الوقف وينتهي الحد المذكور بجملته من العلو/ الي قصاد الطريق المسلوك منها الي درب الحجر المذكور وفيه الطاقات والروش [١١٦] من حقوقه و الحد الشرقي ينتهي / الي أدر تجري في ملك ملاكها وبعض الدار السيفية قشتمر المذكور والحد الغربي ينتهي بعضه من سفله الي الطريق المسلوك/ وفيه الحوانيت التسعة ومساطبها وتطل بقية الطباق والرواشن وبقية الحد الغربي ينتهي من سفله الي ظهر الحوانيت المذكورة الأربعة المستثناة بأعاليه وينتهي الحد المذكور بتمامه من علوه الي هذا الطريق المسلوك منها الي ٠٠٠ / الذي فيه ودار المقر السيفي المشار أليه

وحارة الصالحية الكبيرة [١١٧] طالبا لدار المقر السيفي الملكي[١١٨] وللمشـــهد الحسيني •

ويتضح لنا من وصف الوثيقة لهذا الربع أنه كان مكونا مـــن ثلاثـــة طوابق، كان الأرضي يضم اسطبلا وثلاثة عشر حانوتا• أما الطـــابق الأول فكان يشتمل علي خمس طباق متجاورة، تتكون كل طبقة منـــها مـــن غرفـــة بمرافقها• في حين اشتمل الطابق الثاني علي ست طباق متجاورة أيضا، كـــل منها مكون من ايوان ودور قاعة ومرحاض•

وكان لهذا الربع جناح مستقل، بمدخل خاص يؤدي الي ســـلم ينتـــهي الي طابق مستقل عن باقي طباق الربع الأخري• وكان يضم رواقين ، يتكون كل منها من إيوان ودور قاعة ومطبخ ومرحاض وسطح خاص ممتد أمامهما وخاص بهما • (لوحة ٨)•

وبتحديد الوثيقة لموقع هذا الربع يتضح لنا أنه كان يقع علـــي يميـــن المار بشارع الشنواني، باتجاه شارع السكة الجديدة ، بجوار المشهد الحسيني، وعليه فمن المعتقد أن يكون هذا الربع قد زال عند فتح شـــارعي الشـــنواني والسكة الجديدة (لوحة ٩) ، ومن المحتمل أن يكون هو الربع الـــذي تحـــدث عنه علي مبارك [١١٩] فقال : وكان بدرب العسل ربع كبـــير علـــي يميـــن الداخل، ودور قليلة ثم لما فتح شارع الســـكة الجديـــدة المعـــروف بشـــارع الشنواني هدم هذا الربع، وصارت البيوت التي أمامه أحد جانبي الشارع•

أما الربع الثالث فتحدثت عنه الوثيقة فقالت:

وجميع الفندق والربع والحوانيت/ المبني ذلك بالقاهرة المحروسة بالصرف الكبير [١٢٠] بخط دار بيدرا صفته أنه يشتمل علي ثلاثة أبواب أحدهما يغلق/

عليه زوجا باب يدخل منه الي دهليز مسقف نقيا[١٢١] يتوصل منه الي ساحة بها بير ماء معين [١٢٢] وسبعة عشر مخزنا تشتمل / كل منها علي باب وداخل وبالساحة المذكورة سلم يصعد من عليه الي مجاز به درابزين واثنا عشر مخزنا يشتمل كل منها / علي باب وداخل ومرافق وحقوق هذه صفة الفندق المذكور والباب الثاني يجاور باب الفندق المذكور وهو باب/ الربع المذكور يغلق عليه زوجا باب يدخل منه الي سلم يصعد من عليه الي مجاز يعرف بالدورة وهو علو المخازن العلوية المذكورة فيه بها اثنا عشر طبقة تحوي كل منها ايوانا[١٢٣] ودور قاعة[١٢٤] ومرحاض ومرافق/ وذات القني الخالصة لذلك والأسطحة العالية علي ذلك والباب الثالث للحانوت المذكور وهو يشتمل علي مسطبة ودراريب وداخل ومرافق وحقوق ويحيط بذلك كله حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الي الآبار[١٢٥] وفيه يفتح باب/ الحانوت المذكور والحد البحري ينتهي الي دار بيدرا[١٢٦] وباقية الي الزقاق الذي فيه يفتح باب الفندق المذكور ومسطبة من حقوق هذا المكان وباقية/ حوانيت الصرف المذكور والحد الغربي ينتهي الي الفندق الشرقي [١٢٧] الجاري في وقف الحرم النبوي الشريف.

وهذا الربع، نظرا لبنائه أعلي فندق فقد كان مكونا من طابق واحد فقط، يضم اثنتي عشرة طبقة ، كل منها كانت مكونة من ايوان ودور قاعة ومرحاض ومرافق (لوحة ١٠) . وهذا الربع لم نعثر له علي أثر وذلك لإحداث عمائر جديدة وعديدة بالمنطقة التي كان يقع بها. ومن المعتقد انه كان واقعا خلف المدرسة الظاهرية برقوق، في المنطقة المحصورة بين حارة البرقوقية وشارع خان أبو طاقية (لوحة ١١) حيث يشغل هذه المنطقة الآن عدة وكائل

حديثة وأخري ترجع الي القرن ١٢ هـ / ١٨م [١٢٨] .

أما الربع الأخير من رباع الملك الأشرف شعبان فقد وصفته الوثيقة بقولها: والربع المستجد الإنشاء والذي هو علو الساباط[١٢٩] وعلو الحمامين المذكورين وما هو من حقوقها وذلك بظاهر القاهرة المحروسة في خارج بابي/ زويله والباب الجديد علي يميه السالك من الشارع والهلالية[١٣٠] طالبا حوض ابن هنس [١٣١] وغير ذلك وعلي يسرة السالك (من حوض) بن هنس طالبا الشارع و(الهلالية) بغير باب عليه يدخل منه الي [١٣٢] أحد الحمامين وهي المعروفة بدخول[١٣٣] الرجال وهو مفروش بالرخام الملون به مساطب دايرة٠٠ / ملونة بواسطة فسقية يعلوها قبة علي أربع عمد رخاما به سلم وباب يدخل منه الي دهليز مفروش / يتوصل منه الي بيت أول[١٣٤] به حوضان وخلوه بها حوضان مفروش ذلك كله بالرخام مطبق[١٣٥] ٠٠٠ / لزجاج ثم يتوصل من باقي الدهليز الي باب يدخل منه الي بيت الحرارة[١٣٦] المشتمل علي أربعة أحواض ٠٠٠/ سكندري [١٣٧] وثلاث خلاوي بكل منها حوضان مفروش ذلك بالرخام مطبق بالجامات يصعد ٠٠٠ / الي علو الحمام المذكور به تقاسيم للمياه ودبكونان[١٣٨] بكل منهما أربع قدور رصاص وبهما ٠٠٠/ ٠٠٠٠ مسبل [١٣٩] جميع الحمام المذكور بالبياض والباب الثاني من الأبواب المذكورين يتوصل منه الي حملم (برسم) النساء صفتها بصفة الحمام الأول غير أنه لم يكن ببيت أول خلوة مفروش ذلك كله بالرخام الملون مسبل بالبياض/ والباب الثالث يدخل منه الي دهليز به باب يدخل منه الي دهليز لطيف به معالم (قاعة) / ودور قاعة بغير بياض و لا بلاط وبالدهاليز سلم يصعد من عليه الي دورين متطابقين للدار

الأولي٠٠٠٠/ منها اثنان متطابقة والدور الثاني به اربـــع طبـــاق متجـــاورة تشتمل كل منها علي ايوان ودور قاعة ٠٠٠/ مدهون بطاقات علي الطريـــق علو ساباط مسقف نقيا مدهون من حقوق ذلك محمول علي عمود (صـــوان) / يتوصل الي الأبواب الثلاثة والحوانيت المذكورة من سفله مفروش كل طبقـــة منها بالبلاط الكدان مسبل بالبياض/ كل منها بمرافق وحقوق ويصعـــــد مـــن باقي السلم الي السطح العالي علي ذلك وذات القناة الخالصة لذلك/ والحقـــوق والباب الرابع من الأبواب الأربعة المذكورة عليه فردة باب يدخل منـــه الـــي شون برسم الربع/ المذكور ومخازن وحدرة يصعد من عليها الي مدار ســـاقية خشب مكملة العدة والآلة مركبة علي بـــير مـــاء معيـــن٠٠٠٠/ الفســـقيتان المعدتان لخزن الماء مسقف ذلك جملون[١٤٠] وذات الدار ٠٠٠٠ المذكـــورة سلم يصعد من (عليه) الي علو الحمامين المذكورين ومجاري الماء الطـــاهر الي الأحواض ومقبض الماء الوسخ الي السراب المذكـــورة و ٠٠٠٠/ كلـــه حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الي الطريق من علو الساباط المذكـــور وفيـــه ٠٠٠٠٠/ ومن سفله رحبه وفيه الحانوتان والأبواب الثلاثة الي ربع يعـــرف الطواوي[١٤١] ٠٠٠٠ والحـــد البحـــري ٠٠٠٠/٠٠٠٠ والـــي دار تعـــرف بالسرجوان[١٤٢] والي جنينة تعرف ٠٠٠ الحد الشـــرقي ٠٠٠٠/ المعروفـــة بقتال السبع[١٤٣] والحد الغربي ينتهي الي الطريق وفيه باب المســـتوقد وذرع ذلك/ طولا وعرضا في التكسير ستمائة ذراع بذراع العمل يحيط بـــه حـــدود أربعة الحد ٠٠٠/ ينتهي الي الحمامين المذكورين فيه والحد البحري ينتـــهي الي بركة الفيل [١٤٤] والحد الشرقي ينتهي الي ٠٠٠٠/ والحد الغربي كذلك،

وهذا الربع كان مكونا من طابقين ، يضم الأول منـــهما عـــددا مـــن الطباق يعلوه آخر مكونا من أربع طباق٠ كل طبقة تشتمل علي ايـوان ودور قاعة (لوحة ١٢-١٣)٠ وكان يشغل الطابق الأرضي من الربع مجموعة من الوحدات، تتكون من حوانيت ومخازن وقاعتين وشون خاص باغراض الربع ويعد هذا الربع من الأمثلة القليلة أو النادرة للربـــاع التـــي أنشـــئت بجـوار حمامات أو فوقها[١٤٥] .

وهذا الربع كان واقعا فـــي المنطقـــة المحصـــورة بيـــن شـــارعي السروجية[١٤٦] ومحمد علي، وبين عطفتي المحكمـــة والحنـــاء (لوحـــة ١٤) وكانت بقايا أبنية الربع والحمامين باقية الي عهد قريب، كم كـــان الحمامـــان يؤديان وظائفهما حتى عهد قريب جدا، اما أرض الربـــع والحمـــامين حاليـــا فيشغلها مجموعة من الحوانيت، من المعتقد أنها من بقايا الربع وان تغـــيرت معالمها لما طرأ عليها من تجديدات حديثة، وهي جارية في أوقـــاف ورثـــة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين[١٤٧] وسنقوم بالتعليق علـــي هذيـــن الحمامين في نهاية هذا البحث لما لذلك من أهمية قصوى ٠

أما بالنسبة للفنادق في وثيقة الملك الأشرف شعبان بن حســين، فقــد أوردت الوثيقة وصفا لفندق واحد أنشأه أسفل الربع الذي شيده بخط الصـــرف الكبير ٠ ورغم أنه فندق واحد إلا ان لوصفه أهمية كبري، فتخطيط الفنـــادق في العصر المملوكي قل أو ندر وجوده في مصادر ووثائق هذا العصر / مما جعل لهذا الوصف أهميته الخاصة في توضيح الشكل والتخطيـــط المعمـــاري للفنادق في العصر المملوكي، إذ يبدو أن التشابه بين تخطيطي الخان والفنـــدق قد جعل بعض الوثائق والمصادر تجمع أو تخلط بينهما علي أساس انهما بناء

واحد، وان اختلفت التسمية، فقد وجدنا المقريـــزي[١٤٨] يطلــق علــي خـــان مسرور [١٤٩] اسم الفندق احيانا واسم الخان احيانا أخري، إذ يقول٠٠

وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجارتهم وكان من أجل الخانات واعظمها٠

كما وجدنا وثيقة السلطان الملك الغوري[١٥٠] تصف أحـــد الخانـــات بقولها:

يشتمل علي ثلاثة ابواب أحدها يدخل منه الـــي خـــان مســتجد بـــه حواصل سفلية وعلوية وبوسطه فسقية برسم الوضوء ومسجد ٠٠٠٠ وثالثـــها يدخل منه الي المساكن وعدتها ثلاثون مسكنا٠

ويتضح من وصف وثيقة الملك الأشرف شعبان للفندق أنه كان عبارة عن ساحة مربعة، فتحت بحوائطها الخارجية ثلاثة أبـــواب، أحدهـــا مدخـــل الفندق، ويؤدي الي ساحة مربعة بها بئر ماء تحيط بها من الجـــهات الأربـــع مخازن يبلغ عددها سبعة عشر مخزنا، يعلوها اثني عشر مخزنا فـــي طـــابق أول يتوصل إليه من خلال درج بساحة الفندق (لوحة ١٥) ٠ وكان بـــالضلع الجنوبي للفندق من الخارج باب حانوت واحد ، وقد وصفته الوثيقة بقولها:

يشتمل علي ثلاثة ابواب أحدها يغلق عليه زوجا باب يدخل منه الـــي دهليز مسقف نقيا يتوصل منه الي ساحة بها بير ماء معيـــن وســـبعة عشـــر مخزنا تشتمل كل منها علي باب وداخل وبالساحة المذكورة سلم يصعد مـــن عليه الي مجاز به درابزين واثنا عشر مخزنا يشتمل كل منـــها علـــي بـــاب وداخل ومرافق وحقوق هذه صفة الفندق[١٥١] ٠

ونستطيع مـــن خـــلال ما جاء في هذه الوثـــيقة من وصف للرباع

والفنادق في العصر المملوكي ان نستخلص النتائج التالية:

الربـــــــاع:

١- ان الربع كان عبارة عن بناء، غالبا مستطيل الشكل ، فتحت بأضلاعه الخارجية حوانيت تطل بأبوابها ومساطبها على الطريـــق، وهـــذه الحوانيـــت تتفاوت أعدادها ومساحتها تبعا لحجم الربع ولعدد الوحدات التي يشغلها طابقه الأرضي، فقد يشتمل على اسطبلات أو مخازن أو غير ذلك مـــن الوحـــدات اللازمة للربع. وتتكون الرباع عادة من طابقين، يضمان عددا من الطبـــاق، فالطبقة هي الوحدة الأساسية في بناء الربع ويختلف عددها من ربـــع لآخـــر تبعا لمساحته، كما تتفاوت أيضا في شكلها وتخطيطها، فقد تتكون من غرفـــة واحدة ، وقد تتكون من ايوان ودور قاعة، وفي أحيان أخري تمثـــل جناحـــا مستقلا بمدخل منفصل وسلم خاص، وفي هذه الحالة فعدد الطبـــاق لا يزيـــد عادة عن اثنين، تتكون كل منهما من ايوان ودور قاعة ومطبـــخ ومرحـــاض وسطح خاص.

٢- أن الرباع كانت تبنى مستقلة ، رغم أنه كان من المعتاد أن تبني أعلـــي منشأة تجارية كالفندق أو الوكالة أو القيسارية. وفي حالة بنائها مستقلة كـــانت تعلو حوانيت ومخازن وإسطبلات وأحيانا حمامات.

٣-ان تخطيط الربع كان ثابتا لا يتغير أو لا يتأثر بالمنشأة المقامـــة أســـفله، سواء كانت فندقا أو وكالة أو قيسارية أو حوانيت، فهو مكون من مجموعـــة من الطباق بمرافقها وحقوقها.

٤- أن بناء الربع كان مستقلا تماما عن البناء أسفله ، فللرباع مداخل مســـتقلة مـــفتوحة في حوائط البناء الخارجية، وتؤدي مباشرة الي مساكن الربع دون

المرور على الأبنية المنشأة اسفله.

٥- ان الرباع قد بنيت وحداتها بتنوع جميل يتناسب مـــع جميـــع الطبقـــات الاجتماعية وليس كما هو شائع من أن الرباع قد خصصت لسكني العامة من الناس*. فقد اشتمل الربع علي أنواع ثلاثة من الوحدات المعمارية المكونـــة للطباق. إحداها بسيطة تتكون من غرفة واحدة، تتكرر في الطـــابق الواحـــد بمرافق وحقوق عامة لجميع الطباق. أما الثانية فهي وحـــدة أكـــثر اتســـاعا وفخامة فهي مكونة من ايوان ودور قاعة، تتكرر أيضا في الطابق الواحـــد، ولكن لكل وحدة منها مرافقها وحقوقها الخاصة. أما الوحدة الثالثة فهي أكـــثر رفاهية وفخامة واستقلالية ، فهي وحدة مستقلة في طـــابق مســـتقل، بمدخـــل خاص وسلم منفصل ومرافق خاصة وسطح ممتد أمام هذه الوحدة المســـتقلة المكونة من رواقين متقابلين يتكون كل منهما من ايوان ودور قاعة.

٦- أن الربع في العصر المملوكي، بتخطيطه وبتنوعه وبوحداته المعماريـــة هو الفندق في عصرنا الحالي وبإمكاننا أن نقول أن تخطيط الفنـــادق الحاليـــة هي نتاج ما وصل إليه المهندسون والمعماريون في العصر المملوكي.

الفنـــــادق:

١- ان الفنادق لم تكن تبني مستقلة. وإنما كان يعلوها عادة ربعا للسكن.

٢- أن تخطيط الفندق في العصر المملوكي، كان عبارة عن بناء مكون مـــن مجموعة من المخازن العلوية والسفلية ومجموعة من الحوانيت في حوائطـــه الخارجية، ولم يكن يضم في تكوينه مساكن علوية أو مساجد.[١٥٢]

٣- أن الفنادق تشابهت مع الخانات في التخطيط، وذلـــك بإشـــتمالهم علـــي مـــجموعة من المخازن والحوانيت، وان كان هناك اختلافا جوهريا وهو ان

الخان كان يحوي أصلا ، في تخطيطه، مساكن علوية في حين خلا الفندق منها، ولذلك كان يعلوه ربعا، كما خلا من المسجد أيضا.

٤- ان الفندق منشأة تجارية ينزلها التجار، غالبا القادمين من خارج البلاد لحفظ بضائعهم وأموالهم وحاجياتهم، مثله في ذلك مثل الوكالة وإن تعددت وظائف الفندق. فقد ذكر المقريزي[١٥٣] ان من الفنادق ما كان مخصصا لبيع أنواع معينة من البضائع مثل فندق التفاح[١٥٤] ، ومنها ما كان يودع به التجار وأرباب الأموال أموالهم مثل فندق بلال المغيثي[١٥٥] ومنها ما كان ينزله التجار القادمون من الشام بيع الزيوت مثل فندق طرنطاى[١٥٦]

وهكذا قدمت لنا وثائق الوقف المملوكية وصفا دقيقا ومفصلا لبعض أنواع من العمائر التجارية المملوكية، وصفا افاد الي حد بعيد في معرفة الشكل والتخطيط لهذه العمائر خاصة وأن أغلب ما تخلف منها قد درس وزال أثره.

حمام السروجية

بين ما جاء في كتب الخطط وما جاء في الوثائق

هذا الحمام تحدث عنه علي مبارك في خططه[١٥٧] فقال :

وبشارع السروجية الحمام المعروف بحمام السروجية، وهي بين عطفتي المحكمة والحناء . عرفها المقريزي بحمام قتال السبع، لآن عمرها الأمير جمال الدين أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع الموصلي بجانب داره التي هي جامع قوصون. وأصل بناء هذا الحمام بشكل حمامين، واحدة للرجال و الأخرى للنساء وكان لها بابان أحدهما للرجال والآخر للنساء ثم لما دخلت في وقف أولاد أصيل بعد سنة أربعين ومائتين وألف سد ما بين البابين بحائط وجعلت حمامين منفصلين كل واحد علي حدته، فحمام النساء اليوم هو

الذي داخل عطفة الحناء، وحمام الرجال هو الذي بشارع السروجية، وهما عامران الي الآن ومستوقدهما واحد وعليهما حكر لوقف السلطان الأشرف، وهذا الحمام الذي تحدث عنه صاحب الخطط التوفيقية وذهب فيه الي انه حمام قتال السبع، استنادا علي ما كتبه صاحب الخطط المقريزية[١٥٨] الذي قال: هذه الحمام خارج باب القوس في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الي صليبه جامع ابن طولون/ وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الأمير جمال الدين أقوش المنصوري [١٥٩] بجانب داره، التي هي اليوم جامع قوصون، فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع اراد أخذ الحمام وكانت وقفا، فبعث الي قاضي القضاة شرف الدين الحنبلي يلتمس منه حل وقفها، فاخرب منها جانبا وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضرا يتضمن أن الحمام المذكورة خراب، وكان فيهم شاهدا امتنع من الكتابة في المحضر، وقال ما يسعني من الله آن ادخل بكرة النهار في هذا الحمام وأطهر فيها ثم أخرج منها وهي عامرة واشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب ، فشهد غيره وأثبت قاضي القضاة الحنبلي المحضر المذكور وحكم ببيعها، فاشتراها الأمير قوصون من ورثة قتال السبع، وهي اليوم عامرة بعمارة ما حولها، ونحن نري أنه من المستبعد أن يكون حمام قتال السبع هو نفسه حمام السروجية وذلك للأسباب التالية:

١- ان حمام قتال السبع، كما ذكر لنا المقريزي، كان يقع خارج باب القوس في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الي صليبة جامع أبن طولون، وموضعها اليوم بجوار جامع قوسون، ومعني ذلك ان الحمام كان يقع بالشارع الأعظم أي بشارع السروجية في حين كان حمام السروجية تفتح

أبوابه علي عطفة الحناء المتفرعة من شارع السروجية· ومن المعـــروف ان بابي الحمامين قد ظل يفتحان علي هذه العطفة حتى عام ١٢٤٠هـــ كما ذكــر علي باشا مبارك. والمسافة بين الضلع الجنوبي لجامع قوصون والذي يطـــل علي عطفة المحكمة وبين بابي حمام السروجية بحارة الحناء يصل الي أكـــثر من ثلاثمائة وستين مترا، وهي المسافة بين عطفتي المحكمة والحناء ، وبذلـك لا يمكن ان يوصف الحمام، أي حمام السروجية ، بأنه كان بجـــوار الجـــامع وذلك لاتساع المسافة بين الاثنين مما يؤكد ان حمام السروجية ليس هو حمـــام قتال السبع·

٢- أن حمام قتال السبع كان بجوار داره، التي هي اليوم جـــامع قوصـــون ، وجامع قوصون كان واقعا بين شارع مـــحمد علي وحارة درب الأغـــوات وعطفة المحكمة · وبما أن الجامع كان مجاورا للدار، فهو بالقطع كان يقـــع في نفس الموقع وداخل الحدود التي كان يشملها وقف قوصون والتي يحدهـــا شارع محمد علي غربا وشارع السروجية شرقا وحارة درب الأغوات شـمالا وحارة المحكمة جنوبا وتلك الحدود لا يصل امتدادها الـــــي موضـــع حمـــام السروجية بحارة الحناء· (لوحة ١٦) ·

٣- ان حمام السروجية كان يعلوه حكرا للسلطان الملك الأشرف شعبان، كمـا ذكر علي مبارك، وما زالت ارض الحمامين جارية فعلا في أوقـــاف ورثـــة الملك الأشرف حتى الآن [١٩٠] · مما يؤكد ان حمام السروجية ليـــس حمـــام قتال السبع·

٤- ان حمام قتال السبع قد طغت شهرته علي المنطقة التي يقع بها ونظـــــرا لتـــخربه ولعدم معرفة منشئ حمام الســـروجية فـــقد نسبه المؤرخون وكتاب

الخطط الي قتال السبع خاصة وان الموقع واحد والتخطيط مشابه ايضا.

كما أن الفترة الزمنية القصيرة بين بناء حمام قتال السبع (قبل سنة ٧١٠ هـ) وبين بناء حمام السروجية سنة ٧٧٧هـ) قد أدي الي نسبة الحمام الي قتال السبع.

٥- ان حمام السروجية هو حمام السلطان الملك الأشرف شعبان الوارد بهذه الوثيقة وليس حمام قتال السبع وقد أكد ذلك ما ذكره علي مبارك من أن أرض الحمامين يعلوهما حكر للسلطان الملك الأشرف، وأكد ذلك أيضا استمرار أرض هذين الحمامين في أعيان وقف الملك الأشرف شعبان بن حسين حتى الآن.

٦- ان حدود حمام الأشرف شعبان هي حدود حمام السروجية، والذي كان يشغل مع الربع مساحة هائلة قدرتها الوثيقة بستمائة ذراع، كانت تمتد من عطفة المحكمة شمالا الي حارة الحناء جنوبا ومن شارع السروجيه شرقا الي شارع محمد علي غربا. ومن المعتقد أن يكون امتدادهما غربا قد أدى الي اقتطاع جزء منهما عند فتح شارع محمد علي، فقد ذكر علي مبارك ان العمائر الأثرية بهذه المنطقة قد أزيل الكثير منها عند فتح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠ هـ منها طواحين وأفران ورباع وحمامات ، وأخذت قطعة من جامع قوصون[١٦١] .

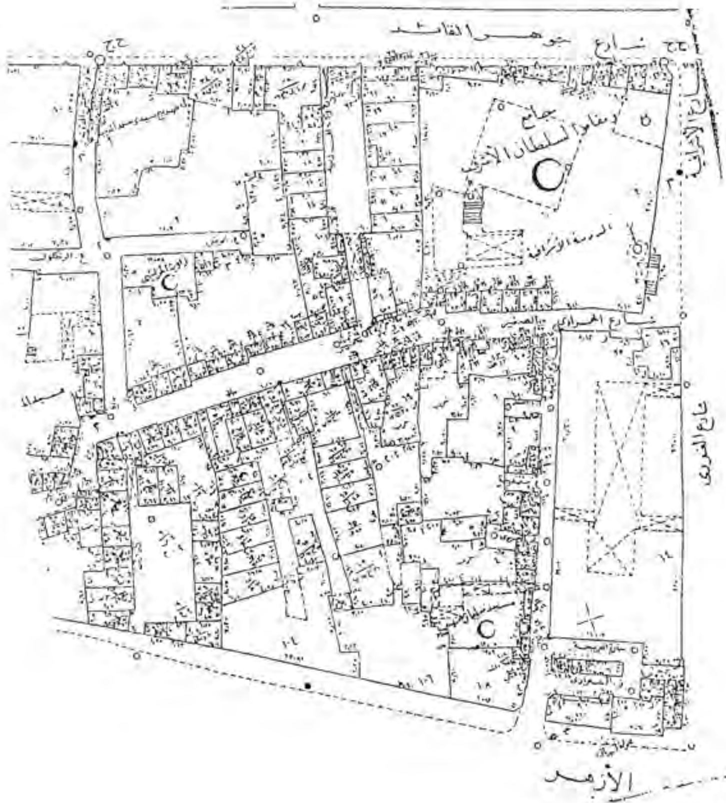
ونستطيع من خلال ذلك ان تؤكد ان حمام السروجيه ليس هو حمام قتال السبع وإنما هو حمام الملك الأشرف شعبان ابن حسين الذي شيده مجاورا لربعة في نفس الموضع والحدود التي حددتها الوثيقة.

لوحة (١)
وجه وثيقة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين
المؤرخة فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ
(الافتتاحية)

لوحة (٢)

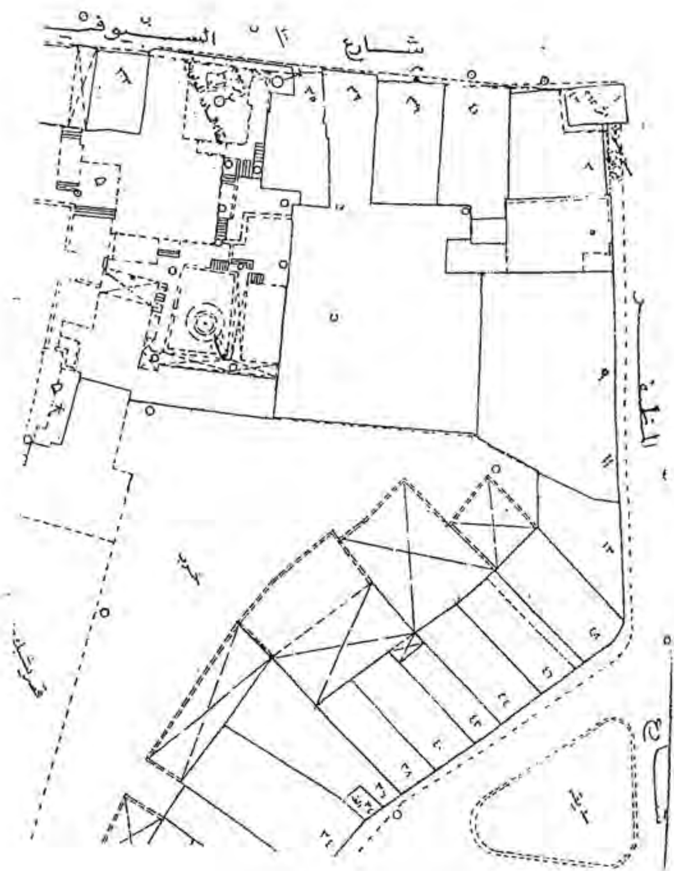
تاريخ الوثيقة وإشهادات الشهود

لوحة (٣)
الإشهادات المتأخرة

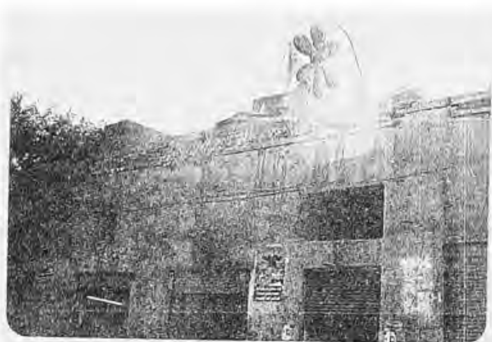


لوحة (٤)
خريطة للموقع بشارع جوهر القائد . نقلا عن خريطة سلسلة المدن .
الهيئة المصرية العامة للمساحة ١٩٣٧ م

لوحة (٥)
جزء من نص الوثيقة ويتضمن موقع ووصف الربع بحضرة البقر



لوحة (٦)
خريطة للموقع الربع بحضرة البقر . نقلا عن خريطة سلسلة المدن .
الهيئة المصرية العامة للمساحة سنة ١٩٣٧م

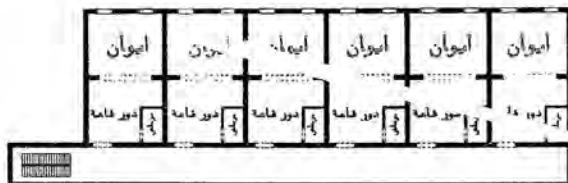




لوحة (٧)
بقايا الأبنية القديمة بشارع المظفر



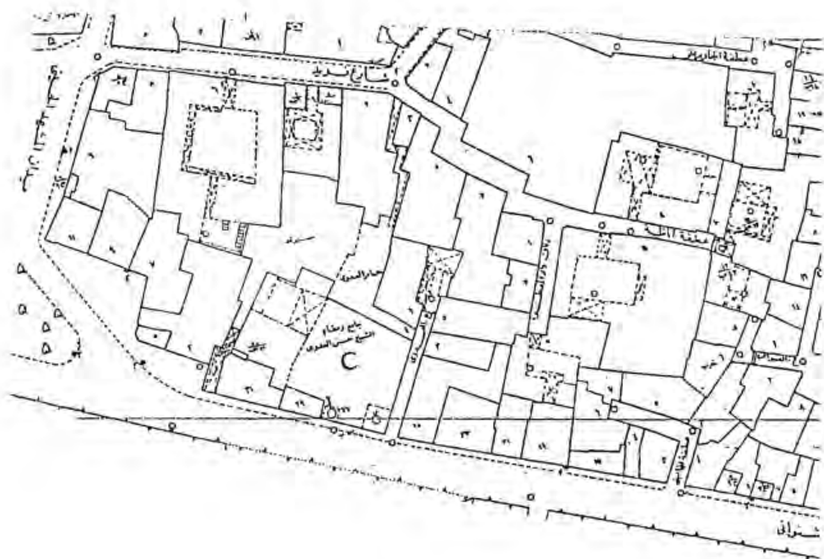
الطابق الاول



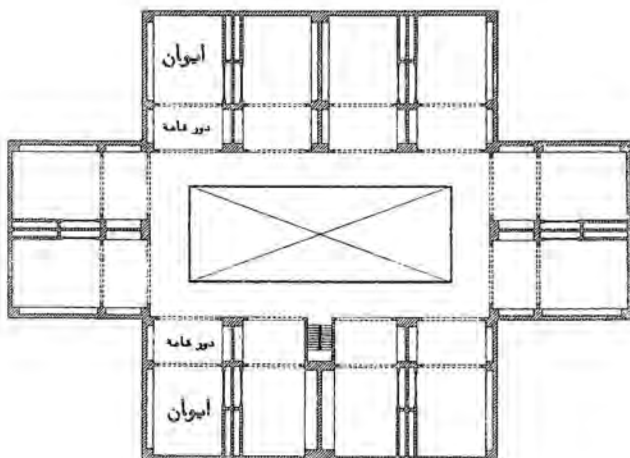
الطابق الثانى

لوحة (٨)

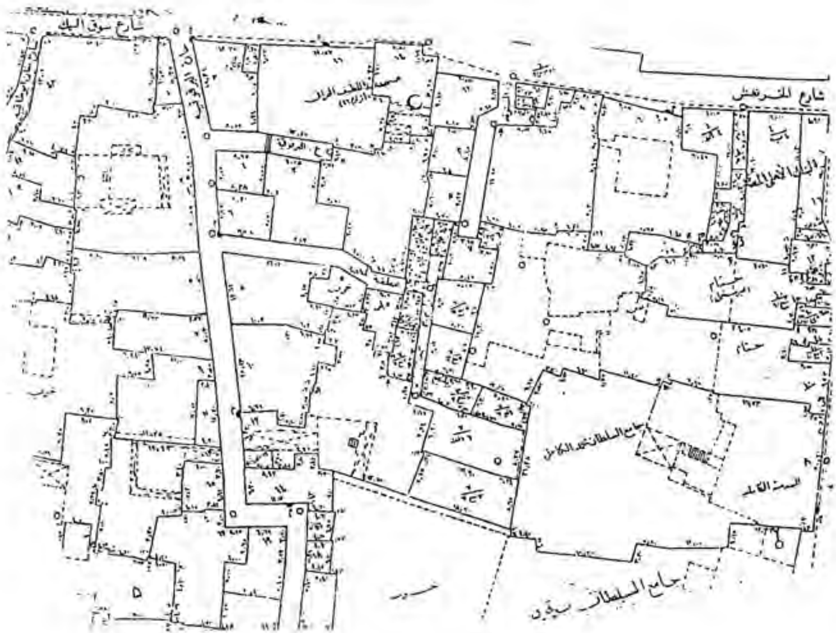
رسم تخيلى لتخطيط الربع بخط الصالحية مسقط أفقى



لوحة (٩)
خريطة لموقع الربع بخط الصالحية . نقلا عن خريطة سلسلة المدن .
الهيئة المصرية العامة للمساحة سنة ١٩٣٧م

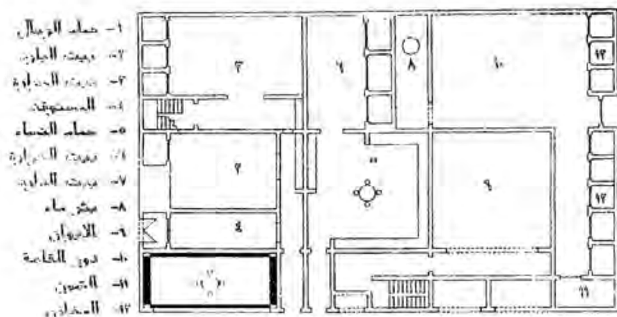


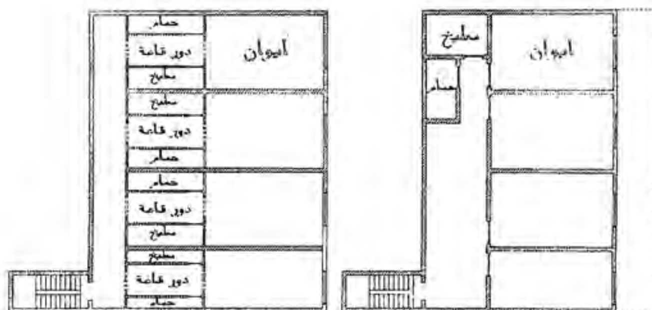
لوحة (١٠)
رسم تخيلى لتخطيط الفندق بخط الصرف الكبير . مسقط افقى
(من عمل الباحثة)



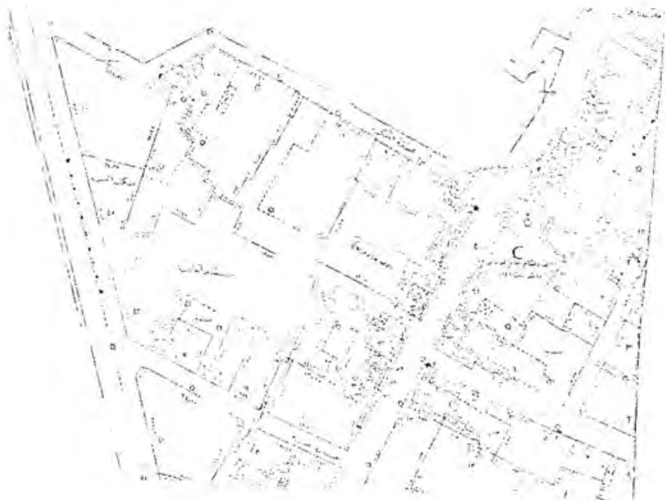
لوحة (١١)
خريطة لموقع الربع بخط الصرف نقلا عن خريطة سلسلة المدن ، الهئية المصرية العامة للمساحة

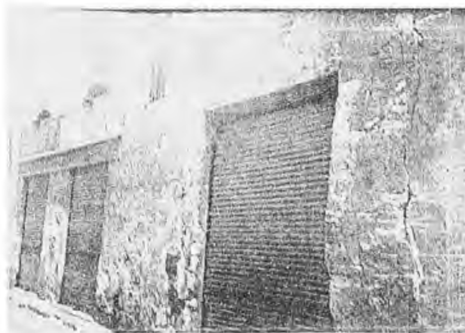
لوحة (١٢)
جزء من نص الوثيقة المتضمن موقع ووصف الربع والحمامين خارج بابى زويلة





لوحة (١٣)
رسم تخيلى لتخطيط الحمامين والربع خارج باب زويلة. مسقط أفقى
(من عمل الباحثة)

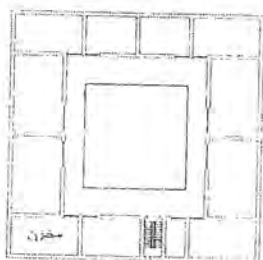




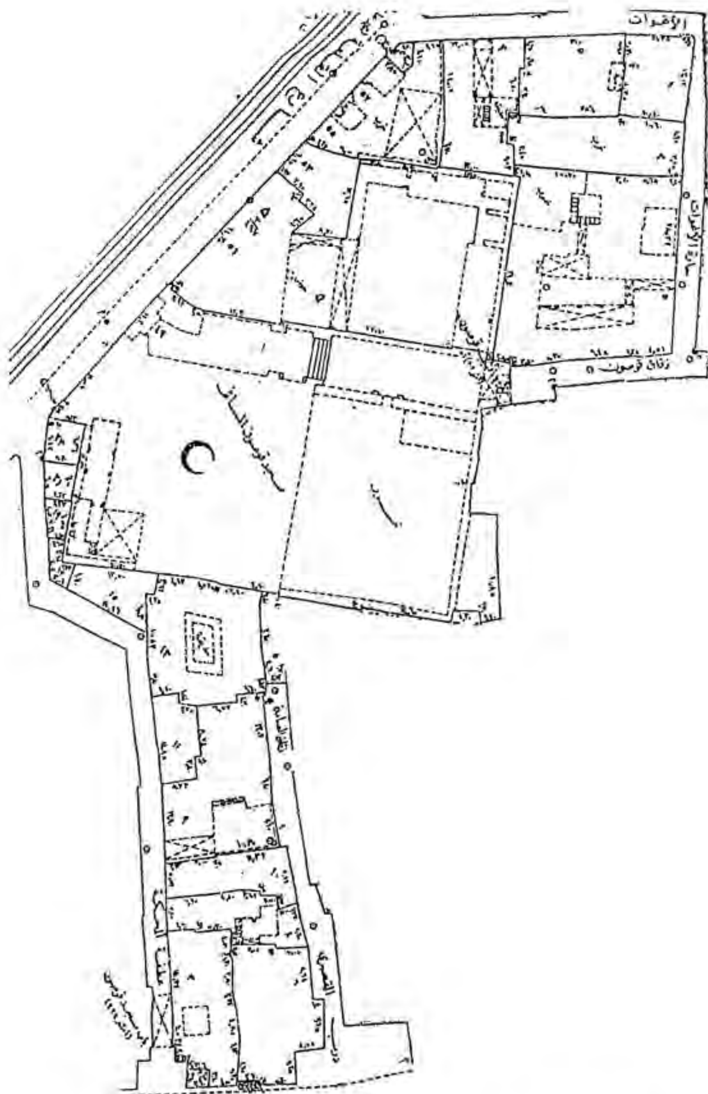
مساحة ١٩٣٦ م

لوحة (١٤)
خريطة لموقع الربع خارج بابى زويلة . نقلا عن خر
الهيئة المصرية العامة للمساحة ١٩٣٦





لوحة (١٥)
رسم تخيلى لتخطيط الربع بخط الصرف . مسقط أفقى
(من عمل الباحثة)



لوحة (١٦)
خريطة لموقع جامع قوصون . نقلا عن خريطة سلسلة المدن .
الهيئة المصرية العامة للمساحة ١٩٣٧

الهوامــش

١- قام د. عبد اللطيف ابراهيم علي بنشر بعض نصوص هــذه الوثيقــة فــي سلســلة الدراسات الوثائقية (١) الوثائق في خدمة الاثار. العصر المملوكي. مقال نشــر فــي كتاب دراسات في الاثار الاسلامية . القاهرة . ١٩٧٩م.

٢- قرر لأمير مكة مبلغ ١٦٠ الف درهم نقرة وخمسة الاف نظير فتح باب الكعبة وفتح مقام ابراهيم سنويا. وقرر لأمير المدينة مبلغ مائة الف درهم سنويا.

٣- يحتفظ أرشيف المحكمة بمجموعة من وثائق الوقف بدون أرقام. وهذه الوثائق ليست ملكا للمحكمة وانما ملكا للأهالي يتقدمون بها الي المحكمة للفصل في قضايــا الــنزاع علي الملكية والميراث، ولذلك لايتم تسجيلها ضمن وثائق المحكمة.

٤- ورد ذكرها في حجة متاخرة ترجع الي العصر العثماني مؤرخة في ٤ ربيــع الأول سنة ١١٩١هـ.

٥- من الملاحظ أن الأدعية الواردة في الوثيقة هي نفس الأدعية الواردة فــي نصــوص الوقف الخاصة بمصاحف وربعات الملك الأشرف وهي خلد الله ملكه وسلطانه وأفاض علي الرعاة كافة عدله واحسانه وجدد له في كل يوم نصرا. (دار الكتب المصريــة. رقم ١٠ مصاحف).

٦- صرغتمش الاشرفي: هو الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبــد الله الأشــرفي راس نوبة في النوب وأحد مقدمي الألوف بالديار المصرية. قتل بالسيف بعد كســرة الملك الأشرف بالعقبة، سنة ٧٧٨هـ . وكان من خواص الملك الأشــرف. (جمــال الدين ابو المحاسن بن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة طبعة دار الكتب . جـ١١٠

ص ١٤٧)

٧- بهادر الجمالي : هو الأمير بهادر ابن عبد الله المعروف بالمشرف. أصله من مماليك الناصر، وتنقل في الخدم الي أن أمر طبلخاناه في سلطنة الناصر حسن، ثم قــدم فــي سلطنة الأشرف واستقر أمير الحاج من سنة قتل الأشرف سنة ٧٧٨هـ ، الي أن مات سنة ٧٨٦هـ (شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . القاهرة جـ٢ ص ٣٠).

٨- طشتمر العلائي: هو الامير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائي الدوادار ٠ كان من أجل الأمراء وهو أول دوادار وليها بتقدمه ٠ الف سنة ٧٧٢هـ ولي نيابة الشام ثـم أتابك العساكر بالديار المصرية الي أن ركب عليه الملك الظاهر برقوق – قبل سلطنته وقبض عليه وحبسه ٠ سنة ٧٨٧هـ وكان من خاصة الملك الأشرف شعبان٠ (ابـن تغري بردي ٠ النجوم٠ جـ ١١٠ ص ٣٠٤) تولي نيابة الشـام فـي عـهد الملـك المنصور علي بن الملك الأشرف شعبان٠

٩- محمد بن أقبغا آص: كان من مماليك الأشرف٠ تولي الأستادراية فـي عـهد الملـك الأشرف شعبان سنة ٧٧٥هـ ، وعزل عنها سنة ٧٧٨هـ ونفي الي طرسوس مـع شدة تمكنه من السلطان وكثرة أختصاصه به ٠ (تقي الدين أحمد بن علي المقريـزي٠ السلوك لمعرفة دول الملوك ٠ القاهرة٠ ١٩٧٠م جـ٣ ق١ ص ٢٦٨)٠ ولـي شـاد الدواوين بعد وفاة الأشرف وتوفي سنة ٧٩٥هـ٠

١٠- الإستادار: لقب علي الذي يتولي قبض مال السلطان أو الأمـير وصرفـه وتمثيـل أوامره فيه (أبو العباس أحمد القلقشندي٠ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القاهرة ٠ ١٩١٣م ٠ جـ٥ ص ٤٥٧)٠

١١- هو الطواشي دينار اللالا: كان من خدام السلطان الملك الأشرف شعبان (المقريـزي ٠ السلوك ٠ ج٣ ق ١ ص ٢٩٢)٠

١٢- لم نعثر علي ترجمته، والجمدار هو الذي يتصدي لالباس السلطان أو الامير ثيابـه٠ وأصله جامادار، مركب من لفظين فارسيين " جاما" ومعناه الثـوب، ودار ومعنـاه ممسك، فيكون المعني ممسك الثوب ٠(القلقشندي ٠ صبـح الأعشـى ٠ جـ٥ ص ٤٥٩)٠

١٣- أرغون شاه: هو الأمير أرغون شاه بن عبد الله الجمالي الأشـرفي٠ أحـد مقدمـي الألوف بالديار المصرية وأجل أمراء الأشرف وخاصته٠ توفي مذبوحـا فـي ٤ ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ بعد عودته من العقبة فقد كان مصاحبا للملك الأشرف في الحـج قبل مسك السلطان وقتله (ابن تغري بردي٠ النجوم٠ جـ١١ ص ١٤٧ – المقريـزي ٠ السلوك٠ جـ٣ ق١ ص:٣٠)

١٤- راس نوبة: هو لقب على الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم. ويجمع على رؤس نوب (القلقشندي صبح الأعشى. جـ٥ ص ٤٥٣).

١٥- الإشهاد الأول عهد السلطان برسباى. والثاني والثالث في عهد السلطان أبو سعيد جقمق. والاشهاد الرابع كان في عهد السلطان اينال العلائى. أما الخامس فكان في عهد الملك الأشرف قايتباى.

١٦- جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردي المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. مخطوط محفوظ بمعهد المخطوطات العربية ميكروفيلم ٨٤١ و ٣٦٩ .

١٧- بدر الدين محمود العيني. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية . رقم ١٥٨٤ : جـ ٢٤ . ق ٢ و ٢١٤ - ٢١٥

- جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردي . مورد اللطافة فيمن ولي السلطنه والخلافة . مخطوط محفوظ بمعهد المخطوطات . (ميكروفيلم ٨٤٤ و ١٧١).

١٨- د. على ابراهيم حسن. دراسات في تااريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص . القاهرة ١٩٤٨ . ص ١٠٢ .

١٩- ابن تغرى بردي . النجوم - جـ ١١ . ص ٨١ .

٢٠- ابن تغرى بردي . النجوم جـ ١١ . ص ٨٢ . وقد تناولنا ترجمته بالتفصيل في بحث سابق د. مرفت محمود عيسى. دراسة في وثائق السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين . مجلة كلية الاثار . العدد السادس . ١٩٩٥م. ص ٤٧٤:٤٧٩ .

٢١- وثيقة وقف بأسم الملك الأشرف شعبان بن حسين . مؤرخة في ٣ جمادي سنة ٧٧٧هـ . دار الوثائق القومية . مسلسل ٤٩ محفظة ٨ .

٢٢- باب على: هو باب بني هاشم . سعته عشرون ذراعا. منقوش بالفسيفساء ، وعارضتا الباب ملبستان صفائح رخام. (أبو الوليد محمد بن عبد الله الأرزقي. أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي .صالح . الطبعة الثانية . اسبانيا. ١٣٨٥هـ - ج٢ ص ٨٨).

٢٣-مسجد الخيف: هو مسجد منى. والخيف ماإنحدر من غلظ الجبل وأرتفع عن مسيل الماء . قيل صلى به سبعون نبيا وموضع مصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيه هو المحراب الذي في العقبة، ويقال له مسجد العيشومة، (الأزرقي، أخبار مكة، جـ ٢٠ ص ١٧٣ ومابعدها)،

٢٤- كان موضعه دار القوارير، وكانت لاصقة بالمسجد الحرام بين الصفا والمروة، بجوار باب القوارير من ابواب المسجد، ويرجح أنه قريبا من باب قايتباي، ثم صارت هذه الدار رباطين متلاصقين، أحدهما يعرف برباط المراغي والثاني كان يعرف برباط السدرة، فاستبدلهما السلطان قايتباي فبناهما مدرسة ورباطا سنة ٨٨٣هـ ، (الأزرقي - أخبار مكة ، جـ٢ ص ٨٧ ج٦)،

٢٥- عين حنين: هي عين زبيدة ، وينبع من جبل شاهق يقال له طاو في طريق مكة - الطائف ، وكان الماء يجري الي حائط حنين فاشترت السيدة زبيدة الحائط وأجرت الماء في قنوات الي مكة، (الأزرقي- أخبار مكة ، ج٢٠ ملحق ٤ ص ٣٢٧ - ٢٨ ،

٢٦- عين الجوبانية: محلها عين الثقبة ، والثقبة متنزه من متنزهات مكة، وكانت هذه العين تصب في بركة بباب المسجد الحرام، (الأزرقي، أخبار مكة ، جـ٢ ص ١٠٧-١٠٨)،

٢٧- الكرك : هي بلد مشهور وله حصن منيع وهو أحد المعاقل بالشام من جهة الحجاز ، وتعرف بكرك الشوبك لقربها منها، (القلقشندي المصدر السابق، جـ٤٠ ص ١٥٥ - شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، الطبعة الأولي ، ١٩١٦م، ص ٢٤٧)، - وهي الان مدينة بالمملكة الأردنية الهاشمية،

٢٨- حماة: مدينة أزلية ، لها ذكر في التوراه، وهي على ضفة العاصي، (القلقشندي، المصدر السابق جـ ٤ ، ص ١٣٩ - ١٤٠)

٢٩- حلب: مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة ذات جوامع ومساجد ومدارس وخوانق وزوايا وبيمارستان وغير ذلك،(القلقشندي ، نفس المصدر والجزء، ص ١١٦)،

٣٠- عينتاب: مدينة من جند قنسرين شمالي حلب،

٣١-الدربساك: مدينة من اعمال حلب،

٣٢- جبل سمعان: يقع في جهة الشمال من حلب،(القلقشندي، نفس المصدر والجزء ص ١٢٦ ،

٣٣- معرة النعمان: مدينة من جند حمص ، أصلها المعرة، وتعرف بمعزة النعمان إضافة الي النعمان بن بشير الأنصاري، وهي مدينة جليلة عامرة ولها سبعة أبواب ، (القلقشندي ، نفس المصدر والجزء ص ١٤١ -١٤٢).

٣٤- القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ .٤ ص ١٣٦ .

٣٥- الصورة: منطقة جبلية مرتفعة تقع في الجهة الشمالية الغربية من قلعة الجبل، وقد ذكرها المقريزي عند الحديث عن المارستان المؤيدي فقال: هذا المارستان فوق الصورة تجاه طبلخاناة قلعة الجبل (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والاثار ، جـ٢ ، ص ٤٠٨).

٣٦- الطبلخاناه السلطانية: كانت موجودة تحت القلعة، بين باب السلسلة وباب المدرج، بناها الناصر محمد بن قلاوون سنة٧٢٢ هـ، (المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢١٣)، الطبلخاناه معناها بيت الطبل، ويشتمل علي الطبول والأبواق وتوابعها من الالات، كانت تدق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة الطلب(القائد أو الأمير أو الكتيبة من الجيش) في الأسفار والحروب ، (القلقشندى ، المصدر السابق جـ٤ ، ص ٨ -١٣).

٣٧- ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر، جـ ١ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٣٨- هو السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق الجركسى الاصل المصري المولد والمنشأ ، جلس علي تخت الملك بقلعة الجبل بعهد من أبيه الملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ ، (ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٢ ص ١٦٨).

٣٩- المارستان المؤيدي : فوق الصورة حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان، وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا أنه ضيق عما كان، (المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٠٨)، والمؤيد شيخ هو الملك شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، من مماليك الظاهر برقوق وتولي السلطنة سنة ٨١٥هـ (ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ١٤ ، ص ١ - د، مرفت محمود ،المرجع السابق ، ص ٤٩٧: ٤٨٣).

٤٠- ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١٣ ، ص ١٢٣ .

٤١- محمد بن أحمد بن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهـــور ، الطبعـــة الأولـــي ، ١٣١١ هــ ، ج ١ ص ٢٣٥ ، من المعتقد أنه جددها ، لأنه من المعـــروف ان الذي شيد القاعة الأشرفية هو الملك الأشرف خليل ابن قـــلاوون ســـنة ٦٩٢هـــ (المقريزي ، الخطط جـ ٢ ، ص ٢١١)،

٤٢- المقريزي ، السلوك ، جــ ٣ ، ق ١ ص ١٥٨ - ٢٠٥ ،

٤٣- هي الحملة الصليبية التي قادها بطرس لوزجنان، الذي أعتلي عرش قـــبرص ســـنة ٧٦٠هــ ونجحت في النزول في الأسكندرية واستولت عليـــــها وخربتـــها ســـنة ٧٦٧هــ (محمد بن قاسم النويري السكندري، الألمام بمـــا جـــرت بـــه الأحكـــام المقضية في وقعة الأسكندرية مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩ ، جــــ١ ص ٣١٠: ٣٣٥)،

٤٤- الأسطبل :الأسطبل هنا مجموعة من مبان كان يقيمها بعض كبار الأمراء في دولتـــي المماليك لأجل سكني الأمير وأسرته ومماليكه وخيوله فكان الأسطبل يشمل علـــي قصر للسكني وبيوت للماليك واسطبلات للخيول ومخازن للمؤن،(ابن تغري بردي ، النجوم ، جـــ٩ ص ١١٠ ح٤)، ومن الثابت أن الأسطبلات لم يقتصر انشائها علي الأمراء، بل شيدها السلاطين لمماليكهم ولكبار رجال دولتهم والمقربين اليـــهم أحيانا مثل الملك الناصر محمد الذي عمر لمماليكه عدة قصـــور داخـــل القـــاهرة وخارجها منها اسطبل قوصون بسوق الخيل،

٤٥- فقد أنشأ لمملوكية الأمير يلبغا اليحياوي والطنبغا المارداني قصريـــن قريبـــا مـــن الرميلة تجاه القلعة وعمر الملك الناصر أيضا لمماليكه عدة قصور خارج القـــاهرة وبها قصر الأمير طقشمر الذي أنعم به علي الأمير كشتمر حمص أخضر، ومنـــها قصر الأمير بكتمر الساقي علي بركة الفيل بالقرب من الكبـــش، ومنـــها اســـطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة باب السلســـلة، ومنـــها قصـــر بـــهادر الجوباني بالجسر الأعظم ، وقصر قطلوبغا الفخري (ابن تعري بردي - النجـــوم الزاهرة ، جـــ٩ ص ١٢١ - ١٨٨ : ١٩٠)،

٤٦- سويقة منعم: - هذا الخط ذكره المقريزي (الخطط، جـــ٢ ص ٣١٣) عندما تحـــدث عن جامع الأمير شيخو فقال : هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبية والرميلـــة

تحت قلعة الجبل. وكانت رأس سويقة منعم تجاه القصر السلطاني بالقلعة . (ابن تغري بردي . النجوم . جـ١٢ ص ١٨٦). وهذا يعني أن خط سويقة منعم هو بذاته الطريق التي تسمى اليوم شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة (محمد رمزي . حاشية كتاب النجوم الزاهرة . جـ١١ ص ٣٩ ح٣).

٤٧- البيوت السلطانية : هي الحواصل المعبر ومعناها بالبيوت وهي الشراب خاناه ومعناها بيت الشرب وتشتمل علي أنواع الأشربة وبها الأواني النفيسة من الصيني الفاخر . والطشت خاناه ومعناها بيت الطشت وفيه يكون مايلبسه السلطان أو الأمير من الثياب . و الفراشخاناه، وتشتمل علي أنواع الفرش من البسط والخيام. والسلاح خاناه ومعناها بيت السلاح وربما قيل الزرد خاناه والركاب خاناه ومعناها بيت الركاب وتشتمل علي عدد الخيل. والحوائج خاناه ومعناها بيت الحوائج وفيها يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطاني والدور السلطانية رواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمطبخ وهو مايطبخ فيه طعام السلطان الراتب والطارئ في الليل والنهار (القلقشندي. المصدر السابق . جـ ٤ ص ١٠-١٣).

٤٨- خط بستان سيف الاسلام: كان من البساتين التي تقع في الجهة التي تلي الخليج خارج باب زويلة. وكان هذا الخط من أعمر أخطاط القاهرة، وبه كثير من منازل الأمراء والأعيان . وكان في الأصل بستانا من البساتين التي تقع في شرق بركة الفيل ، فيما بين البركة والجبل، الذي عليه الآن قلعة الجبل .

(المقريزي . الخطط . جـ ٢ ص ١٣٣).

٤٩- حكر الغتمي: هو نفسه بستان سيف الأسلام . كان في الأصل بستان يعرف ببستان ابن الحسين بن مرشد الطائي ، ثم عرف أخيرا ببستان سيف الإسلام طغتكين بن ايوب. وكان يشرف علي بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الي الجهات الأربع ثم حكره أمير يعرف بعلم الدين الغتمي وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا. (المقريزي . الخطط . جـ٢ ص ١٣٤) . ودرب ابن البابا يقع الان بالجهة اليمني من شارع السيوفية ، حيث كانت دار البقر وقصر يلبغا اليحياوي ، وأصطبل الجوق وأصطبل قوصون وأصطبل طشتمر السابقي وغيرها. (علي

باشا مبارك • الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة • الطبعة الثانية ١٩٧٠م • جـ ٢ ص ١١٨)•

٥٠- الكبش : عرف بالكبش من اسم الجبل المبني فوقه البيوت• وكان عليه دار الإمارة في زمن عمال مصر من طرف الأمويين والعباسين• وفي دولة الفاطميين جعلوا فوقه قصورا سميت مناظر، بجوار الجامع الطولوني، مشرفة علي البركة التي تعرف ببركة قارون، عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون • أنشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة، وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣هـ وبناها بناء آخر وسكنها بعض الأمراء الكبار مثل صرغتمش ويلبغا العمري واسندمر الناصري وهدمها الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٨ هـ فصارت خرابا الي سنة ٧٧٥هـ حتي حكره الناس وبنوا فيه المساكن• (المقريزي • الخطط • جـ ٢ ص ١٣٣ - ١٣٤)• والكبش يطلق الان علي الجزء الشمالي الغربي من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربي جامع ابن طولون، ولاتزال هذه المنطقة تعرف الي اليوم بقلعة الكبش بشارع مراسينا بقسم السيدة زينب بالقاهرة (محمد بك رمزي • حاشية كتاب النجوم الزاهرة • جـ٧ ص ٧٢ ح ٢٠)

٥١- وكالة قوصون: هذه الوكالة في معني الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام• وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء• كان دارا فاخر بها وماجاورها الأمير قوصون وجعلها فندقا كبيرا الي الغاية ، وبدائرة عدة مخازن وقد تلاشي أمر هذه الوكالة منذ خربت بلاد الشام في سنة ثلاثة وثمانمائة علي يد تيمور بك• وفيها الي الان بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل علي ثلثمائة وستين بيتا، ادركناها عامرة كلها• المقريزي • الخطط • جـ ٢ ص ٩٣)• ووكالة قوصون تقع بالجهة اليمني من شارع الجمالية، وهذه الوكالة باقية الي اليوم، واشتهرت بوكالة الصابون من أجل أن الصابون يباع بها (علي مبارك • الخطط • جـ ٢ ص ٢١٠)• وهذه الوكالة لم يتبق فيها الان غير كتلة المدخل : آمال العمري • المنشآت التجارية بالقاهرة في العصر المملوكي • مخطوط رسالة دكتوراه محفوظ بمكتبة جامعة القاهرة • ص ١٧٦

٥٢- حارة الروم السفلي الجوانية: كان يطلق عليها أولا حارة الروم الجوانية، ثم تقل علي الألسنة ذلك فقال الناس الجوانية، وموضعها من وراء القصر، خلف دار الوزارة والحجر . (المقريزي ، المصدر السابق جـ٢ ص ١٤)، وحارة الجوانية تقع علي يسار المار من حارة الشيخ الجمل، ويسلك فيها الي عطفة الدير، وهي من الحارات القديمة التي اختصها جوهر لعساكر سولاه .(مبارك ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٠٣) وحارة الروم الجوانية تقع بالقرب من باب النصر، وعلي يسار الداخل الي القاهرة ولايزال أسمها يطلق علي حارة الجوانية بشارع الجمالية، وفي داخلها حارة الدير ، التي بها دير اولئك الأروام. (محمد رمزي، حاشية النجوم ، جـ ٤ ص ٤٢ ح ٤) ، وقد أعتاد الوراقون أن يكتبوا حارة الروم السفلي.

٥٣- درب السلسلة : كان بجوار مطبخ القصر الغربي، قبالة باب الزهومة، وموضعه الان الصاغة تجاه المدارس الصالحية. سمي درب السلسلة لانه كانت عنده سلسلة منه الي قبالته، تعلق كل يوم من الظهر حتي لايعبر راكب تحت القصر . (المقريزي ، نفس المصدر والجزء ص ٣٨) ، ودرب السلسلة اليوم هو أحد العطف التي يدخل منها للصاغة . (مبارك ، نفس المصدر والجزء ص ١٠٨) موضعه الان وكالة الجواهرجية الواقعة بشارع الخردجية تجاه مدخل شارع خان الخليلي الذي كان أوله باب الزهومة . (محمد رمزي، حاشية النجوم - جـ٤ ، ص ٥٣ ج٢).

٥٤- درب الخضيري: هذا الدرب يقابل باب الجامع الأقمر البحري. وهو من جملة حقوق القصر الغربي. عرف بالأمير عز الدين أيدمر الخضيري ، أحد أمراء الملك المنصور قلاوون . (المقريزي ، نفس المصدر والجزء ص ٤٣ ، ودرب الخضيري كان موجودا حتي سنة ١٢٤٠هـ ثم هدمه مع الدور التي به سليمان أغا السلحدار، وأدخله في بيته الكبير . (علي مبارك ، نفس المصدر والجزء - ص ٨٦٦) وهو الأن المنطقة المحصورة بين شارع الخرنفش وحتي بيمارستان قلاوون.

٥٥- خط الخرنفش: هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافوري (بستان كافور) ويتوصل اليه من بين القصرين، فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف، والذي كان يعرف قديما بباب التبانين، ويسلك من الخرشتف الي خط باب سر المارستان والي حارة زويلة وكان موضع الخرشتف في أيام الخلفاء الفاطمين، ميدانا بجوار القصر الغربي والبستان الكافوري. فلما زالت الدولة أختط ، وصار فيه عدة مساكن وبه أيضا سوق. وأنما سمي الخرشتف لأن المعز أول من بني فيه اسطبلات بالخرشتف، وهو مايتحجر مما يوقد به علي مياه الحمامات من الازبال وغيرها، وبني به الادار والطواحين وغيرها وذلك بعد الستمائة، واكثر اراضي الميدان حكر للاجر القطبية (المقريزي نفس المصدر والجزء ص ٢٨،٢٧)

٥٦- رحبة ابي تراب: هذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان . (المقريزي . نفس المصدر والجزء . ص ٤٩) ويقع بالجهة اليمني من شارع الخرنفش حارة تعرف بحارة سيدي علي الأتربي، بأولها زاوية الأتربي وتعرف بمسجد الأتربي أيضا، ويسلك منها لحارة برجوان. ومسجد الأتربي مسجد قديم يقال أنه من زمن الفاطمين ثم هدم . (مبارك - المصدر السابق جـ٣ ص ١٣٥).

٥٧- رحبة الصاحب موفق الدين: هذه الرحبة تعرف الأن بحارة زويلة ، تجاه دار واصطبل الصاحب الوزير موفق الدين ابي البقاء هبة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير (المقريزي . نفس المصدر والجزء . ص ٤٩) وحارة زويلة بشارع بين السورين هي حارة كبيرة جدا، بداخلها عطف وحارات . وهذه الحارة هي قطعة صغيرة من الحارة القديمة التى ذكرها المقريزي في الخطط، وتبين أن من ضمن حارة زويلة، بحسب الأصل ، وحارة اليهود الربانيين، وحارة اليهود القرابين ، ودرب الصقالية، وحاصل ما ذكر أن حارة زويلة القديمة انقسمت الي أربعة أقسام لكل واحدة منها باب من خط بعيد عن الأخر، أما من الداخل فالجميع حارة واحدة يقال لهاحارة اليهود (علي مبارك . المصدر السابق جـ٣ ص ٧٣،٧٢).

٥٨- حارة الجودرية: من حارات القاهرة التي عرفت بالطائفة الجودرية، احدي طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله .(المقريزي . نفس المصدر والجزء . ص ٥) وشارع الجودرية يبدأ برأس حارة الجودرية بأول شارع المؤيد ، وينتهي الي

شارع الحطاب وشارع المنجلية، وبه من جهة اليسار حارة الجودرية، وهي حارة كبيرة ممتدة الي جامع بيبرس الخياط والي درب سعادة ولها بابان احدهما من سوق المؤيد، والآخر بجوار جامع بيبرس، (علي مبارك، نفس المصدر والجزء، ص ١٧٨)، وموقعها الان المنطقة التي يخترقها شارع الجودرية وفروعه، وحارة الجودرية الكبيرة، وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية، (محمد رمزي، حاشية النجوم، جـ٤ – ص ٥١ ح٣)،

٥٩- خط حمام ابن عبود :- موضعها فيما بين اصطبل الجميزة بجوار القصر الغربي وبين رأس حارة زويلة اغتصبها الأمير شهاب الدين أحمد بن أخت جمال الدين الأستادار ودارا أخري بجوارها، (المقريزي الخطط، جـ٢، ص ٨١)، ويعرف هذا الحمام بحمام السبع قاعات، ويقع بعطفة السبع قاعات بجوار شارع السكة الجديدة، وكانت تجاه دار بن فضل الله كاتب السر، وهذا الحمام عامرة الي الان يدخلها الرجال والنساء، (علي مبارك، الخطط جـ٦ ص ١٩٦)،

٦٠- خط الخوخ السبع: هذا الخط فيما بين اصطبل الطارمة وخان الزراكشة العتيق وكان فيه قديما أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها الي الجامع الأزهر، فلما انقضت دولتهم أختط مساكن وسوقا يباع فيه الأبر التي يخاط بها وغير ذلك فعرف بالأبارين (المقريزي، نفس المصدر ،والجزء، ص ٣٥)،

٦١- حارة كتامة: كانت مجاورة لحارة الباطلية، وصارت الات من جملتها، كانت منازل كتامة بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز، وموضع هذه الحارة اليوم حمام كراي وماجاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام (المقريزي، نفس المصدر والجزء، ص ١٠) وحارة الدويداري التي تقع علي يمين المار بشارع الأزهر بعد رأس شارع اسنبار تجاه رواق الصعايدة هي التي سماها المقريزي بحارة كتامة، (علي مبارك، نفس المصدر، جـ٢ ص ٢٦١)،

٦٢- درب القماحين: هذا الدرب بخط قصر ابن عمار ، وهو من جملة حارة كتامة، قريبا من الحارة الصالحية(المقريزي، نفس المصدر و الجزء ص ٤٠ .

ودرب القماحين كان واقعا بين حارة الدويداري وبين شارع الدراسة. (علي مبـــارك ، نفس المصدر والجزء . ص ٢٦٢).

٦٣- د. محمد عبد الستار عثمان. المدينة الاسلامية . سلسلة عالم المعرفـــة العـــدد ١٢٨ - الكويت ١٩٨٨م .ص ٢٥٨.

٦٤- مثل وكالة الملك الأشرف برسباي التي شيدها تجاه جامعه بشارع الاشرفية. (علي مبارك الخطط جـ٢ ص ١١٠)وربع الملك الأشـــرف قايتبـــاي تجـــاه جامعـــة بالروضة .(علي مبارك . الخطط . جـ٢ ص ١١٠)وقيسارية وربع الأمـــير شهاب الدين أحمد المهمندار بجوار المدرسة المهنداريـــة .(المقريـــزي الخطـــط جـ٢ ص ٣٩٩).

٦٥- مثل ربع الامير طشتمر الساقي بجوارداره بحدرة البقر (ابن تغري بردي النجـــوم . جـ١٠ص ١٠٢).

٦٦- مثل ربع الملك الأشرف شعبان الذي شيده أعلي الحمامين بشارع السروجية وحـــارة الحنة (صورة وثيقة وقف الملك الأشرف شعبان . مؤرخة في ١٣ جمادي الاخـــرة سنة ٧٧٧هـ بمحكمة . بدون رقم . ص ٨٩٩).

٦٧- مثل ربع الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الذي شيده خارج باب زويلـــه ووقفـــه علي مدرسته الظاهرية بخط بين القصرين (المقريزي . الخطـــط ج٢ ص ٣٧٩) وربع ووكالة الملك الأشرف قايتباي بباب النصر .(علي مبـــارك . الخطـــط ، جـ٥ ص ١٧١ -١٧٢).

٦٨- د. امال العمري . المرجع السابق . ص ١٦٦

٦٩- المقريزي الخطط . جـ٢ ص ٩٣

٧٠- قوسون: هو الأمير الكبير سيف الدين قوصون أمره الملك النـــاصر محمـــد بـــن قلاوون ورقاه حتي بلغه أعلي المراتب ، واختص به السلطان بحيث لم ينل أحـــد عنده ما ناله وزوجه بأبنته، وتزوج الناصر أخته. فلما أحتضـــر النـــاصر جعلـــه وصيا علي أبنائه . وأخذ قوصون في أسباب السلطنة ، وتقلد نيابة السلطنه بمصر ، وصار أمر الدولة كله بيده حتي قتل سنة ٧٤٢هـ . وهو صاحب الجامع الكبير بالقاهرة والخانقاه المشهور بباب القرافة، وداره بالرميلة وحكر قوصـــون. (ابـــن

حجر - الدرر - جـ٣ ص ٢٥٧-٣٥٨- المقريزي ، الخطط جـ٢ ص ٣٠٧-٣٠٨)

٧١- د. امال العمري ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

٧٢- د. عبد الطيف ابراهيم الوثائق فى خدمة الآثار ص ٤٠٧ والزراكشة هو أحد اخطاط القاهرة، كان يقع بين خط باب الزهومة وخط الخوخ السبع وفيه اليوم فندق المهمندار وخان الخليلي وخان منحك. (المقريزي ج_٢ ص ٣٥٠) ومحله الآن خان الخليلي ومابجواره من الأماكن والحارات .(علي مبارك ، الخطط جـ٢ ص ٢٤٧).

٧٣- د. امال العمري ، المرجع السابق ص ١١٨ .

٧٤- قيسارية بيبرس : عمرها الأمير بيبرس الجاشنكير قبل أن يتولي السلطنه، برأس باب الجودرية من القاهرة ، وجعل فوقها ربعا . أما قيسارية بكتمر بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين، أنشأها الأمير بكتمر الساقي في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون.(المقريزي ، الخطط جـ٢ من ص ٨٧: ٨٩).

٧٥- مثل وكالة قوصون .(المقريزي ، نفس المصدر والجزء ص ٩٣)

٧٦- مثل قيسارية بيبرس وقيسارية طشتمر (المقريزي ، نفس المصدر والجزء ، ص ٨٧ ، ٨٩).

٧٧- مثل فندقي الصالح وطرنطاي (المقريزي ، نفس المصدر والجزء ص٩٢)

٧٨- محمد أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح - ترتيب محمد خاطر - القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٢٢٩ .

٧٩- ففي تربيعة ال ملك الجولندار بالوراقين ، بلغ عدد الحوانيت أربعة عشر حانوتا ومقعدين.

٨٠- يبدو أن التربيعة والمقاعد كانت مخصصة لطائفة معينة أو أكثر من أرباب الحرف ، ففي تربيعة ال ملك الجوكندار، خصصت أربعة حوانيت لسكن الماوردية (بياعي العطور ونحوها) أما بقية الحوانيت والمقعدين فكانت لسكن الهرامزيين. (د. عبد اللطيف ابراهيم علي ، الوثائق في خدمة الاثار - ص٤١٥).

٨١- فقد ذكــر المقــريزي أن تــربيعة جــانى بيك الدودار كان يعلوها طباق (الخطط ، جــ٢ ص ٨٩)،

٨٢- إذا لم يصل الينا منها سوي عدد قليل جدا مثل تربيعة آل ملك الجوكندار ، وتربيعة جاني بيك الدودار في العصر المملوكي الجركسي، (علي مبارك ، الخطط جــ ٣ ص ١٦٩)،

٨٣- الخطط جــ٢ ص ٩٣ ،

٨٤- خط الوراقين : كان فيما بين الصاغة والمدارس الصالحية النجمية (المقريــزي ، الخطط جــ٢ ص ١٠٢) وسوق الوراقين من أشهر أسواق القاهرة ويبتدئ مــن اخر شارع الأشرفية برسباي عند شارع البندقانيين ،(علي مبارك ، الخطــط ج٢ ص ٣٢)،

٨٥- من المعتقد أن هذه الحجرة قد خصصها الأشرف لجلوس والي القاهرة، في هــذا الخط العامر وهو خط بين اللقصرين،

٨٦- سوق العنبرين: كان بين سوق الحريرين الشراربين (بشــارع الأشــرفية) وبيــن قيسارية العصفر ،(المقريزي الخطط جــــ٢ ، ص ١٠٢-١٠٣) ومحلــه اليــوم وكاله يعقوب بيك وبعض التربيعة بشارع الغورية علي يمين السالك من المدرسة الأشرفية برسباي الي الغورية ، (على مبارك ، الخطط جــ٢ ص ١١٥)،

٨٧- قيسارية علم الدين الخياط هي قيسارية العصفر بشارع القاهرة، عرفت بذلك مــن أجل أن العصفر كان يدق بها انشأها علم الدين ســنجر الســروري المعــروف بالخياط ، والي القاهرة ، ووقفها في سنة ٦٩٢هـــ (المقريزي الخطط جــــ٢ ص ٨٩) ومحلها الان تربيعة الأمير جاني بيك الدودار ووكالة يعقوب بيــك بشــارع الغورية ، (على مبارك ، الخطط - جــ٢ ص ١١٤ : ١١٦) ، وسوق العنــبرين وقيسارية العصفر كانتا متلاصقين ،(المقريزي ، الخطط جــ٢ ، ص١٠٢)،

٨٨- قيسارية العنبر : هي سوق العنبرين كانت في الدولة الفاطمية سجنا يعرف بحبــس المعونة ، فلما كان في الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الأمراء الظاهريــة بيبرس جعل علي نفسه ان الله تعالي ان جعل له من الأمر شــيئا أن يبنــي هــذا الحبس مكانا، فلما صار ملك ديار مصر والشام، هدم حبس المعونة وعمــر بــه

قيسارية، وقيل بناه سوقا اسكنه بياعي العنبر سنة ٦٨٠ هـ (المقريزي ، الخطط ، جـ ص ١٠٢)٠

٨٩- ربع ووقف القطبية: تحدث عنهم المقريزي في خططه جـ٢ ص ٣٣٠) عند ذكر الجامع : الاشرفي برسباي فقال: أن الجامع فيما بين المدرسة السيوفية (جامع الشيخ مطهر) وقيسارية العنبر، كان موضعه حوانيت تعلوها رباع ومن ورائها ساحات، كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية ، فأبتدأ الهدم بعد ما استبدلت بغيرها في أول رجب سنة ٨٢٦هـ وبني مكانها الجامع ٠

٩٠- مسجد الجعيري: هو جامع الحلبيين، كان فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة ، على يسرة من سلك من حمام خشبية طالبا البندقانيين، بني على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير، بناه طلائع بن رزيك وسماه المشهد ، ومابرح هذا المسجد يعرف بالمشهد الي أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل بن سلطان بن عمار بن تمام أبو عبد الله الحلبي الجعيري المعروف بالخطيب المقريزي ، الخطط جـ٢ ص ٤١٠) والظاهر ان هذا المسجد دخل بعضه او كله في حدود جامع الشيخ مطهر الذي بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا في محل المدرسة السيوفية (علي مبارك ، الخطط ج٦ ص ١٣١)٠

٩١- قد يكون المقصود بها حوانيت الأخفافين ، بياعي أخفاف النساء التي كانت بسوق الحريرين، الذي كان يمتد من باب قيسارية العنبر الي خط البندقانيين (المقريزي ، الخطط جـ٢ ص ١٠٢)٠

٩٢- بهذه المنطقة شارع يعرف بشارع التربيعة ، ويبتدئ من أول شارع الوراقين . وينتهي لشارع العطارين والفحامين، وهو في محاذاة شارع الغورية، والفاصل بينهما وكالة يعقوب بيك والأماكن التي بجوارها المتصلة بجامع الغوري، عرفت بالتربيعة من أجل قيسارية كانت به، هدمت وبناها الامير جاني بك، داودار السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٦هـ (علي مبارك ، الخطط ، جـ٣ ص ١٦٩)، ولكن من الواضح أنه كان بهذه المنطقة تربيعة قديمة خاصة باليهود تسبق في تاريخها تربيعة جاني بيك الدوادار، فتربيعته شيدت بعد فترة ليست

بالقليلة من تاريخ تحرير وثيقة الملك الأشرف شعبان تتضمن هذا الوصف والمؤرخة في عام ٧٧٧ هـ في حين أن التربيعة بنيت سنة ٨٢٦ هـ .

٩٣- سوق اللجمين: ويباع فيه الات اللجم وغيرها مما يتخذ من الجلد (المقريزي . الخطط - جـ٢ ص ٩٨). وهذا السوق كان يلي سوق المهافرين الذي كان يقع من حبس المعونة الي حمام الخراطين وماتجاه ذلك، وكان سوق اللجمين متصل به . ويباع في اللجم والركب والمهافير والسروج وغيرها. (علي مبارك . الخطط جـ٢ ص ١١٧) وبذلك كان هذا السوق يلي سوق العنبرين ، بشارع الغورية حاليا.

٩٤- هذا الجامع برأس السكة الجديدة عند تقاطعها مع الشارع الموصل من باب زويلة الي باب النصر بحذاء جامع الأشرفية عن شمال الذاهب الي النحاسين بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا وصل به مدرسين وطلبه وقراء وعين له كاتبا عظيما من ريع أوقافه. وكان هذا الجامع متسعا فأخذ منه في فتح السكة الجديدة جانبا وعمر مابقي منه . وكان اصله المدرسة السيوفية. (علي مبارك . الخطط . جـ٥ ص ٢٦٥). المدرسة السيوفية: هي أول مدرسة وقفت علي الحنفية بديار مصر ، وهي من جملة جار الوزير المأمون البطائي . وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .(مقريزي الخطط . جـ٢ . ص ٣٦٥ -٦٦) . وكان بجوارها المسجد المعروف بالجلين. هي قيسارية العصفر . وكانت بشارع القاهرة، لها باب من المهافرين وباب من سوق الوراقين، عرفت بذلك من اجل أن العصفر كان يدق بها . أنشاها علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط والي القاهرة ، ووقفها في سنة ٦٩٢ هـ (المقريزي . الخطط . جـ٢ ص ٨٩).

٩٥- خارج بابي زويلة: هذا الشارع تجاه من خرج من باب زويلة ، أحد أبواب سور القاهرة الفاطمي ، يمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الي الخليج، وبين الطريق المسلوك فيه ذات اليسار الي قلعة الجبل (المقريزي الخطط جـ٢ ص ١٠٠).

٩٦- الباب الجديد (باب القوس) : انشأه الخليفة الحاكم بأمر الله علي يسره الخارج من باب زويلة علي شاطئ بركة الفيل وبني الناس في الشارع من الباب الجديد الي الجبل عرضا حيث قلعة الجبل الان٠(المقريزي ٠ الخطط - جـ٢ ص ١٠٠ - ١٠١) وعليه يكون موضع الباب الجديد اليوم بين حارة الهلالية وموضعها الآن حارة الدالي حسين ، وحارة المنتجبية وموضعها حارة درب الأغوات أو قريبا منه بالجهة اليمني من شارع الحلمية (علي مبارك - الخطط جـ٢ ص ١٥٣)٠

٩٧- كان أعمر أخطاط القاهرة وأنزها في عهد الدولة الفاطمية (المقريزي ٠ الخطط جـ٢ - ص ٢٨)٠

٩٨- سطر ٣٩٥ - ٤٠٦

٩٩- دار طشتمر: ذكرها المقريزي في خططة (جـ٢ ص ٦٨) عند حديثه عن دار البقر فقال : هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل ، بالخط الذي يقال له اليوم حدرة البقر كانت دار للابقار التي برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ، ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون انشأها دارا وأصطبلا وغرس بها عدة أشجار ٠ وعرفت بالأمير طقتمر الدمشقي، ثم عرفت بدار الأمير طشتمر حمص أخضر ٠ وهذه الدار باقية الي وقتنا هذا ينزلها أمراء الدولة٠ وطشتمر هذا هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقي الناصري المعروف بحمص أخضر كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وخواصه ، ولاه نيابه صفد ، ثم نقله الي نيابة حلب ، وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة ٠ ومات مقتولا بالكرك سنة ٧٤٣هـ وهو صاحب الدار العظيمة والربع الذي بجانبها بحدرة البقر والجامع بالصحراء والجامعين بزريبة قصون والربع الذي بالحريرين داخل القاهرة (ابن تغري بردي ٠ النجوم٠ جـ ١٠ ص ١٠١، ١٠٢) وقد أزيل هذا القصر وملحقاته ٠(عبد الرحمن زكي - القاهرة ٠ ص ١١٦) فقد ذكر علي مبارك في خططه (جـ٢ ص ١٥٧) عند الحديث عن شارع السيوفية أنه كان بهذا الشارع في زمن الناصر محمد قلاوون عمارات جليلة من ضمنها دار البقر، والذي يغلب علي الظن أن دار البقر هذه هي التي محلها الآن حوش الجاموس المملوك لعلي أفندي البقلي الحكيم والبيوت المملوكة لنا التي أنشأها

بلصق بيتنا الكبير الكائن علي الشارع· وقبل إنشائها كان في محلها ساقية غزاوي كبيرة ذات وجود أربع أظن أنها هي ساقية دار البقر المذكورة · وقد هدمناها وأنشأنا في مساحتها البيوت المذكورة وبئرها موجودة الي الأن · بالبحث تبين أن هذا البيت، أو دار البقر كانت واقعة في المنطقة التي تحد عن الغرب بشارع الحلمية، فيما بين زاوية الشيخ عبد الله، وبين مدخل شارع المظفر ، ومن الجنوب بشارع المظفر الذي كان يسمي قديما حدرة البقر، ومن الشرق حارة رفعت · (محمد رمزي · حاشية كتاب النجوم الزاهرة - جـ٩ ص ١٢٢ ح١)·

١٠٠- أرغون اللحياوي لم نعثر علي ترجمة له في كتب التراجم جميعها· ولعله أحد أمراء المماليك الكبار ، فمن المعروف أن هذه المنطقة (حول القلعة) لم يشيد بها قصور أو دور سوي كبار أمراء الدولة خاصة في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون· ولعل كاتب الوثيقة قد أخطأ في لقب هذا الأمير، مما تعذر معه معرفة المنشئ·

١٠١- من المعتقد أن المقصود به الطريق المؤدي الي الميدان السلطان تحت قلعة الجبل·

١٠٢- كان للحوانيت في العصر الوسيط مساطب أمامها، وترتفع أرضية الحانوت عن مستوي أرضية الشارع بمقدار متر تقريبا · و المساطب إما مجاديل من الحجر تحمل علي كباش بارزة، وإما تبني بالآجر والحجر والجير وتبلط ·(د· عبد اللطيف ابراهيم علي نصان جديدان من وثيقة الامير صرغتمش بحث مستخرج من حوليات كلية الاداب - جامعة القاهرة · م ٢٨ - ١٩٦٦ م·ص ٤٩ ح ٤٠

١٠٣- يقع بشارع السيوفية علي يسار المار بأوله يسلك منه الي الرميلة التي عرفت الآن بالمنشية بجوار جامع السلطان حسن· وشارع المظفر هو حجرة البقر المذكورة في المقريزي غير مرة (علي مبارك · الخطط جـ٢ · ص ١٥٧)·

١٠٤- العقارات المذكورة عبارة عن مجموعة من الحوانيت التي يحتمل أنها من بقايا الربع أما سبيل يوسف بك فيرجع الي سنة ١١٨٦هـ · أثر ٢٦٢ ·

١٠٥- قد يظن البعض أنها من بقايا اسطبل قوصون ، ولكن من المعروف أن أسطبل قوصون كان ممتدا من شارع السيوفية، بعد مدرسة سنقر السعدي، حتي ميدان

الرميلة (ميدان صلاح الدين حاليا) ويؤكد المقريزي ذلك (جـ٢ ص ٣٩٧ عندما تحدث عن المدرسة السعدية فقال : أنها بقرب حدرة البقر ، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، وهي الان في ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل . وهذا يعني أن قصر قوصون لم يصل امتداده الي شارع المظفر، وانما كان مكانه المنطقة التي تشتمل اليوم علي

١- القصر الأثري المعروف بقصر يشبك أو بقصر الأمير أقيردي الدوادار (أثر ٢٦٦)

٢- الأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر والتي تعرف بحوش بردق.

٣- الأرض المقام عليها الان مدرسة عثمان باشا الواقعة خلف القصر .

٤- الأرض القائم عليها النصف الغربي من عمارة والده الخديوي اسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا والمطلة علي ميدان صلاح الدين (محمد رمزي . حاشية كتاب النجوم الزاهرة. جـ ٩ - ص ١١٠ - ١١١ ح ٤).

١٠٦- وثيقة باسم الاشرف شعبان . محكمة بدون رقم س ٥٧٨: ٥٩٧ .

١٠٧- المقصود بخط الصالحية ، كما سنوضح في الصفحات التالية ، وليس المدارس الصالحية.

١٠٨- لم تحدد الوثيقة الاسم بالكامل مما تعذر معه معرفة المنشئ ، بالاضافة الي اننا لم نجد لهذا الدار ذكرا سواء في كتب الخطط أو التاريخ.

١٠٩- جراريب: الجمع جرابه، وهي إحدي مصراعي الباب ينطبق أحدهما علي الآخر. ولعلها مصطلح لنوع خاص من الأبواب الخشبية التي شاعت في ذلك العصر، وكانت تستخدم عند فتحها "كتندة" أيضا وتغلق علي الحوانيت دون غيرها .(د. عبد اللطيف ابراهيم - المرجع السابق ص ٤٠٧ ح٢).

١١٠- الباب المقنطر هو الباب ذو العقد أيا كان شكله (د. عبد اللطيف ابراهيم - المرجع السابق ص ٣٩٧).

١١١- الصوان : نوع من الحجر الصلد، يوجد منه عدة أنواع ويستعمل في صنع الأعتاب.

١١٢- نوع من التسقيف عكس التسقيف النقي ، فهو مصنوع من كتل خشبية لم يعالجـها النجار ٠

١١٣- الحجر الكدان : نوع من الأحجار الجيرية يختلف لونها مـن الابيـض والأصفـر والرمادي ٠(محمد مصطفي نجيب ٠ منشاة الأمير قرقماس أمير كبير ٠ الملحـق الوثائقي ٠ ص ١٣٠-١٣١ ٠

١١٤- سويقة حارة الصالحية : ذكرها المقريزي (الخطط جـ٢ ص ١٠٦) عند الحديـث عن سويقة طغلق فقال: كانت سويقة طغلق علي رأس الصالحية مما يلي الجـامع االأزهر، وأول ماعمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير أربع حوانيت، ثم عمـرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التى كانت مما يلي باب البرقية٠

١١٥- درب الحجر: كان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر (جمع حجـرة) فيها الغلمان المختصون بالخلفاء، كما أدركنا بالقلعة البيوت التي كان يقـال لـها الطباق٠ وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية ، والي حيث المسجد الـذي يعرف بمسجد القاصد، تجاه باب الجامع الحاكمى الذي يقضي الي باب النصـر ٠(المقريزي ٠ نفس المصدر والجزء ص ٤٤٣) والحجر : كانت قريـة مـن بـاب النصر قديما علي يمين الخارج من القاهرة٠ ومكانها الآن الخانقاه الركنية بيـبرس بشارع الجمالية٠

١١٦- الروشن: الجمع رواش، وروزن بالفارسية معناها النـافذة ، أو الكـره للأضـاءة ويقصد بها الخرجات او البروز في العمائر ٠ وقد يكون لها درابزيـن خشـب أو تكون كلها من الخشب الخرط كالمشربيات٠ والغرض منها زيادة سـطح الأدوار العليا وتجميل المبني أو العمارة (د٠ عبد اللطيف ابراهيم ٠ الوثائق فـي خدمـة الآثار ص ٨ ٠ ح ٢)٠

١١٧- حارة الصالحية الكبيرة: عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك ٠ هي موضعـان : الصالحية الكبري والصالحية الصغرى وموضعها فيما بيـن المشـهد الحسـيني ورحبة الأيدمري وباب البرقية٠ وكانت من الحارات العظيمة وقـد خربـت الآن وباقيها متداع الي الخراب ٠(المقريزي ٠ الخطط جـ٢ ص ٢) والذي يؤخذ من كلام المقريزي أن رحبة الايدمري محلها الان مدرسة اينال والمدرسـة البيدريـة

(ايدمر البهلوان) حارة البرقية هي المعروفة اليوم بشارع الدراسة ، ويتعين أن حارة الصالحية واقعة بين شارع أم الغلام وبين شارع الدراسة، وعلى ذلك يكون محلها الآن درب الحموي وعطفة القرطبي وحارة الجاور علي ، لأن هذه الحارات هي الواقعة بين المشهد والبرقية ورحبة الأيدمري (علي مبارك ، الخطط جـ٢ ص ٢٣٦ - ٢٣٧)٠

١١٨- دار المقر السيفي الملكي : هي دار الأمير سيف الدين ال ملك الجوكندار، بناها تجاه مدرسته بخط المشهد الحسيني من القاهرة ٠ (المقريزي ٠ الخطط د ٢ ص ٣٩٢)٠ وكانت هذه الدار تقع بالجهة اليمني من شارع أم الغلام بعطفة الجاور علي (علي مبارك الخطط جـ٢ ص ٢٣٥)٠ وقد زالت هذه الدار الآن٠

١١٩- الخطط جـ٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٨ ٠ درب العسل يقع بشارع الحلوجي حاليا وهذا الدرب كان قديما يقع علي يمنه من خرج من خط الخوخ السبع يريد المشهد الحسيني (المقريزي ٠ الخطط جـ٢ ص ٤٠)٠

١٢٠- المقصود بالصرف ، حوانيت الصرف التي تقع بخط بين القصرين فقد ذكر المقريزي (الخطط جـ٢ ص ٩٧) أن سوق باب الزهومة ، كان موضعه في الدولة الفاطمية سوق الصيارفة يقابل سوق السيوفيين، فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله وعندما تحدث عن سوق السلاح : (جـ٢ ٠ ص ٩٧) قال: هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك ، استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين ، وكان تجاهه خان وعلي بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار٠ فلما أنشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة البرقوقية المستجدة صارت في موضع الخان وحوانيت الصرف، تجاه سوق السلاح ولازالت شوارع هذه المنطقة (خلف بيمارستان المنصور قلاوون) تحمل اسم حوانيت الصرف، فهناك شارع سوق الصيارف الكبير المتفرع من شارع المعز لدين الله والذي ينتهي الي شارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقا) وكذلك سوق الصيارف الصغير المتفرع من شارع المقاصيص بشارع المعز لدين الله ٠ ولقد تحدث علي مبارك في خططة (جـ٢ ٠ ص ١٠٣) عن شارع الجوهرجية فقال : يبتدئ هذا الشارع من حارة الصالحية ، وينتهي الي شارع

المقاصيص، وكان له سوق باب الزهومة ، وكان في موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ، وبهذا التحديد فقد كان سوق الصيارف يقع علي يسار الداخل في شارع المقاصيص ، من شارع الخردجية، حيث كانت تمتد حوانيت الصيارف حتي حارة اليهود(علي مبارك ، الخطط ج٢ ص ١٠٦)

١٢١- مسقف نقيا : طريقة في التسقيف يصنع من كتل والواح خشبية بعد أن يعالجها النجار ، وكان يستخدم في ذلك الواح من الخشب النقي في وسطها فساقي أو صور مربعة أو مسدسة أو مثمنة (د، عبد اللطيف ابراهيم علي ، وثيقة الأمير آخور كبير ، قراقجا الحسني، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ح ١٢)،

١٢٢- بئر ماء معين : كانت احدي وسائل التي تستخدمها المنشات الأثرية لما تحتاجه من المياه أي حفر بئر ماء في الارض ، وكانت هذه المياه ترفع الي أحواض عالية اما بواسطة السواقي أو بالالات الرابعة اليدوية ،(عبدالرحمن زكي ، خطط الفسطاط فيما كتبه عبد الرحمن بن عبد الحكم ص ٦٩)،

١٢٣- أيوان: كلمة فارسية مأخوذة من "ايفان" وتعني لغويا قاعة العرش وتعني معماريا أي مكان متسع تحده ثلاثة حوائط، أما الحائط الرابع فمفتوح كلية (د، سعاد ماهر مشهد الأمام علي في النجف ص ٣٨١)،

١٢٤- جور قاعة ": لفظ وثائقي يطلق علي الصحن الأوسط في التخطيط المدرسي المتعامد ، وتتكون من لفظين دور بالفارسية وتعني باب أو القاعة ، وهي أهم أجزاء البيت الاسلامي د، محمد مصطفي نجيب نظره جديدة علي النظام المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر السلوكي البرجي ، مقال في مجلة الاثار ، العدد الثاني ، ١٩٧٨ م ص ٥٤)،

١٢٥- الآبار : من المعتقد ان المقصود بالآبار آبار اصطبل الجميزة وهو المعروف ببئر زويلة وهي بئر كبيرة جدا عليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وقد ظلت قائمة حتي شيد علي جزء منها وموضعها اليوم قيسارية يونس تجاه درب الأنجب (المقريزي ، الخطط جـ ١ ص ٤٦٤) ويغلب علي الظن أنها البئر الموجودة الان في حمام حارة اليهود

بوسط درب الطباخ من شارع حارة اليهود القرابين. (علـــي مبـــارك . الخطط جـــ٣ ص ١٤٠)

١٢٦- هذه الدار لم يرد ذكرها في كتب الخطط ولا في المصادر . ومـــن المحتمـــل أن ملكيتها قد آلت لشخص اخر أو صودرت ، فقد ذكرت المصادر أن الملـــك زيـــن الدين كتبغا قد صدار املاك بيجرا بعد قتله . وبيدرا المنصوري نائب السلطنة فـــي عهد الملك الاشرف خليل بن قلاوون. وقد تولي السلطنة بعد قتل الاشرف خليـــل سنة ٦٩٣ هـــ وملك البلاد يوما واحد وتلقب بالملك الأوحد (ابن تغري بـــردي . النجوم. جـــ٨ ص ١٩) ولعل دار بيدرا كانت قريبة من قصر الامـــير بمـــيري ، وقصر الامير بدر الدين بكتاش (قصر بشتك حاليا) وقصر زين الدين كتبغا فـــي خط بين القصرين، وقد كانوا جميعا من اعظم أمراء المماليك في ســـلطنة الملـــك الأشرف خليل.

١٢٧- من المحتمل أنه فندق بلال المغيثي (المقريزي - الخطط جـــ٢ ص ٩٢ - علـــي مبارك - الخطط جـــ٢ ص ١٠٥).

١٢٨- علي مبارك . الخطط جـــ ٣ ص ١٣٩

١٢٩- الساباط : سقفية بين بنائين تحتها طريق أو ممر مشترك الاستطراق.

١٣٠-حارة الهلالية كانت تقع علي يسرة الخارج من الباب الجديد الحاكمي (المقريـــزي . الخطط - جـــ٢ ص ٢٠) ويظهر أن حارة الدالي حسين أو حارة العمـــارة التـــي يقر بها بشارع السروجية هي التي عبر عنها المقريزي بحارة الهلاليـــة . (علـــي مبارك . الخطط جـــ٢ ص ١٣٨).

١٣١- حوض بن هنس هو حوض كانت ترده الدواب، وينقل اليه الماء من بـــئر، وبـــه صارت تلك الخطة تعرف . وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الأمير بـــدر الدين هنس احد الحجاب في أيام الملك الصالح نجم الدين ايوب في سنة ٦٤٧هـــ وعمل بأعلاه مسجدا مرتفعا وساقية ماء علي بئر معين (المقريزي الخطط جـــ٢ ص ١٣٣) وموضعها الان من عطفة مراد بيك الي عطفة الغسالة التـــي بـــاخر ميدان الحلمية فهذه المسافة كانت تعرف أولا بخط بن هنس (أما حوض ابن هنس قد زال عند فتح شارع محمد علي سنة ١٨٧٣م. وكان واقعا في محـــور شـــارع

محمد علي غربي المنزل المجاور لحمام الدود من الجهة البحرية ، تجاه مدخل شارع علي باشا ابراهيم (محمد رمزي • حاشية كتاب النجوم الزاهرة ج٩ ص ٣٣)•

١٣٢- من الواضح أن كلمة المفقودة هنا هي كلمة المسلخ • وهو الحجرة الخاصة بخلع الملابس وحفظها•

١٣٣- هذا السطر يمثل السطر الأول من الدرج ٢٤ ويتضح من سياق كلماته والتي لا تتمشى مع السطر السابق لها، ان جزءا كبيرا من هذا الدرج قد تمزق وقد الصق هذا الدرج بالدرج التالي له بطريقة جعلت الكلمات غير متناسقة وغير متسلسلة• ومن الواضح أن الجزء المفقود من هذا الدرج كان يشتمل علي وصف حوانيت الربع والمخازن وعلي وصف أحد بيوت الربع وايضا بعض وحدات أحد الحمامين•

١٣٤- بيت أول : هو بيت البارد، وهو عادة عبارة عن ايوان يحوي مساطبا أو احواضا أو خلاوي وأجرانا وما الي ذلك • وهي مزودة بأحواض الماء او الهواء الساخن المار عبر أنابيب فخارية بحوائط القاعة أتيه من جهة المستوقد•

١٣٥- يقصد بها انه قد فتحت في جدرانه فتحات تغشيها قطع من الزجاج ، وهي الطريقة التي استخدمت في تزويد الحمامات بالضوء دون الهواء ، وذلك لتوفير الاضاءة الطبيعية للحمامات•

١٣٦- بيت الحرارة: هي الحجرة الساخنة وتزود بمغاطس للماء الساخن وهي أهم عناصر الحمام• وفي الحمامات الكبري يتكون عادة من ايونات أربعة أو ثلاثة ، ويغطي الأيونات عادة اقبية أما الصحن فتغطية قبة•

١٣٧- مسقف سكندري : سقف مقسم الى طبالي (بقج وتماسيح) ومربعات أو براطيم وتوجد به زخارف عربية نباتية وتقاسيم هندسية ملونة ومغرقة بالذهب واللازورد (د• عبد اللطيف ابراهيم • وثيقة الأمير اخور كبير قراقجا الحسني ص ٢٢٦)•

١٣٨- الدبكونية : هي المدخنة التي تعلو بيت القدور الخاص يغلي الماء في مستوقد الحمام(د• عبد اللطيف ابراهيم • دراسات تاريخية ووثائقية من عصر الغوري • معجم المصطلحات رقم ١١٦)- ووجد المستوقد خلف الحمام ويتم فيه تسخين الماء

في قدور نحاسية كبيرة ويمر الماء وابخار عبر انابيب فخارية لوحـــدات الحمـــام المختلفة ، وغالبا مايكون للمستوقد باب خفي تزويده بالوقود من حطب أو زبـــال وغيرها (د. محمد عبد الستار المرجع السابق ص ٢٤٧).

١٣٩- مسبل بالبياض اىَ معطي او مغشي بالسلاط ، والمراد من ذلك تنظيـــم اسـطحة البناء ووقايته وتزيينه (د. عبد اللطيف ابراهيم - نصـــان جديـدان مـــن وثيقـــة صرغتمش ، ص ٤٣ ح ١٧

١٤٠- جمون : كلمة سريانيه الاصل أصلها جمل وزيدت عليه الواو والنون للتصغـير ، وفي العمارة الجملون من البناء ما كان سقفه من اللبوص أو الخشـــب أو خلاقـــة ويكون علي هيئة سنم الجمل سواء كان البناء مستطيلا أو مربعا (محمـــد محمـد أمين وليلي علي ابراهيم المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، آقـــاهرة ١٩٩٠ ص ٣٠).

١٤١- هذا الربع لم نجد له ذكرا في كتب الخطط أو المصادر .

١٤٢- من المعتقد أنها دار الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبـــد الله السـرجواني نـــائب الكرك المتوفي عام ٧٤٧هـ (ابن تغري بردي النجوم الزاهرة جــ١٠ ص ١٧٧) ومن المحتمل ان تكون هذه الدار هي دار علي أغا اليســرجي التـــي أصلـــها دار الأمير المرحوم خورشيد باشا بعطفة المحكمة بشارع السروجية فهي الدار الوحيدة الملاصقة لأرض الحمامين بحارة الحناء بشارع السروجية (علي مبارك، الخطــط جــ٢ ص ١٤٣).

١٤٣- المقصود مصلي قتال اسبع، وقد تحدث عنها ابن تغري بـــردي (النجـــوم ج١٠ ص ٢٠٧) فقال : مصلي قتال السبع تجاه باب جامع قوصون ومحلها الان جـــامع حاتم البهلوان بشارع السروجية تجاه باب عطفة المحكمة وقتال السبع هو الأمـــير جمال الدين أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع الموصلي (علي ميـــارك ، الخطط جــ٢ ص ١٤٤).

١٤٤- بركة القيل : كانت فيما بين مصر والقاهرة وهي كبيرة جدا ولم يكن فـــي القديـم عليها بنيان، ثم عمر الناس حول بركـــة الفيـل بعـد الستمائة حتـــي صـــارت مساكنهاأجل مساكن مصر كلها، وكان ماء النيل يدخل في البركة فـــي الموضـــع

الذي يعرف اليوم بالجسر الأعظم تجاه قلعة الكبش (المقريزي ، الخطط جـ٢ ص ١٦١) وتعرف بركة الفيل الان بين أخطاط القاهرة الحلمية الجديدة ،

١٤٥- ذكر المقريزي في خططة -جـ٢ ص ٨٠) ان حمامي السيدة العمة تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الان بربع الزياتين الفندق الذي بابه بسوق الشوايين، كما ذكر أيضا (ج٢ ص ٤٢١) أن الأمير شيخو عمر الي جانب جامعه بخط الصليبية حمامين وعدة حوانيت يعلوها ربعا لسكن العامة ، كما سيد الملك الأشرف اينال ربعا وحمامين بخط بين القصرين (ابن تغري بـ ـز النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ١١٤)،

١٤٦- شارع السروجية : اولة من باب شارع الداوودية واخرة أول شارع الحلمية عند تقاطعه مع شارع محمد علي (علي مبارك الخطط جـ٢ ص ٣٨)،

١٤٧- وقف خيري برقم ١١٩٨ قسم الاعيان بدفتر خانة وزارة الأوقاف ويشمل جزء منها أرض هذين الحمامين والربع بشارع السروجية وحارة الحنة وشارع محمد علي ،

١٤٨- الخطط جـ٢ ص ٩٢

١٤٩-خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير ومسرور من خدام القصر، اختص بالسلطان صلاح الدين وكان له بر واحسان وكان الفندق الكبير يضم تسعة وتسعين بيتا كبيرا (المقريزي ، الخطط جـ٢ ص ٩٢) وموضعه الان الوكالة التي تجاه جامع الشيخ مطهر المعروفة بوكالة رخا التي بالخردجية، وبها المسجد المذكور الي اليوم (علي مبارك الخطط جـ٢ ص ١٠٨ - ١١١)

١٥٠- هو خان جانم المصبغة احد مماليك الملك الاشرف قايتباي ، توفي عام ٩١١ هـ (د. عبد اللطيف ابراهيم ، الوثائق في خدمة الاثار ص ٤١٢ - ١٣

١٥١- وثيقة باسم الملك الاشرف شعبان ، محكمة بدون رقم ص ٥٦٧ - ٥٧٠

* هبة الله محمد فتحي حسن الاربع والمنازل الشعبية في القاهرة في العصر المملوكي والعثماني ، مخطوط رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية الاثار جامعة القاهرة ١٩٩٦ م ص ٢٠٤

١٥٢- وقد يحوي الخان فندقا صغيرا بداخله مثل خان الزراكشة .(عبد اللطيف ابراهيم . الوثائق في خدمة الاثار ص ٤٠٧)

١٥٣- الخطط جـ٢ ص ٩٢ - ٩٤

١٥٤- فندق التفاح تجاه باب زويلة يرد اليه الفواكة علي اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة . أنشا دار التفاح الأمير طقو زدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها علي خانقاه بالقرافة . وبظاهرة هذه الدار حوانيت تباع فيها الفاكهة .

١٥٥- هذا الفندق فيما بين حمام خشبية وحارة العدوية انشأه الامير الطواشي أبو المناقب حسام الدين المغيثي . كان حبشي الجنس خدم عدة ملوك واستقر لا الملك الصالح علي بن الملك بن الملك المنصور قلاوون. وموضع الفندق الان ما بين حمام لمقاصيص وخان أبي طقية بشارع الجوهرجية (علي مبارك . الخطط ج٣ ص ١٠٥)

١٥٦- كان بخارج باب البحر ظاهر المقس . وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام ويعلوه ربعا كبيرا أحترق سنة ٧٢١هـ

١٥٧- جـ٢ ص ١٤٤

١٥٨- جـ٢ ص ٨٥

١٥٩- أمير علم . مات بالديار المصرية سنة ٧١٥ وكان من أكابر أمرائها (ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٢١٦).

١٦٠- أرض الحمامين تشغل الان العقارات ٥،٧،٩،١١،١٣ بحارة الحناء بشارع السروجية . والعقار ٤٩ بشارع محمد علي .

١٦١- الخطط . جـ٣ ص ٢٥٤ - جـ ٥ ص ١٩٨: ٢٠٠ .



انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة

د. منـــى محمد بـــدر
كلية الآثار-جامعة القاهرة - فرع الفيوم

مقدمة:

كان للحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣هــــ /١٧٩٨ (١) والتـــى استمرت ثلاث سنوات فقط أصداء عديـــدة علـــى المســـتويات السياســـية والعسكرية والحضارية. ورغم الفشل السياسي والعسكري ،إلا أن أثرهـــا الحضاري ظل غيرمنكور من جمهور الباحثين في التاريخ والحضارة (٢)

وقد دأب الباحثون - بسبب فضل علماء الحملة الفرنســـية الـــذي أماط اللثام عن اللغة المصريـــة القديمـــة(٣)ـ ينظـــرون إلـــى الجـــانب الايجابى(٤)فقط من النشاط العلمى للعلماء الذين جاءوا إلـــى مصـــر فـــي صحبة الغزاة.

أن التأثير السلبى(٥) لثقل الغزو على الآثار الإسلامية بخاصة ظـــل غير مطروق أمام الباحثين، بالرغم من أهمية هذا البحث في اعادة تكويـــن الصورة الصحيحة للآثار الإسلامية - ومنها ما هو هام، بل ان شئت فقـــل شامخ - وذلك قبل أن تنالها يد الغزو الثقيلة فتغير من معالمها أو تحيلـــها إلى غير حقيقتها.

ولا يقتصر البحث على الجانب المشـــار إليـــه فقـــط، بـــل يمتـــد بالضرورة إلى بيان خطأ كثير من علماء الحملة الفرنســـية فـــي وصـــف الآثار الإسلامية.لعل من أهم الجوانب الحضارية التى لها انعكاساتها علـــى العمارة والفنون - والاثار - هي النواحي الاقتصادية، فهي بمثابة المـــرآة

العاكسة للتطور الحضاري في هذا المجال، فالانتعاش والرواج الاقتصادي يؤثر تأثيرا إيجابيا مباشرا على التطور المعماري والفنى والعكس صحيح.

فيحدثنا الرافعى([٦]) عن انعكاسات الحملة الفرنسية علـى النواحـي الاقتصادية في مصر، بـأن توالـى الضرائـب والمصـادرات والنـهب والحرائق والتدمير قد اتلف الزراعة والتجارة والصناعة وأفقـر البـلاد وزادها ضنكا على ضنك فقد لجأ الفرنسـيون إلـى فـرض الضرائـب والغرامات على أهل القاهرة والأقاليم بل لجأوا أيضا إلى طريقة الاحتكـار ليستصفوا من المحتكرين مبالغ طائلة يرجع بها هؤلاء أضعافا مضاعفـة على الجمهور. واتبعوا طريقة السندات على الخزانة في تأدية مـا عليـها من الديون، وهذه الطريقة نذير الإفلاس والخراب، بالإضافة إلى الحصـار الذي ضربته إنجلترا على الشواطئ المصرية قد عطل المواصلات وشـل المعاملات التجارية وأدى إلى كساد الأحـوال ووقـوف حركـة الأخـذ والعطاء.

انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار المصرية إيجابيا وسلبا :

ومن الدلائل التي يجب أن نسوقها قبل أن نتعرف على انعكاسـات الحملة الفرنسية على الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، أن نلم المامه سريعة بانعكاساتها على الآثار المصرية ايجابيا وسلبا.

تبدأ هذه الانعكاسات بعد أن كلف نابليون في الأشهر الأولـى مـن الحملة الفرنسية بعض المهندسين الجغرافيين وضبـاط أركـان الحملـة ومهندسي الري والقناطر والجسور برسم خريطة تفصيليـة عـن أنحـاء القطر المصري، وتم وضعها وافراغها وتقديمها إلى نابليون في اكتوبـر

سنة ١٢١٨هـ ، سنة ١٨٠٣م(٧). كما ألف نابليون لجنتين للكشف عن آثار الفراعنة في الصعيد ثم رسمها ودراستها، وكان من مهمتها أيضا التنقيب عن الآثار المصرية القديمة في الوجه القبلي إلى الشلالات والتعرف على آثار صعيد مصر ثم رسمها ودراستها، وكان من مهمتها أيضا التنقيب عن الآثار المصرية القديمة في الوجه القبلي إلى الشلالات والتعرف على آثار صعيد مصر وكان من أهم أعضاء هاتين اللجنتين المسيوفيقيان دينون الذي رافق حملة ديزية والمهندسون جومار وجالوا ودفيليه. كما ألف الجنرال كليبر لجنة علمية ثالثة لدراسة حالة مصر الحديثة من ناحية نظم الحكم وشرائعها وقوانينها وعاداتها ودينها وحالتها الاجتماعية وعلومها وتجارتها وصناعتها وزراعتها ، وكان عمل هذه اللجنة مكملا للجنتين الاوليتين وهكذا أتيح لهذه اللجان جميعا دراسة حضارة مصر القديمة والحديثة (٨). وكان من أهم أنشطة المجمع العلمي الفرنسي هو تكثيف رحلات التنقيب من الآثار عن أثر الجنود الذين يقومون بالفتح(٩).

وقد أسفرت جهود هؤلاء العلماء الفرنسيين عن كشف بعض الآثار المصرية القديمة بالوجه القبلي(١٠) كما تمكن أحد فنانيهم وهو "فيفان دينون" من وضع كتابه المعنون "رحلة إلى مصر العليا والسفلي أثناء حروب الجنرال بونابرت سنة ١٢١٧هـ صدر سنة١٨٠٢م(١١). ويعتبر أول كتاب صور بدقة تسجيلية وتفصيلية أهم المعايير المصرية القديمة

والكتابة الهيروغليفية وخطط وسير المعارك وأنماط العمارة الإسلامية بحيث شكل هذا الكتاب مرجعا أساسيا لفناني عصر دينون.

ولاشك أن هذا الفنان قد استفاد من مؤلفات الرحالة الاوربيين السابقين عليه مثل مؤلفات فولنى وسافارى عن مصر، فقد اصطحب معه هذه المؤلفات محاولا من خلال نصوصها أن يثبت برسومه أنها تطابقها، ثم تحول مؤلفه إلى مرجع أساسي لفناني عصره من الاوربيين.

وقد ترتب أيضا على جهود اللجان العلمية الفرنسية السابق الإشارة إليها وضع كتاب وصف مصر Disciption de l'Egypte[١٢] الذي تعتبر رسوماته أهم وأضخم كتلة وثائق ضخمة نشرت دفعة واحدة حتى الآن عن آثار مصر الفرعونية فقد بلغت عدد "٤١٩" لوحة تتضمن كما هائلا من الرسومات . وترجع أهمية الكتاب إلى أنه سجل لنا بعض الآثار المصرية القديمة التي اندرست حاليا[١٣] ومن النتائج الإيجابية أيضا في هذا المجال، عثور أحد رجالها سنة ١٧٩٩م على حجر رشيد[١٤]، الذي انتهى بنجاح العالم الفرنسي فانسوا شامبليون[١٥]في الكشف عن أصول الكتابة في اللغة المصرية القديمة، الأمر الذي أصبحت معه أخبار مصر وأثارها القديمة تتصدر الأنباء العالمية [١٦].

غير أنى من الرأي الذي يرى أن النتائج السلبية التي أدت إليها الحملة الفرنسية على الآثار المصرية كانت أكثر فداحة من إيجابياتها، يكفى أنها شجعت على عمل المزيد من التنقيبات العلمية عن الآثار المصرية جاء البعض منها منظم[١٧] والبعض الآخر غير منظم يهدف إلى نهب آثارنا[١٨]، بحيث أ.د.أصبحت هذه الآثار المنهوبة من مصر هي

المصدر الأول لتكوين المجموعات الضخمة في المتاحف الأوربية كمتحف اللوفر بباريس والمتحف البريطاني بلندن، ومتحف تورين،

ومتحف فلورنسا وبولونيا وغيرها([١٩]). بل أن شامبليون نفسه روعه ما كان يقوم به الحفارون الذين يبحثون عن الكنوز وأرعبه مدى الضرر الذي سببه عملهم فأرسل خطابا إلى محمد على يطالبه فيه بأن يعمل على حفظ الآثار المصرية القديمة محددا له الأماكن التي يجب عليه الاهتمام بها والتركيز عليها([٢٠]). ولقد وصلت النتائج السلبية إلى قمتها، حين لم يكتفي الفرنسيون بنقل الكثير من الآثار المصرية إلى فرنسا، بل قاموا أنفسهم بالمقايضة على كنوز مصر للإنجليز طبقا لمعاهدة العريش ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ([٢١])، وسلموا لهم عددا كبيرا من الآثار، كما استولوا على حجر رشيد الذي وصل إنجلترا في فبراير سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م([٢٢]).

انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة إيجابيا:

في مجال تخطيط المدن : قام مهندسو وعلماء الحملة الفرنسية عقب وصولهم القاهرة بتغيير بعض معالم تخطيط مدينة القاهرة أولا بغرض تأميني وصحي عندما نبهوا على الناس سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بمنع دفن موتاهم فىالأماكن القريبة من المساكن بعد أن كانوا اعتادوا ذلك كثريه الازبكية والرويعى، وطلبوا منهم أن يلجأوا إلى القرافات البعيدة مثل قرافة المماليك مع مراعاة تسفيل القبر([٢٣]).

وثانيا : بغرض إستراتيجي عسكري عندما أعادوا تخطيط بعض أجزاء من أحياء القاهرة ليسهل عليهم اقتحام أي منطقة بعساكرهم وأسلحتهم وتأمين مقر القيادة فلكي ينشئوا رحبة متسعة أمام بيت ساري

عسكر هدموا الأماكن المقابلة له من الجهة الأخرى والحدائق التي خلفه، فقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة([٢٤]). وفي سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م هدموا كل المنشآت التي خارج باب النصر وباب الفتوح وباب القوس إلى الباب الجديد حتى كشفوا عن سور المدينة الأصلي فعمروه ورمموا ما تشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه في العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدانات عظاما وأبوابا داخله وخارجه، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكه بكيفيه مخصوصه وركزوا عند كل باب عدد من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا ثم سدوا باب الفتوح بالبناء وكذلك باب البرقيه والباب المحروق([٢٥]). ثم قسم أمير الجيوش البلد خطوط، وجعل لكل خط حاكما فرنساويا إلى حدود بولاق وحدود الجيزة. وانقطعت جنس اللصوص والخطافين والعربان والسراقين، وكان حكام الخطوط في كل سبت يطلقون المناداة على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورش الماء لاجل النظافة ونظام الطرقات، وأمروا كل صاحب باب بيت أو باب وكالة أن يضع قنديلا مشتعلا طوال الليل([٢٦]).

ومن أعمالهم المدنية لربط الأحياء بعضها ببعض وتسهيل المرور بينها، أن جددوا منظره المغربي بعد أن آلت إلى السقوط، وجعلوها جسرا عظيما ممتدا مستويا على خط مستقيم من الازبكية إلى بولاق قسمين، قسم يتجه إلى طريق أبو العلا، وقسم يتجه إلى اليتانة وساحل النيل([٢٧]). كما عمروا قناطر الخليج المتهدمة داخل مصر وخارجها مثل قنطرة السد والقنطرة التي بين أراضى الناصرية وقنطرة الليمون وقنطرة قدبدار وقنطرة الاوز وغيرها ([٢٨]).

ومن الشوارع التي تم إصلاحها على أيدي رجال الحملة الفرنسية "شارع الفجالة" الذى كان يعسر السير فيه وقد اصبح ممتدا من باب الحديد إلى باب العدوى ومهدوا طريقا مستقيما غرسوا على جانبيه الأشجار من الازبكية إلى بولاق يبلغ طوله ١٢٠٠ متر، يبدأ من قنطرة المغربي ويتجه إلى بولاق رأسا، ويتفرع بقرب بولاق إلى فرعين، الأول إلى طريق أبي العلا، والثاني إلى التبانه وساحل النيل (٢٩).

ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون واقاموا في أعلاه طاحونا تدور في الهواء عجيبة تطحن الارادب، واقاموا طاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب(٣٠).

وفى مجال المنشآت الحربية :أنشئوا عدة قلاع(٣١) فوق تلال البرقية ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير وناصية الصوة طولا، ومهدوا أعالي التلال، وأصلحوا طرقها. وجعلوا لها مز الق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها، وأصلحوا قلعة الجبل وزادوها مناعة(٣٢).

ومن أعمالهم المدنية: اعجبوا بجزيرة الروضة إلى حد أنهم حاولوا أن ينشئوا فيها قصرا لجاليتهم الفرنسية(٣٣) أو مدينة فرنسية وأن لم تتم المحاولة – ولكنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة، فأقاموا جسرا من السفن يصل بين القصر العيني والروضة، وجسرا آخر من الروضة إلى الجيزة(٣٤).

أما مقياس النيل بالروضة،فقد غيروا معالمـــه وأبدلـوا أوضاعـه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق، وبنوا القاعة التي بها عمـــود المقياس بشكل آخر لا بأس به، وهي الحالية الآن ورفعوا قـــاعدة عـــامود المقايس ذراعا من خلال وضع قطعة مربعة من الرخام رسموا عليها مـن جهاتها الأربع قراريط الذراع(٣٥).

وحولوا بيت حسن، كاشف جركس مكتبة للمطالعـــة يحضرهـا أي شخص يرغب فى ذلك فى أوقات معينة من النهار(٣٦).

وشيدوا كازينو تيفولى يجتمع فيه النساء والرجـــال للـــهو وأنشـــأوا مسرحا سماه الجبرتى "كمرى" أى كوميدى(٣٧).

<u>انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة سلبيا:</u>

طبوغرافية مدينة القاهرة :لقد كانت للفرنسيين آثار ســـلبية سـيئة على مدينة القاهرة، رغم ما اشـــارنا إليـــه مـــن إيجابياتـــهم فـــي هـــذا المجال،والتي كانت قليلة إذا ما قورنت بأعمالـــهم الســـلبية : لقـــد كـــانت القاهرة قبلهم هى تلك العاصمة الجميلة التي يصفها أحد الرحالة الفرنسـيين في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بأنها أكبر مـــدن العـــالم وأنها أكبر من باريس(٣٨). وأن ، شوارعها مستقيمة وطويلة عنى السـكان بتشجيرها لكي ينعموا بالظل ويحتموا من شمس الصيف الحارقـــة، لذلـــك زرعوا فيها أعدادا كبيره من أشجار الكافور، وعند مدخل كل شارع يوجد باب خشبي يغلق على سكانه ليلا. ويصفها سونينى فى القرن الثامن عشـر الميلادي بأنها تشبه المدن الأوربية(٣٩) .

لقد صارت القاهرة في عهد الحملة الفرنسية كما يصفها الجبرتي[٤٠] "خرابا"، ففي سنة ١٢١٤م /١٧٩٩م ، خربت بها عدة جهات من اخطاط مصر الجليلة مثل جهة الازبكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة، وحد حارة كتخدا ورصيف الخشاب، وخط الساكت إلى بيت ساري عسكر بالقرب من قنطرة الدكه، وكذلك جهة باب الهواء إلى حارة النصارى من الجهة القبلية [٤١]. وفي سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م عم الخراب خط الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي والرويعي وبركة الرطلي وما جاورها وباب البحر والعدوى إلى باب الشعرية، فهدموا تلك الاخطاط والجهات والحارات والدروب[٤٢] وما فيها من منشآت متعددة الأغراض الوظيفية، كما هدموا الجوامع والمنارات في بركة الازبكية لاجل توسيع الطرقات لمشى العربانات[٤٣]. بالإضافة إلى الغرامات الجسيمة التي فرضت على سكان القاهرة، مما تنوء به اكبر العواصم وبخاصة بعدما حل بها من خراب ودمار[٤٤].

لقد دمروا أحياء كاملة كانت تعتبر من معالم القاهرة الجميلة مثل "حي بولاق"[٤٥] الذي يصفه الرحالة الفرنسيون[٤٦] في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بأنه "الحي المعتبر مرسى القاهرة وبواباتها فلابد من المرور عليه قبل دخول مدينة القاهرة لدفع الضريبة على البضائع ويعمل فيه عدد كبير من الصناع وتجار الحبوب وبه منازل جميلة وعدد من المساجد والمدارس وترسو في بولاق أنواع مختلفة من السفن محملة بالبضائع إلى القاهرة، ويرد عليه مختلف البضائع الهندية،

وهو ميناء جميل على النيل يتولى إدارته بعض اليهود، وفى بولاق بركه جميلة حولها منازل ومساجد مزينة بأجمل زينه ولكن منزل الخليفة من أجمل المنازل ليس في بولاق فحسب وإنما في القاهرة كلها([٤٧]).

فماذا فعل فيه الفرنسيون؟ .. للأسف لم يجد الفرنسيون أمامهم لقمع ثورات أهل القاهرة في إي حي من أحيائها إلا إشعال النيران مما أسفر عن تخريب فظيع في القاهرة واحترقت أحياء برمتها، وتهدمت بيوت عامرة ودفنت تحت أنقاضها عائلات بأكملها مثل حي "بولاق" فيصف الجبرتى فى أحداث ١٢١٥هـ (٤ ابريل سنة ١٨٠٠هـ) كيف حطمت وحشية مدافع الفرنسيين المتاريس أحدثت بها ثغرة كبيرة تدفق منها الجنود إلى شوارع الحي وأضرموا النار فى البيوت، فاشتعلت واتسع مداها وامتدت إلى مبانيه ومخازنه والوكائل والمحال التجارية فالتهمتها وما كان فيها من المتاجر العظيمة([٤٨]) ودمر هذا الحي الكبير الذي كان ميناءا للقاهرة ومستودعا لمتاجرها، وهدمت الدور على ساكنيها، وكان مأساة مروعة، حتى أن أحد الرحالة الفرنسيين وهو المسيو جالان([٤٩]) وهو شاهد عيان لآثار الحملة الفرنسية على مصر، وصفه فى كتابه "صورة مصر أثناء إقامة الجيش الفرنسي" فيقول : "أن بولاق تلك المدينة العامرة الزاهرة عادت هدفا للخراب واكلتها أهوال الحرب وفظائعها وستظل زمنا طويلا تتردى فى هاوية الخراب إلى أن تستطيع النهوض من أعباء الكوراث التي حلت بها، فإن معظم بيوتها اصبحت ركاما من الخراب والاطلال المحترقة".وقد أسفرت هذه الحرائق الوحشية عن تدمير كثير من الحارات

كحارة المقس من قبل سوق الخشاب إلى باب الحديد وجميع ما في ذلك من الحارات والدور وصارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات ([٥٠]). وصارت بركه الرطلى وما حولها([٥١]) من الدور والمتنزهات والبساتين تلالا وخرائب وكيمانا وأتربة - بعد ما كانت هذه البركة من أجمل متنزهات مصر قديما. وبالقرب منها كان يوجد المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر([٥٢]).

وفى سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) شرع الفرنسيون فى تكسير أبواب الحارات والدروب والبوابات النافذة في القاهرة والحسينية واستمروا في ذلك عدة أيام ونقلوا الجميع إلى بركه الازبكية عند رصيف الخشاب، والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ويرفعونها بالعتالين إلى هناك فاجتمع من ذلك شئ كثير جدا من رصيف الخشاب إلى قريب وسط البركه واستخدموه في عمائرهم والباقي باعوه حطبا([٥٣]). كما كسروا أبواب الحارات والدروب النافذة فى القاهرة والحسينية ·

المنشآت الحربية بالقاهرة "قلعة الجبل":

يعلق كازا نوفا([٥٤]) على آثار الحملة الفرنسية على قلعة الجبل بقوله "أن القلعة زمن الحملة الفرنسية لم يكن لها أية قيمة عسكرية إلا أنها قاست الكثير من جراء احتلالهم لها" فقد تذرع الفرنسيون بإن ترميم القلعة يستوجب هدم كثير من([٥٥]) البيوت القريبة منها، لذلك اخرجوا منها السكان وأمروهم بالنزول للسكنى بالمدينة فنزلوا ([٥٦]). واصعدوا المدافع إلى القلعة وركزوها في عدة مواضع، وأدى ذلك إلى توسيع كثير من الفتحات لتتلاءم مع فوهات المدافع والمشاقة([٥٧])، ليرى أهالي مصر انهم

إذا نهضوا مرة ثانية يتلق المدينة بالحراقة([٥٨]). وهدموا كثيرا من الأبنيـــة العالية، وأعلوا مواضع منخفضة وشرعوا فـــى بنـــاء حيطـــان وكرانــك وأسوار وأبراج([٥٩]). وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة([٦٠]) وغـــيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم الســـلاطين وأثـــار الحكماء العظماء، وما كان في الأبواب العظام مـــن الأســلحة والــدروق والحوارق والحرب الهندية واكر الفداوية.. واسكنوا الشيوج بجامع ســارية الجبل([٦١]) لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيين بها وكثرة مـــا نقلــوه اليها من الأمتعة والذخائر والغلال والاحطاب مع ما هدموه وعطلوه مـــن أماكنها حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة ملحقاتها فكـــانوا ينزلون إليه ويصعدون منه إلى باب السبع حدرات ([٦٢]). وهدمـــوا قصـــر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك ذوات الأركان الســـاحقة والأعمـــدة الباسقة([٦٣]).

وفى مارس سنة ١٢١٦هـــــ/١٨٠١م، ســدوا بـــاب البرقيـــة([٦٤]) "المعروف بباب الغريب" ونبوه فضاق خناق الناس بسبب الخـــروج إلـــى القرافه بالاموات ([٦٥]). وترتب على هذا الفعل خراب آخـــر تمثـــل، فـــى اضطرار الناس إلى فتح باب صغير فى حائط السور على قـــدر النعــش والحمالين والمشاه([٦٦]).

المنشآت الديـــنية :

فى سنة ١٢١٣هـــ/ ١٧٩٨م هدمت مدافـــع الفرنســيين المســاجد المجاورة لقنطة انبابة الرمه، ومسجد المقس المعروف "بأولاد عنان" على

الخليج المصرى بباب البحر([٦٧]). والجامع المجاور لقنطـــرة الدكـــه ([٦٨]). وفى سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠ م هدموا جامع الجنبلاطية([٦٩]) العظيم ببـــاب النصر وما كان به من القباب العظام المعقـــودة مـــن الحجـــر المنحـــوت المربعة الاركان الشبيه بالاهرام والمنارة العظيمـــة ذات الـــهلالين ([٧٠]). وهدموا أعالى المدرسة النظامية، كما هدموا مدرســـة القانبيـــة والجـــامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركس وجامع خوندبركـــه الناصريـــة خارج باب البرقية ([٧١])، وكذلك ابنية باب القرافه ومدارسها ومســـاجدها. وهدموا بعض جامع عثمان كتخدا القرذغلى الذى بالقرب مـــن رصيـــف الخشاب وخربوا جامع خايربك الذى بدرب الحمام بالقرب من بركه الفيل، وجامع البنهاوى والطرطوشى([٧٢]) والعدوى، وجامع عبد الرحمن كتخـــدا المقابل لباب الفتوح حتى لـــم يبقـــى منـــه – فـــى أيامـــهم – الا بعـــض الجدران([٧٣]).

وفى شهر رجب سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ســـقطت منـــارة جـــامع قوصون "نصفها العلوي" فهدمت جانبا من بوائك الجامع، ومـــال نصفـــها الأسفل على الأماكن المقابلة بعطفة الدرب النافذ لدرب الاغوات ويعتقـــد الجبرتى([٧٤]) أن سقوطها كان بسبب بارود الفرنسيس.

وفى مستهل جمادى الأول ســـنة ١٢١٥ هـــ/١٨٠٠م تضـــاعفت الأمور والظلومات حتى لم تسلم أضرحة الموتى من تخريبـــهم، فـــهدموا القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تحصن المحـــاربين فيها، واستخدموا في هدمها البارود بطريقة اللغم فيسقط المكـــان بجميـــع أجزائه من قوة البارود خوفا من تمكن الأهـــالي منـــها والرمـــى علـــى القلعة([٧٥]).

لقد هدموا كثيرا من المقابر والاضرحه ذات القباب بروعة زخارفها ونقوشها الكتابية، رغم اعترافهم بتجلي فنون العمارة في بناء هذه الاضرحه الكبيرة التي تتضاءل إلى جوارها عمارة المساجد وقصور الكبار([٧٦]).

المنشآت المدنية (المنازل والبيوت([٧٧]) والقصور([٧٨])):

يذكر على باشا مبارك([٧٩]) أن الفرنساوية رغم أنها لم تمكث بالديار المصرية زمنا طويلا فإن مدتهم لا تزيد على ثلاثة سنوات ومع ذلك حصل فيها حوادث شتى خرب بسببها كثير من بلاد الإقليم وتهدم كثير من دور القاهرة وفارقها كثير من السكان.

فمنذ دخول الافرنج القاهرة من اليوم الثاني لانهزام أمراء المماليك سكن الإفرنج بيوت الامراء، فسكن بونابرت بيت محمد بك الألفي بالازبكية ([٨٠])، وسكن كل أمير فيما أعجبه من بيوت الأمراء([٨١]) فأخذوا قصر الأمير حسن كاشف([٨٢]) جركس بالناصرية، كما سكن الجنرال "ديبوى" قصر ابراهيم بك في بركه الفيل، وقد كتب خطابا أرسله لوالديه يقول ([٨٣]): "اسكن فى أجمل قصور القاهرة". وبعد ان انهزم الفرنسيون فى معركة أبى قير البحرية أمروا بإقصاء كثير من أصحاب البيوت عنها بحجة حاجتهم إليها([٨٤]).

وقد حدث خراب عظيم على أجمل قصور وبيوت القاهرة أثناء الثورة التي قام بها الشعب المصري ضد الفرنسيين سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م فتراشق الطرفان بالمدافع والنيران، ولكن بلغ من عنف وقسوة الفرنسيين فى ردعهم للثورة أن احترقت كثير من المنازل

والقصور، وفيها منزل أحمد اغاشويكار حيث كان يتحصن فيه إسماعيل كاشف الالفى، فكانت لهم طريقة مفزعة للغاية تقلع القصر تماما من اساساته، فقد جعلوا في منزل احمد اغاشويكار لغما بالبارود فاشتعل ورفع ما فوق الأبنية واحترق الناس عن آخرها بما فيهم إسماعيل كاشف نفسه(٨٥). ونتيجة لهذا القمع الوحشى انهدمت جميع الدور والمباني العظيمة، والبيوت التي عند المفارق بالقرب من جامع عثمان كتخدا حتى رصيف الخشاب، وهو نفس الحال الذي صارت إليه بيوت وقصور ورباع حى بولاق وخاصة المنشآت المعمارية المطلة على البحر وكذلك الاطارف. (٨٦) كما هدموا سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م الدور والقصور المزخرفة في بركة جباق(٨٧) . بحيث كانت دور وقصور الأمراء هي أكثر ما تهدم، ولم يكن هذا التدمير منصبا على جدران القصر أو البيت فحسب، بل كانوا لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شئ من انقاض دارهم فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط حيث عمائرهم وانبيتهم- التي يحتلونها أو لقلاعهم – وما تبقى يبيعونه بأبخس الأثمان أو يستعملونه كوقود للنيران. وما بقى من الكسارات الخشب يحزمه الفعله ويبيعونه للناس بأعلى الأثمان لعدم حطب الوقود(٨٨).

وخربوا بيوت الازبكية وبيوت قنطرة الموسكى إلى القبة الزرقا(٨٩)، وهدموا بيت الصابونجى ودار جرجس الجوهر وما جاوره، وكثر هدم بيوت الأمراء بصفة خاصة فى بركة الفيل، واخذوا اخشابها لعمارة القلاع أو كوقود للنار.

لقد تبين لنا مدى الخراب والدمار الذي لحق بقصور ومنازل القاهرة، وافقدتنا ثروة معمارية اثارية هائلة، لو وصلتنا لكانت أضافت لدراسة العمارة الإسلامية حلقات كثيرة مفقودة، وخاصة أنه لم يصلنا ولو قصر واحد الا عبر صور كتاب "وصف مصر" للحملة الفرنسية(٩٠). ولاشك أن رسومات الحملة الفرنسية لهذه القصور الإسلامية يؤكد الوصف الذي ذكره عنها أحد(٩١) الرحالة الفرنسيين فى القرن التاسع عشر الميلادى، فوصفها باتساعها وجمال حدائقها الداخلية المزروعة بأجود أنواع الثمار والأشجار ومدى تزيين المصريين لمنازلهم حتى الابواب والنوافذ مزينة بالأصداف والعاج، ومنازل أثرياء القاهرة لا تقل روعة وجمالا عن منازل أثرياء أوربا، وهى متعددة الطوابق والبعض منها مبنى على طراز منازل البندقية. ومنازل البكوات - يقصد بالقصور- جميلة واسعة بها فناء كبير واصطبلات تستوعب أربعين أو خمسين حصانا. وحجراتها واسعة مزينة ويوجد مدخل للمنزل، ثم حجرة تترك فيها الأحذية وحجرة لاستقبال الأتراك وأخرى لاستقبال المسيحيين وغرف الاستقبال ارضيتها من الرخام، وجدران المنزل مغطاة بالرخام مع بعض التذهيبات. ويوجد في منازل الأثرياء "نافورة" يخرج منها الماء تزرع حولها أشجار الفواكه المختلفة والفناء الداخلي سقفه مفتوح لدخول الهواء والضوء "ملقف" كما نهبوا بيوت النصارى واخذوا ما احبوا من الحاجات وسبوا النساء والبنات(٩٢).

مما سبق يتبين لنا أن الفرنسيين لم يدمروا العمائر الإسلامية فحسب، بل نهبوا ودمروا كثيرا من التحف المنقوله التي كانت تملأ هذه

البيوت والمنازل والقصور ومنها العديد من التحف التي تسربت إلى متاحف فرنسا وأوربا فقد أشارت المصادر([٩٣]) إلى أن الفرنساوية كانت إذا دخلت بيوت الغز والمماليك ينهبونها".

المنشآت التجارية "المتاجر والأسواق:

حتى المتاجر والأسواق رغم أنها شريان الحياة في أي بلد من البلدان، إلا أنها لم تنج من تدمير الفرنسيين لها، فقد هدموا مصاطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس لكرنكه لتعوق هجوم العدو وقت المعركة، والحقيقة أنهم لجأوا لذلك لخوفهم من تترس الناس بها عند حدوث الفتنه، وصار الناس يجلسون داخل فجوات الحوانيت مثل القيران فى الشقوق وفعلوا ذلك حتى مع الزوايا والجوامع والرباع، بحيث أصبحت أبوابها معلقه يصعد إليها بدرج من الخشب يوضع وقت الحاجة ويرفع بعد ذلك.. وهدموا مصاطب أحياء كاملة كالصليبه وقناطر السباع ودرب الجماميز ودرب سعادة وباب الخلق حتى باب الشعرية، وضربوا سوق الغورية والفحامين ([٩٤]).

انتهاك حرمة بعض المنشآت الدينية :

أن كثيرا من المنشآت الإسلامية في القاهرة آلتي سلمت وأن كانت قد سلمت من نيران الفرنسيين لكنها لم تسلم من انتهاك حرمتها. فمن أوائل المنشآت الدينية العريقة التى انتهك الفرنسيين حرمتها "الجامع الأزهر([٩٥]) (٣٥٩- ٣٦١هـ/٩٧٠- ٩٧٢م) ، الذى كان عند دخولهم مصر أقدم جامعه دينية عريقه ومقر للتنظيم الشعبى والزعامة الوطنية([٩٦])، واطلقوا عليه اسم "الجامع الأكبر" ([٩٧]).

أدرك نابليون خطورة هذا الجامع وخاصة أن الثـــوار قـــد أقـــاموا المتاريس والحواجز فى سائر الشوارع والدروب المؤدية للجـــامع، فـــأمر نابليون ان تنصب المدافع على المقطم لكى تطلق مع مدافع القلعـــه علـــى الازهر (٩٨). كما أصدر الجنرال برتييه أوامره للجنرال بون ١٢١٣هـــــ فى (٢٣ اكتور ١٧٩٨م) بان يهدم الجامع الكبير إذا أمكن(٩٩).

لقد أدرك الفرنسيون أنهم لكى يتغلبوا على الثوار فلابد أن يحتلـــوا الجامع الازهر، حتى حدثت الطامة الكبرى عقب مقتل كليبر على يد أبنـــاء الازهر وهو سليمان الحلبى، فتذرع الفرنسيون بـــهذه الحادثـــة ودخلـــوا الأزهر وهم يركبون الخيل وبينهم المشاة كالوعول وتفرقوا فى صحنـــــه، ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات وكســـروا القناديل، والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجـــاورين، ونـــهبوا مـــا وجدوه من المتاع والاوانى، والقصاع والودائـــع والمخبـــآت بـــالدواليب والخزانات، ودشـــتوا الكتـــب والمصـــاحف، وعلـــى الأرض طرحوهـــا وبأرجلهم ونعالهعم داسوها(١٠٠). وشرعوا فى حفر بعض الاماكن بحجـــة التفتيش على السلاح، فأخذ الطلبة في نقل أمتعتهم منه وكتبـــهم وإخـــلاء الاروقه، فتبين لعلماء الازهر أن الجامع أصبح عرضه للريبة والتفتيـــش لذلك عرضوا على الفرنسين اقفاله مؤقتا لمدة عام(١٠١).

أيضا أغلقت مدرسة "جامع محمد بك أبو الدهب"(١٠٢) المواجهـــة للجامع الازهر وسمرت أبوابه واخرج منه الطلبه الأتراك(١٠٣).

أما جامع الظاهر بيبرس(١٠٤) بحي الظاهر بالقاهرة، فقد اسكنوا فيـه طائفة التكرور، واتخذوا منه قلعة عسكرية هى قلعة "ســلكوفسكى"، واقام

فيه العسكر الفرنساوية واتخذوا مئذنته مرصدا للاستكشاف"[١٠٥].

كما تسببوا فىحرق جامع قايتباى بالروضة[١٠٦] المعروف بجامع السيوطى، لأنهم كانوا يصنعون البارود فى الحديقة المجاورة للجامع، وجعلوا جامع قايتباى مخزنا لما يصنعونه، فاحترق المسجد وظلت النيران مشتعلة فى سقفه طوال النهار[١٠٧]، حتى قضت النيران على جميع نجارته الأثرية، ولذلك فهو أقل مساجد قايتباى زخرفا[١٠٨].

وعملوا الجامع الناصري بجوار باب القرافه قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه واوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر[١٠٩] وجعلوا ذلك الجامع قلعة، وتخرب جامع الرويعى لأنهم جعلوه خماره[١١٠]، كما جعلوا جامع أزبك اليوسقى[١١١] بالازبكية سوقا للمزاد لمدة أيام كثيرة. وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها وكانت فى غاية الحسن، وجعلوها قلعة، ونبشوا ما بها من القبور، فوجدوا الموتى في توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزولوا تلك التوابيت والقوها إلى الخارج. فاضطر أهالى تلك الجهة إلى حملهم ودفنهم داخل التكية المجاورة لباب المدرج[١١٢].

وجعلوا قصر إبراهيم بك "قصر العينى" مستشفى عسكريا حصينا يسع الف مريض، والحق البيت الذى كان بجواره وهو بيت محمد كاشف الارناءوطى – وجعلوه مخزنا ومصنعا لفرقة الهندسة[١١٣]. وجعلوا قمم المجراه – مجرى العيون – طابيه حصينة سميت طابية المجراه أو السبع سواقى وسدوا عيون وبواكى المجراه التى تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وجعلوها سورا بذاتها، بحيث لم يبقى منها سوى قوصرة واحدة من ناحية

الطيبى جهة مصر القديمة، لأنهم جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين لها، ولقبض المكس من الداخل والخارج، وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد، وحفروا خلف ذلك خندقا(١١٤).

كتاب وصف مصر (١١٥)، إيجابياته وسلبياته : "لوحات الدولة الحديثة":

بعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر تم طبع كتاب وصف مصر: Desccrioption de l'Egypt والكتاب ينقسم إلى قسمين، القسم الأول: يتناول المتن ويقع فى ستة وعشرين مجلدا، والقسم الثاني : يقع في أحد عشر مجلدا ويتناول الخرائط والرسوم، ومنها رسوم للآثار المصرية القديمة في كل أجزاء القطر المصري، ورسم مصر الحديثة ومدنها ومبانيها الإسلامية.

ولاشك أن الكتاب ولوحاته ينم عن دقة فى استيعاب الحقائق العلمية واستقصاء المشاهدات والمعلومات والبيانات الدقيقة. ويدل دلالة واضح على مدى الجهد الضخم الذي بذل من أجل اتمام هذا الكم الهائل من الرسومات الذى شمل كافة جوانب الحضارة المصرية القديمة والحديثة.

ولما كان موضوع البحث يتعلق بالآثار الإسلامية داخل مدينة القاهرة، لذلك سوف نركز الدراسة التالية على الرسومات الخاصة بها فى الجزء الذى طبع حديثا وهو الجزء الثاني المعنون "لوحات الدولة الحديثة". وهذا الجزء لم يكن قاصرا على تناول رسوم الاثار الاسلامية فى كل ربوع القطر المصرى؛ إنما تناول نماذج من الآثار الإسلامية فى

كل القطر المصري، كما وصف الصناعة والحشرات والنباتات والمعادن والاحجار والخرائط الجغرافية لمصر. أما الآثار الإسلامية لمدينة القاهرة وضواحيها(١١٦) فقد رسمت فى كتاب وصف مصر من خلال ثلاث خرائط وعدد أربع وخمسين لوحة لأن واضعي الكتاب اكتفوا برسم بعض أجمل نماذج الآثار الإسلامية فقط. وغفلوا عن تسجيل أهم الآثار المعمارية الإسلامية فى مدينة القاهرة مثل "الجامع الازهر" الذى أشاد به "نابليون"(١١٧) واعتبره يقابل جامعة السوربون فى باريس وأنه اشهر جامعة فى الشرق، ومع ذلك لم يسجلوا لهذا الأثر الجليل رسما واحدا ولو من الخارج.

وحتى النماذج القليلة التى تم رسمها للاثار الإسلامية بمدينة القاهرة، لم تكن كلها تسجيلا دقيقا وكاملا للأثر، إنما جاء عدد كبير منها مجرد رسم واحد لجزء من الأثر لا يكفى لاعطاء فكرة حقيقية عن الأثر كله مثل الرسم الخاص بجامع الحاكم بأمر الله(١١٨)، وجامع سنان باشا(١١٩)، ومناظر احادية لبيت عثمان بك وبيت سليمان اغا وقصر قاسم بك ومدخلى قصر نجم الدين بالروضه، وبيت السلطان بيبرس وواجهة واحدة لجامع قانى باى الرماح بالناصرية، ورسم واحد وتخطيط واحد لكل من بوابتى النصر والفتوح من بوابات اسوار القاهرة الفاطمية(١٢٠).

أما التسجيل العلمى الحقيقى فكان لمجموعة السلطان حسن المعمارية(١٢١) بالقاهرة ٧٥٧-٧٦٤هـ/ ١٣٥٦-١٣٦٤م فقد رسم فى سبعة وعشرين منظرا يليه جامع احمد بن طولون(١٢٢) بالقاهرة [٢٦٢-٢٦٦هـ/٨٧٧-٨٧٩م] الذى رسم من خلال أربعة عشر رسما ثم جزيرة الروضة ولها ست مناظر، وبيت حسن كاشف مقر المعهد العلمى جاء فى

ستة عشر رسما كما أتبع نفس الاسلوب، أى رسم اكثر من منظر لعدد آخر من الأثار الإسلامية([١٢٣]).

ومن الايجابيات التى تحمد لرسامى الحملة الفرنسية وكتابهم وصف مصر، رسمهم لبعض الآثار الإسلامية التى اندرست تماما من مدينة القاهرة حاليا مثل "القصور" واستطاعت رسومات الحملة ان تعطينا عنها فكرة عامة طيبة توضح مدى ضخامة وفخامة هذه الابنية واحتوائها على كل الوان الراحة، وكثرة تأنقها بزخارفها ونقوشها ورسم المناظر الطبيعية على جدرانها ([١٢٤]). وهو المعنى الذى اكده جومار ([١٢٥])عند وصف هذه القصور بإنها لا تخلو من الضخامة ولا من الفخامة ولا من المتعة، بل أن الترف والبذخ يجعلها من بعض النواحى تتفوق حتى على ما نشاهده فى بلادنا". وحفظت لنا واجهتا قصرى نجم الدين بالمقياس وبيت السلطان بيبرس (لوحة ١) عن وصف مصر([١٢٦]) ، اللذان اندثرا الآن، مع ملاحظة أنه يؤخذ على فنانى الحملة الفرنسية اغفالهم رسم الازار الكتابى المنقوش فيه كتابات عربية بالخط النسخ المملوكى فوق عقد مدخل قصر السلطان بيبرس، والذى يؤكد لنا ذلك، إن أحد الرحالة الاوروبيين الذى جاءوا بعد الحملة استطاع أن يسجل لنا هذا الازار الجميل([١٢٧]).

ومن الآثار التى اندرست حاليا وبقى ذكرها بالرسم فى لوحات وصف مصر هى : تخطيط الجامع والايوان اللذين كانا ملحقان بمقياس النيل بالروضة، وايوان يوسف بالقلعة أو (قاعة العدل)، ومنظر لبركه الفيل وحديقة الناصرية، وكيف كان ميدان الازبكية على عصرهم([١٢٨]).

وفى الكتاب نستطيع أن نتبين كيف وصل الحال ببعض آثار القاهرة الفاطمية فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) وقد فقدت وظيفتها المعمارية بسبب زحف الاهالى عليها والسكنى بها مثل بوابة النصر([١٢٩]) ٤٨٠-٤٨٥هـ/١٠٨٧-١٠٩٢م (لوحة ٢) التى قال عنها الكتاب -وصف مصر- كان يلاصقها مقابر. وشيد جامع جنبلاط ملاصق لسور القاهرة الفاطمية . وتم وضع ضلف خشبيه على فتحات الطابق الاوسط والسطح من بوابة النصر لاستعمالها كنوافذ، وبرز من سطح البرج الايسر مشربية خشبية، وتم سد الفراغ الذى بين الشرافات التى تعلو الابراج بالآجر، لتحويل السطح كمسكن.وفقد من البرج الايمن بعض الشرافات .

أما بوابة الفتوح([١٣٠]) ٤٨٠هـ/١٠٨٧م (لوحة ٣) عن وصف مصر، فيظهر منها زحف الاهالى عليها من خلال اقامة الحوانيت على بدنتى الابراج من أسفل، مما تسببت فى اخفاء اجزاء كبيرة من معالمهما، واستخدم الآجر فى سد فتحتين من الفتحات المعقودة التى تعلو عقد المدخل. وأدى بناء الحوانيت المشار إليها إلى قصر المسافة المحصورة بين البرجين والمؤدية إلى داخل القاهرة([١٣١]).

كما تبين لنا من خلال رسوم الكتاب المشار إليه وجود أجزاء معمارية اختفت الان، من عمائر اسلامية مازالت باقية مثل :(لوحة٤)([١٣٢]) عن وصف مصر للواجهة الرئيسية وكتلة المدخل الرئيسى([١٣٣]) من جامع الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥-٦٦٧ هـ / ١٢٦٦-١٢٦٩م، فيظهر هذا الرسم أن المدخل الرئيسى تعلوه غرفة هى الطابق الثانى الذى يدخل عن الطابق الأول إلى الداخل قليلا وقد زخرفت واجهاته الثلاث بحنايا معقودة بعقود منكسرة، يتوجها زخرفة تذكرنا بتلك

بعقود منكسرة، يتوجها زخرفة تذكرنا بتلك الزخارف التى تزيـــن حنايـــا كتلة المدخل الرئيسى وعلى ارتفاع حوالى اربعة مداميك، يوجـــد صــف مكون من ثلاث فتحات مستطيلة يحتمل أن تكـــون نوافـــذ ، وقـــد علـــل كريسيزويل([١٣٤]) وجود هذا الطابق الثانى، بانه يشكل الطابق الأول مـــن مئذنة الجامع، والتى لا تزال بقاياها حتى الأن، معتمـــدا علـــى أن هـــذا الطراز من المدخل والمئذنة التى تعلوه مباشرة ، وثيق الصلة بـــالمدخل ذو المئذنة بالمدرســـة الصالحيـــة ([١٣٥]). ٦٤١-٦٤٨هـــ/١٢٤٣-١٢٥٠م] بالنحاسين والتى شيدت قبل جامع الظاهر بنحو خمسة وعشرين عاما فقط

وأن كان الرأى السابق غير مؤكد لأن باقى الرسوم المأخوذة لـــهذا الجامع فى كتاب وصف مصر ومنها رسم قطاع داخلى لكتلـــة المدخـــل بالطابق الثانى لا يظهر فيه على الاطلاق اثار الدرج الذى لابد من وجوده بداخل – أو خارج – اى مئذنة ليصعد عليها المؤذن• ومن العمائر التـــى مازالت قائمة واختفت بعض اجزائها المعمارية جامع احمد بن طولـــون، فيظهر فى احد صور الحملة الفرنسية للمنظور الداخلى للجامع (لوحـــة ٥) ([١٣٦]) وقد رسم الصحن المكشوف حيث تتوسطه الفوارة ولـــها شـــرافات مدرجة اندرست الان (لوحة ٦) ولم تنتبه الجهات المعنية بصيانة وترميـــم الاثار الاسلامية لمحاولة اعادتها اسوة يما تم بالنسبة لاثار اسلامية أخـــرى كمجموعة السلطان حسن، الأمر الذى سوف نوضحه فى حينه، كما يظـــهر لنا من التخطط المعمارى لجامع احمد بن طولون عن الحملـــة الفرنســـية (لوحة ٧) رسم الفوارة الحالية فى وســـط الصحـــن يجاورهـــا منشـــآتين آخريتين اندرستا الأن([١٣٧]).

لقد جانب الصواب بعض الآراء([١٣٨]) التى اعتبرت رسوم كتاب وصف مصر "تتميز بالدقة الحرفية والطابع الفوتوغرافى"، والدليل على ذلك وجود بعض الاخطاء([١٣٩]) التى رسمت للعمارة الاسلامية بالقاهرة سوف نوضح بعضها ليضعها الدارس فى اعتبارة عند دراسة تلك العمائر.

فالتخطيط الافقى لجامع احمد بن طولون (لوحة ٧) كما ورد فى كتاب وصف مصر، يحتوى على عدد ستة ابواب فى التخطيط الاصلى، وباب واحد فى الزيادة المحيطة بالجامع فى حين أن التخطيط الصحيح. والذى لم يتغير منذ بناء الجامع حتى الآن([١٤٠]) (لوحة ٨) يحتوى على واحد وعشرين بابا يقابلها مثلهافى الزيادات ([١٤١]). كما أهمل واضعوا الكتاب (فى لوحة٥) رسم الاطر الزخرفية الجميلة المنحوتة فى الجص الموجودة اسفل السقف مباشرة، والتى تدور حول كوشات عقود الاروقة وبواطنها. وايضا تلك التى تدور حول فتحات النوافذ المقامة فى ظهر عقود البوائك للتخفيف وهى النوافذ التى خلقت باكتافها عمد رشيقة حليت حافاتها بزخارف متنوعة من الجص وهى مازالت قائمة حتى الآن (لوحة ٩) ولم يهتم اصحاب الكتاب الا برسم زخارف تيجان العقود المدمجة فى الدعامات.

لقد تجنب : بعض الرحالة الاوربيين الذين جاءوا بعد حملة بونابرت على مصر هذه الاخطاء، فيما رسموه عن جامع احمد بن طولون واهتموا بإبراز الزخارف الجصية الجميلة فى رسوماتهم ([١٤٢]).

ومن الاخطاء الملموسة فى اعمال علماء الحملة الفرنسية عن

قناطر المياه بفم الخليج([١٤٣]) (لوحة ١٠) ([١٤٤]) أنهم رسموا عقود البواكى الحاملة للقناطر منكسرة مدببة وكذلك عقود رأس المجرى([١٤٥])، ولكنها على الطبيعة عقود نصف دائرية (لوحة ١١) ([١٤٦]) وأن كنا نجد اسفل عقود رأس المجرى (لوحة ١٠) أجزاء بارزة من البناء ،فقدت الآن.

أما التحفة المعمارية الخالدة "مجموعة السلطان حسن المعمارية بالقاهرة"، والتى وصفها علماء الحملة الفرنسية([١٤٧]) "بأنها من أجمل مبانى القاهرة، فإنهم لم يتوانى فى جمع رسومها وتفصيلتها ، وقد سبق واشرنا بالفعل للعدد الكبير([١٤٨]) من الرسومات التى جاءت فى كتاب وصف مصر لهذا الأثر الجليل. ومن ايجابياتهم فى تسجيل هذا الأثر أنهم سجلوا لنا بعض أجزاء معمارية اندثرت الآن، مثلا فى (لوحتى ١٢ ،١٣) عن وصف مصر([١٤٩]) يظهر فى الصحن رسم فوارتين ، تبقى منهما فوارة واحدة هى الكبرى الباقية الان تتوسط صحن الجامع. ويظهر فى (لوحة ١٣) فوارتين اخريتين فى صحنى كل من مدرسة الحنفية والشافعية اندرستا الان من الطبيعة ٠ومن التخطيطات المعمارية الحديثة لمجموعة السلطان حسن المعمارية (لوحة ١٤)فلا يظهر فيها الا الفوارة الكبرى فقط وقد اثار ذلك التساؤل عن الفوارة([١٥٠]) الصغرى الثانية التى كانت توجد بجوار الفوارة الكبرى فى صحن الجامع هل تم بناؤها مع اصل بناء الجامع ام أنها اضيفت إليه فى وقت متأخر؟ بالرجوع إلى وثيقة وقف السلطان حسن([١٥١])، تبين لنا أنها تنص على وجود فسقيتين وليس الفسقيةالواحدة الكبرى القائمة حتى الآن وهى الاصلية([١٥٢])، فى حين ان الصغرى المندرسه وجدت مرسومة فى كتاب وصف مصر (لوحة ١٢)

وقد شيدت فوق فوهة البئر للسقاية، ويتضح لنا من الرسم المشار إليه انها كانت مصنوعة من الخشب ولها قبة محمولة على اعمدة خشبية ويخرج من اسفلها فتحات صغيرة يتدفق منها الماء، وظلت قائمة بعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، لان الرحالة الاوربيين الذين جاءوا بعدهم إدركوها ورسموها فى صورهم مثل ديفيد روبرت ([١٥٣]). ولقد ظلت الفوارة الصغرى قائمة حتى مطلع هذا القرن حيث اشار اليها مكس هرتس سنة ١٩٠٢م([١٥٤]) ووصفها بأنها حوض له حنفيات، واعتبرها – وقد جانبه الصواب فى ذلك – من الزيادات التي لا فائدة منها بل هي مشوهه لصحن الجامع لقربها من الفسقية الكبرى.

ومع ذلك لا يجب أن يأخذنا الابهار بكم الرسومات التى وردت فى كتاب وصف مصر لهذا الأثر العظيم عن السلبيات التى حفل بها ففى (لوحة ١٢أ) نجد انهم رسموا عقد ايوان القبله اقل انفراجا عما هو عليه الآن([١٥٥]). كما حفل التخطيط المعمارى (لوحة ١٣) فى كتاب وصف مصر([١٥٦])، بالعديد من الاخطاء، وبمقارنته بالتخطيط الصحيح ([١٥٧]) (لوحة ١٤) تبين لنا نقص فى عدد حجرات الطلبة في كل من مدرستى الشافعية والحنفية على جانبى ايوان القبله، وكذلك نقص في عدد حجرات مدرسة الحنابلة. واهمل التخطيط المعمارى رسم باقي الملحقات الواقعة خلف كتلة المدخل الرئيسي وخاصة خلف ايوان الحنابله كما (أغفل رسم معظم تغطية الاسقف، اللهم إلا رسم القبو المتقاطع فى الرحبه التي تلى المدخل فى المدارس المذهبية الأربع، ورسم القبوين المتقاطعين في تغطية الحجرة المستطيلة الشكل فى الملحقات الواقعة خلاف رحبة المدخل الرئيسي.

لقد تميزت مجموعة السلطان حسن المعمارية باستعمال كل وسائل التغطية من القبو، والقبو المتقاطع، والقبة، والسقف المستو، والسقف السماوى المكشوف الأمر الذى لم يوضحه التخطيط المعمارى الوارد فى كتاب وصف مصر والمشار إليه.

ومن الأخطاء الشائعة فى الكتاب أيضا عدم الدقة فى نقل الزخارف الموجودة فى الأثر السابق ففى (لوحه ١٢) أهمل رسم الازار الجصى ذى النقوش المنحوتة الرائعة الذي يدور حول جدران الصحن والايوانات الاربعة للجامع و قوام زخرفته - كما يبدو حتى الآن - نصوص قرآنية تنتهى بالدعاء للسلطان حسن واسم مشيد عمارته وهو محمد بن بيليك المحسنى، مكتوبة بالخط الكوفي على خلفية نباتية مورقة([١٥٨]) فلم تهتم صور كتاب وصف مصر إلا برسم الكتابات العربية فقط على خلفية خالية من اية زخارف تماما، وكان هذا الخطأ عاما فى كل الرسومات التى جاء من ضمنها رسم هذا الازار الزخرفى([١٥٩]).

ومن سلبيات كتاب وصف مصر فى رسم كتلة مدخل مجموعة السلطان حسن (لوحة ١٥) ([١٦٠]) إغفال رسم الدخله المعقودة الموجودة اسفل الدرج، فعلى الرغم من الاصلاحات التى حدثت سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م([١٦١]) لهذا الأثر والتي بمقتضاها تم إصلاحه وإزالة الحوانيت الموجودة اسفل درج السلطان حسن وبناء مصطبه وسلالم جديدة ، إلا أن هذه الدخلة المعقودة تم الإبقاء عليها لأنها من أصل تصميم الأثر . والذى يؤكد لنا ذلك أن الرحالة الأوربيين الذين جاءوا بعد الحملة الفرنسية أدركوها وتناولوها فى رسوماتهم، حتى الجفت اللاعب (الزخرفة

القالبية البارزة) التى تحيط بـــهذه الدخلـة اهتـد بسـكال كوسـت([١٦٢]) بتوضيحها (لوحة ١٦) ولكن ديفيد روبرت([١٦٣]) (لوحة ١٧) رسم ثـــلاث دخلات أخرى على يمين ويسار هذه الدخلـــة وأوضـح أنـها مسـتعملة كحوانيت، ولكن هذه الحوانيت الثلاثة ازيلت حاليا، ولم يبقى غير الدخلـــة الكبيرة المعقوره التى كانت تستعمل فى بعض الاوقات كحانوت، وحاليـــا هى مغلقة (لوحة ١٨).

ومن الجدير بالملاحظة على صور كتاب وصف مصـــر وصـــور الرحالة الأوربيين المشار إليهم رسم بسطه مدخل السلطان حســن بــدرج واحد – رغم أنها حاليا بدرجين – ورسمهم فى ذلك الوقت كان صحيحــا، فقد سبق و جددت هذه البسطة بدرجها ســـنة٨٢٥-٨٢٦هـــ/ ١٤٢٢م، وعملت بسلم واحد فقط، ولكن فى مطلع هذا القـــرن أجريـت ترميمـات واصلاحات جديدة بهذا الأثر، كان من ضمنها إعادة البسطه والدرج إلـــى الشكل الأصلي القديم أي بدرجين وليس درج واحد([١٦٤]).

وقد أهمل الكتاب ايضا رسم التفاصيل الزخرفيـــة المنحوتـه فـى الحجر فى المربع الاوسط (لوحة ١٥) على جانبى جحـر المدخـل([١٦٥])، والذى كانت تتخلله قطع صغيرة من الخزف الازرق اللون مازالت أثارهـا باقية حتى الأن. أما التفاصيل الزخرفية المنحوتة على الرخام فى الشـريط الزخرفى الذى يفصل بين جحر المدخل وبين زخارف واجهـــة المدخـل (لوحة ١٩) فقد رسموا خطأ تفاصيلها الزخرفية مكونه من وحدة زخرفيـة واحدة مكررة لأشكال بيضية فى حين انها تتكون من وحدتين زخرفيتيـــن متبادلتين، إحداهما لزخرفة الورقة النباتية الثلاثية الكأسية التى يحيط بها

اطار، ووحدةثانية هى زخرفة نباتية مركبة (ارابيسك).

أما الصرة الجميلة المنحوتة فى الرخام التى تكتنف حجر المدخل من أسفل فقد رسموها بدون تفاصيل زخرفية إلا ان الرحالة الأوربيون الذين جاءوا بعد الحملة الفرنسية تجنبوا هذا الخطا مثل بسكال كوست (لوحة ١٦).

ومن السلبيات الواضحة فى رسم الواجهات الخارجية لمجموعة السلطان حسن (لوحة ٢٠) فى كتاب وصف مصر([٦٦]) رسم كتلة المدخل أكثر ارتفاعا من باقى الواجهات الرئيسية. ولم يكن هذا الخطأ مترتبا على قصور فى رسم المنظور الصحيح لهذا الجزء من الاثر – كما يبدو للوهلة الأولى – أنما نتج من الاقتصار على رسم صفوف المقرنصات (الكورنيش) التى تتوج أعلى جدران كتلة المدخل الرئيسى والواجهة الشمالية الخارجية للضريح فحسب مع إغفال رسمها على باقى الجدران الخارجية للواجهة الرئيسية، الأمر الذى يمكن ملاحظته ايضا فى (لوحة ٢١) عن وصف مصر ([٦٧]). وهنا يثور التساؤل. هل سقطت المقرنصات بالفعل عن الأجزاء المشار اليها ولذلك لم ترسم فى الكتاب، الإجابة بالنفى، اذ الحقيقة أن الكرانيش لم تسقط من الواجهة الرئيسية الشمالية عندما رسمها علماء الحملة وهو الأمر الذى يمكن استنتاجه من مقال مكس هرتس([٦٨]) الذى حدد الأجزاء التى سقط منها الكرنيش بانها موجودة فى الواجهة الجنوبية الغربية فحسب ،وقد حوت (اللوحة ٢٠) من الكتاب اخطاء أخرى عديدة، تظهر بوضوح فى رسم الدخلة التى تلى قاعدة المئذنة الجنوبية الشرقيةمباشرة، وتوجد فى بداية الضلع الجنوبى

الشرقي فقد رسمت هذه الدخله منتهية من اعلى بثلاث طواقي (أشبه بعقد ثلاثي الفصوص) ولكن الأصل الصحيح لها أنها دخلة تنتهي من اعلى بطاقية واحدة مرسوم أسفلها ناقذة مستديرة تتبعها أخرى مستطيلة الشكل، - وكلاهما صحيح في الواقع - ولكن الكتاب أغفل رسم صفوف المقرنصات التي توجد أسفل النافذة المستطيلة ، كما أغفل رسم النافذة المستطيلة التي تقع على يمين اخرى معقودة. كما أخطاء الكتاب في رسم تفاصيل الدخلات الموجودة في الضلع الجنوبي الشرقي وهي الواجهة الخارجية للضريح المطلة على الشارع (لوحتي ٢٠،٢١) هذه الدخلات لم يتغير نظامها الانشائي والزخرفي منذ تأسيس الجامع حتى الأن، فهي تنتهي من أعلى بطاقية واحدة تتدرج أسفلها المقرنصات. وقد وردت في - كتاب وصف مصر - على أنها دخلة تنتهي من أعلى بشكل مثلث بزخرف باطنه خطوط مستقيمه تخرج من خط الوسط يليها رسم النافذة القنديلية المكونة - أصلا - من نافذة مستديرة ثم يليها ناقذتان معقودتان بعقدين من نوع حدوه الفرس، رسمت بعقود مدببة. أما الدخلة المعقودة التي تلي النوافذ القنديلية - المشار اليها - والمفروض أن يوجد في باطن هذه الدخلة عقد اخر مفصص - فقد جانب واضعو الكتاب الصواب فرسموا هذه الدخلة بعقد واحد متعدد الفصوص، أي ادمجوا الدخلة المعقودة مع العقد المفصص في عقد واحد مدبب متعدد الفصوص ولكنه في الأصل عقد منفرج.

لم يكن الخطأ في رسم تفاصيل الدخلات التي تزين الواجهات الخارجية لمجموعة السلطان حسن المعمارية قاصرا على اللوحتين المشار

اليهما فحسب، فقد ورد ايضا فى (لوحتين آخرتين)([١٦٩]) عن وصف مصر وهما اللوحتان اللتان وردتا فى الكتاب للواجهة الخارجية للضلع الجنوبى الشرقى للضريح المطل فى على ميدان الرميلة، تلاحظ لنا فى رسم تفاصيلهما العديد من الاخطاء وخاصة فى رسم تفاصيل الدخلات، وهى أخطاء سبق ووضحنا نموذجا لها فى الحديث عن اللوحتين السابقتين، يضاف اليها الخطأ المتمثل فى رسم النافذة القنديلية، فقد رسمت فى احدى هاتين اللوحتين([١٧٠]) من ثلاث نوافذ مستديرة واحدة فى الصف العلوى واثنتان فى الصف الثانى ثم نافذتان مستطيلتان يحف بهما أعمدة، فى حين ان الأصل مكون من نافذة واحدة فى الصف الأول مستديرة يليها نافذتان معقودتان بعقد حدوه الفرس وليس بعقود مدببه كما اغفل رسم فتحات النوافذ التى توجد فى نهاية الدخلتين اللتين تزخرفا الواجهة الجنوبية الشرقية للضريح من الخارج، ولم يكن ارتفاع المنازل التى شيدت ملاصقة لهذه الواجهة يمنع ظهور اجزاء من هذه النوافذ.

ومن الأخطاء الملحوظة ايضا فى هذه اللوحة ان الضلع الجنوبى الشرقى للضريح بعد ان يرتد للداخل يظهر الجزء الممتد من الضلع الجنوبى الشرقى للجامع، ويبدأ هذا الجزء برسم نوافذ المدرسة الحنفية وعددها ست نوافذ موضوعة فى صف رأسي على أبعاد متساوية كما تساوت كل النوافذ فى العرض والارتفاع . ولكن الأصل الصحيح ليست متساوية فى الارتفاع والعرض، فالنافذة الأولى من أعلى اقل عرضا وارتفاعا من التى تليها، وهكذا باقى النوافذ بالتبادل. ويجاور هذا الصف من النوافذ دخله تنتهى من أعلى بطاقية يليها عدد من صفوف المقرنصات

ثم نافذة مستديرة ثم أخرى مستطيلة ثم دخله تبدأ بمقرنصـــات ثـــم نـــافذة معقودة ثم أخيرا نافذة مستطيلة . وقد رسمت بداية هذه الدخلة خطأ بثـلاث طواقى بداخلها مقرنصات ثم النافذة المستديرة ثم النـــافذة المســـتطيلة ثـــم رسمت الدخلة التالية بثلاث طواقى بداخلها مقرنصـــات اســـفلها نافذتـــان وليس النافذة المعقودة التى اشرنا إليها، وفى لوحة أخرى([١٧١]) لنفس هـــذا الجزء من الواجهة الخارجية رسمت الدخلة المشار اليها وهى تبدأ بـــدون طواقى يليها زهرة من ثلاث ورقات ثم النافذة المستطيلة ثم ثلاث طواقـــي مقرنصات ثم نافذة معقودة وأغفل الرسم توضيح النافذة الاخيرة رغـــم أن زحف مبانى الاهالى على هذا الجزء من البناء لم يكن يخفى رسم جـــزء من هذه النافذة.

وقد ظهرت أيضا أخطاء فى رسم المئذنة الشرقية([١٧٢]) ومنها علـــى سبيل المثال أن الطابق الأول المثمن الأضلاع، قد زخرف بالتبـــادل فـــى أربعة من هذه الأضلاع بفتحة باب معقودة يتقدمها شـــرفة صغـــيرة لـــها داربزين محمول على مقرنصات، ويوجد فى الأضلاع الاربعة الاخـــرى مضاهية بدون اى فتحات او شرفة يتقدمها. أخطأوا – أى علماء الحملـــة الفرنسية – فرسموا الأضلاع الثمانية متشابهة تماما وتحتوى على فتحـــة طويلة معقودة تتقدمها شرفة صغيرة بدون ترابزين أو مقرنصات اسفلها.

ومن الأخطاء الواردة فى رسم قبة الضريح من الخارج انها رسمت فى إحدى لوحاتهم وقطاعها الخارجى اقل انفراجا من الأصل. وفى لوحـــة أخرى عن وصف مصر (لوحة ٢١) رسمت القبة من الخارج وقطاعـــها صحـــيح نصف بيضى، ولكن ظهر خطأ أخر فى رسم الأكتاف الســـاندة

للقبة من الخارج، وكـان كـل زوج مـن هـذه الأكتـاف متلاصقيـن (متجاورين)، ورسمت عقود نوافذ رقبة القبة غير صحيحة([١٧٣]). وكـانت رسوم ديفيد روبرت للقبة وإكتافها ونوافدها اكثر دقة من رسومات الحملـة الفرنسية (لوحة ٢٢) ([١٧٤]) واكثر مطابقة للواقع (لوحة ٢٣). وقد لاحظـت أن كل رسوم كتاب وصف مصر عن مجموعة السلطان حسن المعماريـة اهتمت برسم الشرافات التي تتوج الجدران الداخلية للصحن (لوحـة ١٢) المكونة من ورقة ساتية ثلاثية، في حين خلت تماما جميع الرسـوم التـي اخذت للواجهات الخارجية مـن رسـم هـذه الشـرافات والراجـح أن الفرنسيين عندما رسموا الواجهات الخارجية كانت هـذه الشـرافات قـد سقطت تماما، ومما يؤيد صحة هذا الرأي ان الرحالة الأوربييـن الذيـن جاءوا بعد الحملة الفرنسية مثل ديفيد روبرت وبسـكال كوسـت رسـموا الواجهات الخارجية ايضا بدون هذه الشرافات (لوحة ٢٢)، ويدعم الـرأى السابق ما ذكره مكس هرتس([١٧٥]) انه تم تجديد هذه الشرافات فى مطلـع هذا القرن على نمط شرافات الصحن، لأنـها سـقطت مـن الواجـهات الخارجية كلها

وقد اخطأ علماء الحملة أيضا في بعض الصـور برسـم صفـوف المقرنصات التي تتوج اعلى الجدران الخارجية مـرة مـن أربعـة([١٧٦]) صفوف ومرة اخرى من خمسة صفوف([١٧٧])، وهى فى الأصل مكونة من ست صفوف.

ومن الاخطاء التى وردت فى الرسم الوحيد لجـامع سـنان باشـا ببولاق كما جاء فى كتاب وصف مصر([١٧٨]) (لوحة ٢٤) أن الفرنسـيين

اغفلوا رسم الإطار القالبي البارز التى تستند عليه الدعامات السائدة لقطاع القبة من الخارج. ورسموا النوافذ التى تفتح فى رقبة القبة كما لو كانت مكونة من ثلاث فتحات مستديرة كل منهم منفصلة عن الأخرى، ولكنها فى الأصل نافذة واحدة معقودة بعقد ثلاثي. وجاءت عقود النوافذ التى تفتح فى منطقة الانتقال مدببة، ولكنها فى الأصل عقود نصف دائرية (لوحة ٢٥) (١٧٩)، ورسموا عقود الايوانات التى تفتح على الخارج فارسية مدببة، وهى في الأصل عقود نصف دائرية. وجعلوا الجفوت اللاعبة التى تتعقد فى ميمة فوق قمة العقد، تنعقد فى شكل صرة كبيرة، وقد جاء الخطأ فى رسم الأجزاء العليا من الجدران التى تعلو قمم العقود، فهى لا تسير فى خط مستقيم، إنما يحدث لها انكسار لتكون أكثر ارتفاعا فى بعض الأجزاء فى أشكال مستطيلة تنتهى بشرافات لا تسير هى ايضا فى خطوط مستقيمة، فلم يهتموا بهذه الانكسارات، إذ رسموا الشرافات تسير فى خط مستقيم تتخلله مربعات صغيرة، كما أغلفوا رسم الزخارف القالبية التى تدور حول فتحات العقود وتنعقد فى ميمه ثم تسير مستقيمة فوق قمم العقود. وبدلا من أن يضعوا الصرر ذات الزخارف المفرغة فيما بين كوشات العقود، رسموها بدون تفاصيل زخرفية وفوق قمم العقود.

ورغم استعرا ضنا لنماذج واضحة وكثيرة لسلبيات بعض صور كتاب وصف مصر، فهل يمكن اعتبار ايجابيات هذا الكتاب متمثلة فى أنه أول مؤلف اعتمد لتسجيل الآثار الإسلامية بالرسم!

إن الإجابة عن هذا السؤال ما تزال بالنفى فلم يكن علماء الحملة الفرنسية على مصر روادا فى تسجيل الأثار الإسلامية بالرسم إذ سبقهم

فى ذلـــك الفـــار المصـــور الايطـــالى جنتيللـــى بللينـــى(١٨٠) [٨٣٣-٩١٣هـــــ/١٤٢٩-١٥٠٧م]، والفنـــان فيتـــورى كارباتشـــــيو [٨٥٤-٩٣٩هــ/١٤٥٠-١٥٣٢م] فقد رسم الأخير فى البندقية لوحـــه محفوظـــة حاليا فى المتحف الحكومي ببرلين يدور موضوعها حول انتصار القديـــس جاور جيوس، وقد رسم فيها صورة واضحـــة جـــدا للمســـجد الاقصـــى والمنازل والبيوت، كما تظهر فيها رســـوم مســـاجد بمآذنـــها وطرازهـــا المملوكى.

كما تناولت مدرسة جنتيللي بيللينى(١٨١) [٩٣٣هــ/١٥٢٦م] رســـوم العمائر الاسلامية كمنظر واقعى مثل الخلفية التى يدور من خلالها "حفـــل استقبال سفير البندقية فى القاهرة" وهى اللوحة المحفوظـــة فـــى متحـــف اللوفر بباريس. وان تغلب الطابع الفنى لهذه الاعمال الفنية علـــى الطـــابع التسجيلى.

وبعد هذه المحاولات الفنية المشار إليها، ما يكـــثر فـــافى عصـــر النهضة الأوربيه من تناول رسوم العمائر الإســـــلامية الشـــرقية كخلفيـــة لموضوعاتهم الأوربية أو كتسجيل لهذه الآثار فى حد ذاتها كما فعل كثـــير من الرحالة الأوربيين مثل الفنان كارستن نيبور الذى رسم فـــــى هولنـــدا ١١٨٨هــ/١٧٧٤م(١٨٢) مسجد المدينة المنورة كأثر اسلامى معماري.

ونشر ريتشـــــارد دالتـــون الإنجلـــيزى مجموعـــة مـــن الرســـوم والتخطيطات المعمارية التى استنسخها فى الشرق فيمـــا بيـــن (١١٦٥-١١٦٦هـــ ، ١٧٥١-١٧٥٢م) وكذلك ستيوارت وريفيت الإنجليزيين فقـــد زارا الشـــرق فيما بين (١١٦٧-١١٦٨هــ / ١٧٥٣-١٧٥٤م) ونشـــرا

اليوما حول اثار منطقة اسيا الصغرى، إضافة الى أعمال بوكوك ونوردن وبنارى ورسلى وغيرهم([١٨٣]).

فما الذى دفع فناني عصر النهضة الاوربية التى كانت قد بدأت اتجاهها الفنى باحياء تراث الفن اليونانى الرومانى مع دراسة علم المنظور على أساس هندسى رياضى تحول([١٨٤]) اتجاهها الى الشرق الإسلامى تستوحى منه موضوعاتها الفنية!!

ان هذا التحول الفنى لفنانى عصر النهضة الاوربية بدا فى الظهور عقب افتتاح اقسام للدراسات الشرقية فى العديد من الجامعات الاوربية [هولندا وايطاليا وانجلترا وفرنسا] حيث بدأت عملية رصد ودراسة الحضارة الشرقية القديمة والمعاصرة تأخذ الطابع العلمى الاستقصائى من اجل النجاح فى الوصول الى تركيب وتكوين المجتمع الشرقى من اجل السيطرة عليه، ومن الأسباب التى ساعدتهم ومهدت لهم السبل فى هذا المنعطف، ما ادت اليه الاكتشافات والرحلات التنقيبية التى قام بها العلماء والفنانون وما جمعوه من اثار ملئت متاحف ايطاليا وانجلترا وفرنسا خاصة فى الفترة ما بين (١١٦٤-١٢٠٥هـ/١٧٥٠-١٧٩٠م) وذلك فى أعقاب اكتشاف العديد من الآثار المعمارية فى الشرق الاوسط كتركيا ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين. فقد كان يرافق البعثات الكشفية فنانون مهمتهم التصوير والتسجيل لهذه الآثار مثل ستيورات ودالتون وكاسا ومايير ورسيه وبريدل وبوكوك ونوردن وغيرهم.

كل هذه العوامل تضافرت فى نشأة علم الآثار وتطوره، ومن ثم انعكست اصداؤه على اتجاه الحركة الفنية الفرنسية والاوربية بشكل عام

ظهر في رسم موضوعات فنية مستوحاه من الشرق، وقد استفاد نـــابليون بونابرت قبل مجيئه الى مصر بكل ما كتب ورسم عن مصر

نتائج الدراسة :

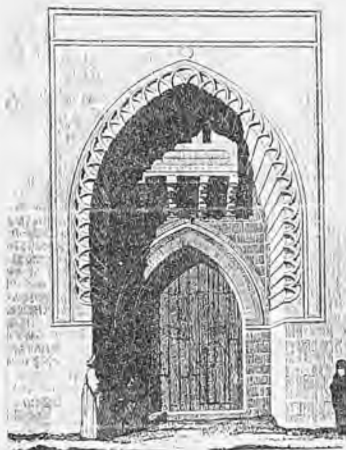
لقد اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن الغزو الاستعمارى لا يمكـن أن يكون وسيلة من وسائل انتقال التاثيرات الحضارية بين ارجـاء العـالم المعمور، فكم السلبيات التى نالتها آثار القاهرة الإسلامية من جـراء هـذا الغزو، لا يمكن أن تكون هى الوسيلة والزريعـة مقـابل وجـود بعـض الإيجابيات التى ترتبت على الغزو الفرنسي لمصر فمنذ أقـــدم العصـور والتاثيرات الحضارية الايجابية والسلبية كانت تنتقل بين بلاد العـالم عـن طريق الرحلات والتجارة وانتقال العلماء وتبادل الهدايا والحجاج وانتقـال الصناع والفنانين والعلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية وعلاقـات النسب والمصاهرة

ومن ثم لم تكن الاغراض القومية المصرية مـن ضمـن أهـداف نابليون بونابرت عندما طلب تأليف كتاب "وصف مصر"، كما لــم يكـن يرمى من وراء رسم الاثار الإسلامية أن تكون مصـــدرا لدراسـة هـذه الاثار، فقد تبين لنا ان هذه اللوحات ينقصها الدقة وبها العديد من الاخطـاء التىاشرنا إلى أمثلتها، بالإضافة إلى قلتها الغالبة بالنسبة لمجموع الآثـــار الإسلامية الموجودة بالقاهرة زمن الحملة الفرنسية .

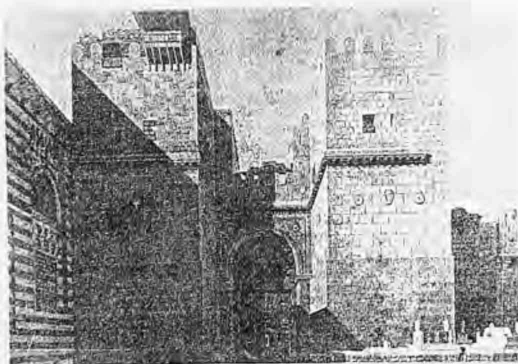
لقد كان الغرض منها إظهار مهارة فنانى فرنسا، ومـــهارة نـابليون فى نقل وثائق مرئية لمعالم الحضارة المصرية كـــي تشـد غـيره مـن المغامرين أن يقتفوا أثره ويستكملوا مسيرته في السيطرة علـــى الشـرق

وبذلك يبعد عن نفسه تشبيه أن يكون مغامرا مندفعا، بل أراد أن يثبت أنـــه كان مدفوعا إلى كشف أسرار حضارة الشرق الأوسط.

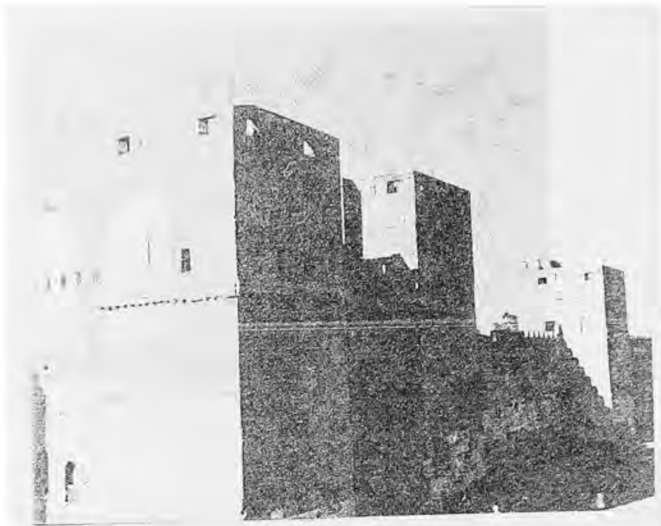
أن الانعكاسات الإيجابية للحملة الفرنسية من خلال كتـــاب وصـــف مصر كانت لصالح فرنسا فى المقام الاول وليست لصالح مصر. ولصـــالح نابليون، فعن طريق اللوحات التاريخية لهذا الكتاب حول نـــابليون هزائـــم عصره إلى انتصارات، عندما ربط صورته بالشرق كـــأسطورة جديـــرة بالتمجيد يجب أن تخلدها ذاكرة الشعب الفرنسى



(لوحة رقم ١)
واجهة قصر السلطان بيبرس
(عن وصف مصر)



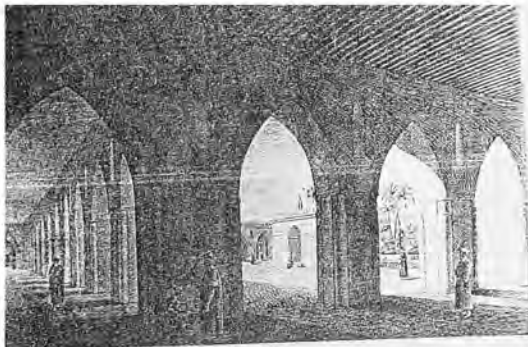
(لوحة رقم ٢)
باب النصر من أبواب القاهرة الفاطمية
(عن وصف مصر)



(لوحة رقم ٣)
باب النصر من أبواب القاهرة الفاطمية
(عن أحمد فكرى)



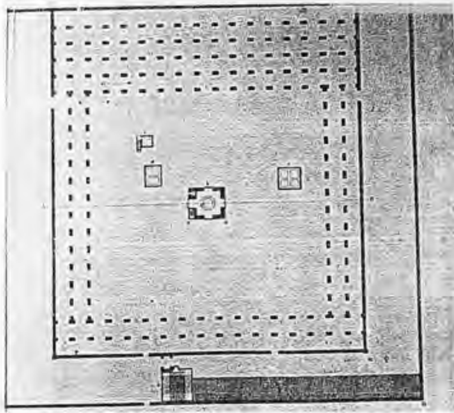
(لوحة رقم ٤)
كتلة المدخل الرئيسى والواجهة الرئيسية
لجامع الظاهر بيبرس بحى الظاهر
(عن وصف مصر)



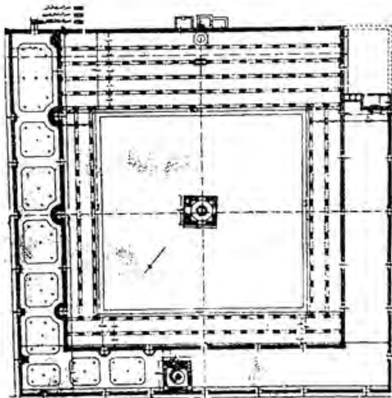
(لوحة رقم ٥)
جامع أحمد بن طولون
(عن وصف مصر)



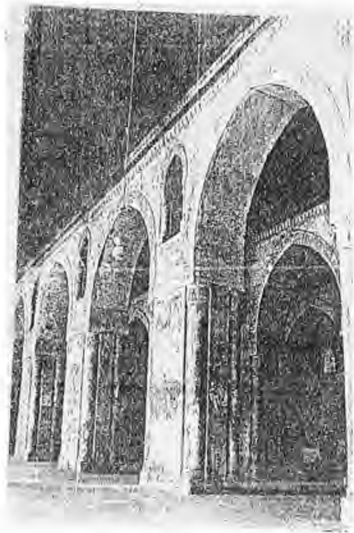
(لوحة رقم ٦)
جامع أحمد بن طولون " حاليا "
(من تصوير الباحثة)



(لوحة رقم ٧)
تخطيط أفقى لجامع أحمد بن طولون
(عن وصف مصر)



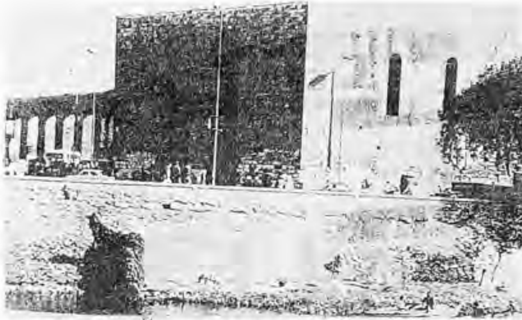
(لوحة رقم ٨)
التخطيط الأفقى الصحيح لجامع أحمد بن طولون
(عن ثروت عكاشة)



(لوحة رقم ٩)
البائكات الداخلية بجامع أحمد بن طولون حاليا
(عن نيللى حنا)



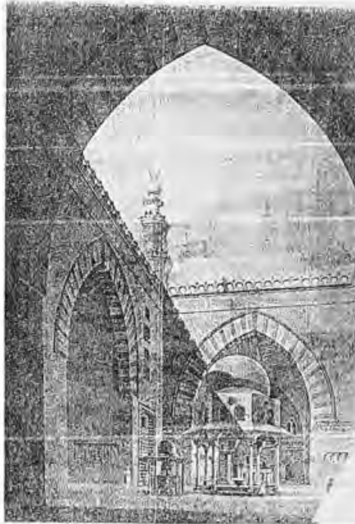
(لوحة رقم ١٠)
برج مأخذ الياه بقناطر المياه بفم الخليج
(عن وصف مصر)



(لوحة رقم ١١)

برج مأخذ الياه بقناطر المياه بفم الخليج حالياً

(عن نيللى حنا)



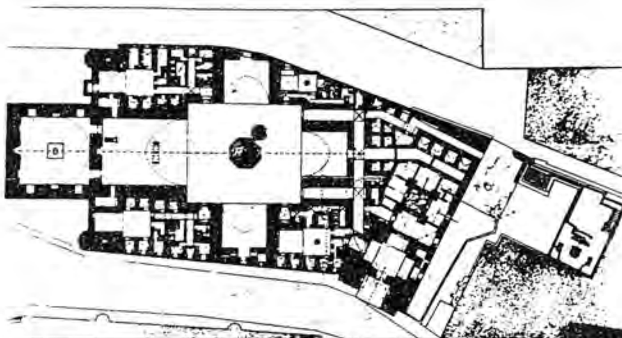
(لوحة رقم ١٢)

صحن وعقود ايوانات الجامع (بمجموعة السلطان حسن المعمارية بالقاهرة)

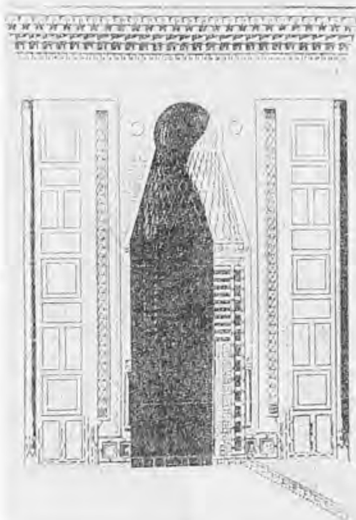
(عن وصف مصر)



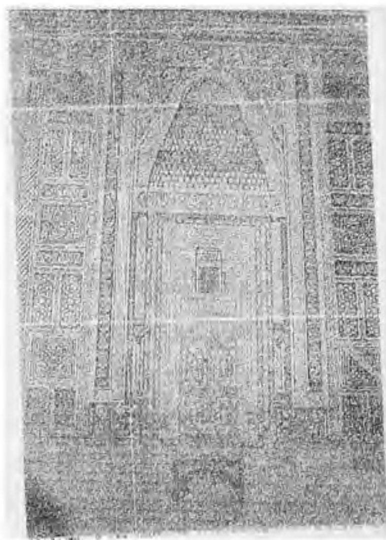
(لوحة رقم ١٣)
تخطيط افقى لمجموعة السلطان حسن
المعمارية بالقاهرة
(عن وصف مصر)



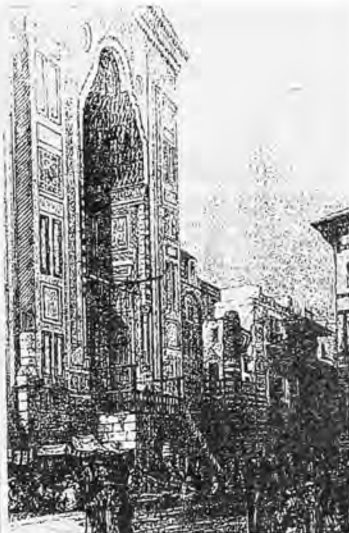
(لوحة رقم ١٤)
التخطيط الأفقى الصحيح لمجموعة السلطان حسن
المعمارية بالقاهرة
(عن سعاد ماهر : مساجد مصر ح٣)



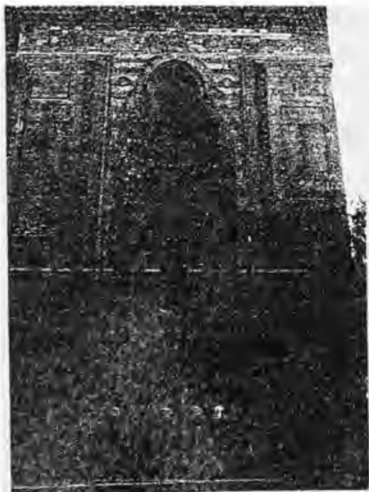
(لوحة رقم ١٥)
كتلة المدخل الرئيسى بمجموعة السلطان حسن المعمارية
(عن وصف مصر)



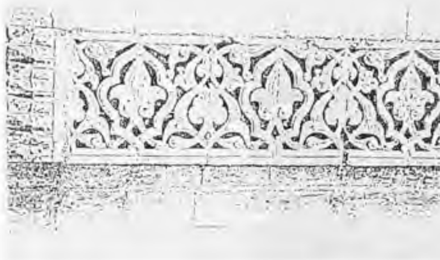
(لوحة رقم ١٦)
تفريغ لزخارف كتلة المدخل الرئيسى بمجموعة السلطان حسن
(عن باسكال كوست)
(عن : Cost (P))



(لوحة رقم ١٧)
كتلة المدخل الرئيسى
(عن : David (R))



(لوحة رقم ١٨)
كتلة المدخل الرئيسى بمجموعة السلطان
حسن المعمارية حاليا
(من تصوير الباحثة)



(لوحة رقم ١٩)
جزء توضيحى من الزخارف الرخامية المنحوتة
على جانبى عقد المدخل الرئيسى لمجموعة
السلطان حسن المعمارية
(من تصوير الباحثة)



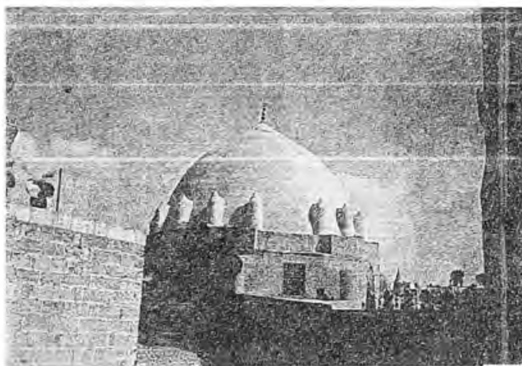
(لوحة رقم ٢٠)
كتلة المدخل الرئيسى والواجهة الرئيسية لمجموعة
السلطان حسن المعمارية
(عن وصف مصر)



(لوحة رقم ٢١)
لة المدخل الرئيسى والواجهة الرئيسية للجامع
الضريح والقبة المئذنة فى مجموعة السلطان
حسن المعمارية
(عن وصف مصر)



(لوحة رقم ٢٢)
الواجهة الجنوبية الشرقية والقبة والمئذنتان
بمجموعة السلطان حسن المعمارية
(عن (David (R



(لوحة رقم ٢٣)
قبة ضريح مجموعة السلطان
حسن المعمارية حاليا
(من تصوير الباحثة)



(لوحة رقم ٢٤)
جامع سنان باشا ببولاق
(عن وصف مصر)



(لوحة رقم ٢٥)
جامع سنان باشا ببولاق (حاليا)
(عن ثروت عكاشة)

الهوامش

(١) من أهم أسباب الحملة الفرنسية على مصر هى منع مرور تجارة الانجليز من مصر الى الهند وبالعكس راجع :نقولا الترك :حملة بونابرت الى الشرق، دراسة وتحقيق : امل بشور لبنان سنة ١٩٩٣ ص ٧٨:٨٠

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية - مكتبة الاداب - الطبعة الثانية ١٨٩٦م ص ١٨٠: ١٨٦

كلوت بك) أ.ب :(لمحة عامة الى مصر - تعريب محمد مسعود :الجزء الأول مكتبة أبى الهول؛بدون تاريخ(ص٨٠-٨١)

عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم في مصر مكتبة النهضة المصرية (جزءان) الجزء الأول الطبعة الرابعة ١٩٥٥، الجزء الثاني .الطبعة الثانية سنة١٩٥٨، ج١ ص٦٥ :٦٨

كرستوفر هيرولد (ج) بونابرت في مصر .ترجمة : فؤاد اندراوس .دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٦٢، ص٨:١٤

هنرى لورانس واخرين الحملة الفرنسية على مصر .ترجمة/ بشير السباعي .سينا للنشر ١٩٩٥،ص٥٢٢:٥٢٣

نبيل السيد الطوخى :صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ .الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧؛ ص ١٠٩:١١١

(٢) كلوت بك :لمحة عامة ، ص٨٩: ٩١، هنرى لورانس:الحملة الفرنسية، ص٨٠-٨١ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص١٩٢،٩٤، ١١٨، ١٩٩، ٢٥٤ فاطمة الحمراوى : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر في عهد الحملة الفرنسية : رسالة ماجستير غير منشورة :قسم التاريخ .كلية الاداب .جامعة القاهرة ١٩٨٨م

رمضان السيد :تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م .مكتبة نهضة الشرق، سنة ٩٦م، ص ٣٢-٣٦.

(٣) راجع ص٣ من البحث.

(٤) ثروت عكاشة : مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والادباء (جزءان) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ .ج١.

اندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة . ترجمة لطيف فرج دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة ١٩٩٣، ص١٣٩، ٢٥١:٢٥٩

(٥) راجع عبد الرحمن زكى :القاهرة تاريخها اثارها .الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م، ص٢٤٩:٢٧٣

جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل .نقله إلى الفرنسية وعلق عليه : أيمن فؤاد سيد مكتبة الخانجى .الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٣٧٣-٣٨٣.

(٦) تاريخ الحركة القومية، ج٢، ص١١٢-١١٣.

(٧) كانت اللجنة الأولى برياسة المسيو فرو بيه سكرتير المجمع العلمي الدائم، والثانية برياسة المسو كوستازا أحد مهندسى الحملة.

الرافعى: تاريخ الحركة القومية ، ج٢ ص ٦٧-٦٨

(٨) الرافعى :المرجع نفسه ، ج٢، ص١٢٢

(٩) الرافعى : المرجع نفسه، ج٢ ص٩٢ /هنرى لورانس : الحملة الفرنسية، ص٢٩٦

(١٠) مثل الرحالة بلزونى الذي عثر على مقبرة سيتى الأول.

رمضان السيد :تاريخ مصر القديمة ، ص٤٠.

(١١) Yivant Denon: Voyage dans la Basse et la Haute Egypte pendant les campagnesdn general Bonaparte. Paris 1802.

راجع : بعض المحاولات السابقة لتسجيل الاثار المصرية بالرسم قبل الحملة الفرنسية. هنرى لورانس : الحملة الفرنسية ص ٦٣٨،٦٣٢، ص٦٥٤ . رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ص٣٤.

الهام محمد ذهنى :مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر .الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢، ص٧٥،٧٦

(١٢)

Description de l'Egypte ou Recueill des observations et des recherches qui ont ete faites en Egypte pedant l'expedition de l'Armee Franciase- publie par les ordres de sa majeste l'Empreur Napoleon le grand a paris de l'Imprim Imperiale, 1809-1826.

وأعيد طبعه من عام ١٨٢٩:١٨٢١ وهى الطبعة الثانية.

وقام المرحوم زهير الشايب بترجمة أغلب أجزاء الكتاب فظهرت الطبعة العربية فى أحدى عشر جزءا منذ عام ١٩٧٦، كما قام د .ايمن فؤاد سيد بترجمة الجزء الخاص بالإثار الاسلامية عن جومار .ونشرته الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٩٨٦م.

وتم طبع اغلب لوحات كتاب وصف مصر فى جزئين ، الجزء الأول يتضمن اللوحات الخاصة بالاثار المصرية القديمة، والجزء الثانى معنون باسم" اللوحات الدولة الحديثة "ويحتوى على لوحات للحضارة والاثار الاسلامية فى كافة اقاليم القطر المصرى نشره مدبولى ١٩٨٦م كما ظهر جزء ثانى للوحات الدولة القديمة نشرته منى زهير الشايب ١٩٩٨م.

(١٣) من الاثار المصرية التى اندرست الآن وحفظتها لنا رسوم كتاب وصف مصر -:

-معبد الالهة خنوم فى جزيرة الفانتين فى اسوان.

-ميدان الاسكندرية القديم.

راجع : فايزة صقر :الاثار المصرية فى كتاب وصف مصر بحث ألقى فى ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بعنوان" : الحملة الفرنسية على مصر دراسة تقويمية" فى موسم ١٩٩٨م

(١٤) حجر رشيد قطعة من البازلت الاسود محفوظة حاليا فى المتحف البريطانى بلندن عثر عليها فى قلعة جوليان بالقرب من مصب فرع رشيد ابعادها ١١٣سم طولا .فى٧٥,٥سم عرضا وسمك٢٧,٥سم تزن حوالي نصف طن وبعض جوانبها مهشم والجزء العلوى مفقود .والحجر منقوش عليه كتابات باللغتين المصرية القديمة واليونانية ، بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى.

محمد جمال مختار :شمبليون والكتابة المصرية القديمة المجلة المصرية للدراسات التاريخية الموسم الثقافى لسنة ١٩٧٣ ص٣١:٣٢

(١٥) راجع عن شامبليون : جمال مختار شمبليون والكتابة المصرية، ص٣٩:٣٥

(١٦) رمضان السيد تاريخ مصر القديمة، ص٣٦.

(١٧) من امثلة البعثات الإوربية المنظمة التى وفدت إلى مصر للكشف عن الاثار المصرية بعثة روزلينى Roselini الايطالية وبعثة ليبسيوس Lepsui's البروسية.

جمال مختار التسجيل الحديث للاثار المصرية القديمة بحث مستخرج من المجلد السادس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سنة ١٩٥٧

(١٨) امثلة البعثات الاوربية غير المنظمة بعثة انستاس واتاناس وسولت والرحالة بلزوني الذى ارسل تابوت الملك الذى عثر عليه فى مقبرة سيتى الاول الى لندن حيث يعرض حاليا فى متحف سوان.

رمضان السيد :تاريخ مصر القديمة، ص ٤٠

(١٩) رمضان السيد :المرجع نفسه، ص٤٠

(٢٠) جمال مختار : شامبليون والكتابة المصرية، ص٣٩

(٢١) راجع وثيقة رقم "٧" ["معاهدة الجلاء عن مصر] ٢٧ يونيو سنة ١٨٠١م [الملحق الاضافى -الشرط رقم "٦"."

الرافعى :تاريخ الحركة القومية ، ج٢ ص ٣٧٨

(٢٢) رمضان السيد :تاريخ مصر القديمة، ص ٣٩

(٢٣) الجبرتى" : عبد الرحمن بن حسن "عجائب الاثار فى التراجم والأخبار ٣ أجزاء ، بيروت د.ت ، ج٢ ص ٢١١

(٢٤) الجبرتى :عجائب الاثار ج٢ ص ٢٣١ /عبد الرحمن زكى :القاهرة، ٢٥٧

(٢٥) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس .تحقيق احمد زكى عطية واخرين المطابع الاميرية -القاهرة ١٩٦١ جزءان، ج٢ ص ١١٩

- ويوجد من هذا الكتاب طبعة ثانية تحقيق : حسن محمد وعمر الدسوقى القاهرة ١٩٦٩م.

- وطبعة ثالثة حققها احمد عبده على عن مكتبة الاداب بالقاهرة ١٩٩٨م

(٢٦) نقولا الترك :حملة بونابرت، ص ١٠٠

(٢٧) الجبرتى :عجائب الاثار ، ج٢، ص٢٣١

(٢٨) الجبرتى :عجائب الآثار ، ج٢، ص٤٣٤

(٢٩) عبد الرحمن زكى :القاهرة، ص٢٥٧

(٣٠) الجبرتى :عجائب الاثار ، ج٢، ص٢٣١

(٣١) بلغ عدد القلاع التى أنشاها الفرنسيون خلال احتلالهم لمصر ما يقرب من تسعة عشر قلعة عبد الرحمن زكى :القاهرة، ص٢٥٧

راجع : سامي محمد نوار : الأعمال المعمارية للحملة الفرنسية باسوار القاهرة بالجزء الممتد من باب النصر الى باب البرقية
مجلة كلية الآداب سوهاج - جامعة اسيوط (حاليا جامعة جنوب الوادى) يونيو سنة ١٩٩٤، ص ٦٢٩، ٦٥٤

(٣٢) الجبرتى : عجائب الآثار، ج٣، ص ٤٣٢

(٣٣) جومار : وصف مدينة القاهرة ، ص ٣٣٧-٣٣٨
راجع "السيوطى" : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن "ت ٩١١هـ/١٥٠٥م"
حسن المحاضرة، تحقيق نبيل عبد العزيز احمد، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨١

(٣٤) عبد الرحمن زكى : القاهرة ، ص ٢٥٨

(٣٥) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢، ص ٤٣٥، عبد الرحمن زكى : القاهرة، ص ٢٥٨

(٣٦) عبد الرحمن زكى : القاهرة، ص ٢٥١

(٣٧) عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٢٥١

(٣٨) الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١، ص ١٠٢

(٣٩) الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة (١٦-١٧م) ص ١٠٤-١٠٥
الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة فى القرن الثامن عشر ، ص ٢٠٨

(٤٠) الجبرتى عجائب الآثار ، ج٢، ص ٣٤٢، مظهر التقديس، ج٢ ص ٤٢

(٤١) الجبرتى : عجائب الآثار، ج٢ ص ٤٣٢، مظهر التقديس، ج٢ ص ١١٩

(٤٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢ ص ٣٤٢، مظهر التقديس، ج٢ ص ٣٢
على مبارك (باشا) الخطط التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، صدر حاليا (١٣جزء) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠ ج١ ص ١٦١

(٤٣) نقولا الترك : حملة بونابرت ص ١٣١

(٤٤) على مبارك : الخطط التوفيقية، ج١، ص ١٦١

(٤٥) جومار : وصف مدينة القاهرة، ص ٣٤١-٣٤٢

(٤٦) الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة (١٦-١٧م)، ص ١٠٢

(٤٧) راجع زهير الشايب وصف مصر اللوحات" الدولة الحديثة(لوحة ٢٥) منظر لميناء بولاق الكبير والراجح أنها رسمت قبل تدمير هذا الميناء الجميل

(٤٨) الجبرتى مظهر التقديس ، ج٢ ص٣٢ /

(٤٩) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية، ج٢ ص١٦٤-١٦٥

(٥٠) الجبرتى عجائب الاثار ج٢ ص٢٤٢

(٥١) بركة الرطلى :سميت كذلك نسبة لاحد الاشخاص الذين عاشوا فيها وكان يصنع الارطال الحديد التى تزن به الباعة، يقال له الشيخ الرطلى فنسبت إليه الجبرتى مظهر التقديس ، ج٢، ص٥٢

(٥٢) الجبرتى مصطهر التقديس ، ج٢ ص٥٢

(٥٣) الجبرتى عجائب الاثار ، ج٢ ص١٩٧-١٩٨-٢٠٦ /نقولا الترك حملة بونابرت، ص١٣١-١٣٢

(٥٤) بول كازانوفا تاريخ ووصف قلعة الجبل ترجمة احمد دراج الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ص١٩٧

(٥٥) عبد الرحمن زكى القاهرة ص٢٥٧

(٥٦) عبد الرحمن زكى قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة الالف كتاب مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠، ص ٦٩ / كازانوفا قلعة الجبل، ص ١٩٧

(٥٧) المشاقه :نوع من المنجنيق نقولا الترك : حملة بونابرت، هامش ٧ ص ١٣٧

(٥٨) نقولا الترك :حملة بونابرت ، ص١٣٧

(٥٩) نقولا الترك حملة بونابرت ، ص١٣٧

(٦٠) الجبرتى في عجائب الاثار ، ج٢، ص٢١١ / عبد الرحمن زكى القاهرة، ص٢٥٤

(٦١) المشايخ الذين تم تحديد اقامتهم بجامع سارية الجبل هم الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى وحسن اغا المحتسب الجبرتى مظهر التقديس، ج٢، ص١٠٦-١٠٧

(٦٢) الجبرتى فى مظهر التقديس، ج٢ ص١٠٧ بول كازانوفا تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٩٨

(٦٣) الجبرتى عجائب الاثار ، ج٢ ص٢١١

(٦٤) باب البرقية : يقع فى نهاية شارع الدراسة حاليا، وهو غير باب الغريب الواقع فى نفس المنطقة

الجبرتى مظهر التقديس ج٢ هامش٣ ص ١٠٩ (تحقيق حسن عبد الوهاب)

(٦٥) الخنازات التى تخرج من القاهرة إلى مدافن بستان المجاورين عليها ان تمر من باب النصر وخلف السور حتى يصلوا الى مدافنهم فحصل للناس مشقة شديدة خصوصا مع كثرة الاموات.

الجبرتى مظهر التقديس، ج٢ ٩ - ١

(٦٦) الجبرتى : عجائب الاثار، ج٢ ص ٤٢٣ ، مظهر التقديس ج٢ ص ١٠٩

(٦٧) الجبرتى : عجائب الاثار ، ج٢ ، ص ٢٢٤

(٦٨) الجبرتى عجائب الاثار، ج٢ ص ٣٩٤

(٦٩) الجبرتى :عجائب الاثار. ج٢ ص٤٣٢ .جامع الجنبلاطية هو جامع جنبلاط وموقعه حاليا سويقه أمير الجيوش عند باب النصر وقد ازالته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٤٦م.

الجبرتى مظهر التقديس. هامش ٦، ص١١٩ (حسن عبد الوهاب).

(٧٠) الجبرتى :عجائب الاثار، ج٢، ص٤٣٢، مظهر التقديس ج٢ ص١٢٠، هامش ٣، ٤، ٥، ٦، ص ١٢٠) حسن عبد الوهاب

(٧١) الجبرتى عجائب الاثار ، ج٢، ص٤٣٣

(٧٢) جامع الطرطوشى يعرف حاليا باسم جامع الدشطوطى راجع:

الجبرتى مظهر التقديس ج٢ ص١٢٥، ١٢٧، هامش ٤ ص ١٢٥ (حسن عبد الوهاب) عبد الرحمن زكى القاهرة ص ٢٦٤

(٧٣) الجبرتى : عجائب الاثار ، ج٢، ص٤٣٥، عبد الرحمن زكى، القاهرة، ص٢٦٤

(٧٤) عجائب الاثار، ج٢ ص ٤٠٥

(٧٥) الجبرتى فى عجائب الاثار ج٢ ص ٣٩٤، ٤٣٨، عبد الرحمن زكى، القاهرة ص ٢٦٤

(٧٦) دى شارول : وصف مصر "دراسة فى عادات وتقاليد" ترجمة زهير الشايب (١١ جزء) ، ج١ سنة ١٩٧٦، ص ١٧٣:١٧٧

(٧٧) البيوت :جمع" بيت "ويعنى المسكن وقد ورد اللفظ فى ايات القرآن الكريم وإذا قيل بيت الرجل يعنى داره أو مقره، وايضاً يعنى المنزل الذى يضم مجموعة من الاروقة والحجرات.

راجع : رفعت محمد موسى. العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة فى العصر العثمانى، رسالة دكتوراة غير منشورة - كلية الاثار جامعة القاهرة سنة ١٩٩٥، ص٤

(٧٨) القصور :جمع قصر، وهو اسم مكان ويعنى البناء المحكم والواسع والفسيح والفاخر راجع رفعت موسى :العمائر السكنية، ص١١، ١٢٥ وعادة ما يكون القصر اكبر حجماً من البيت وقد يتألف من أكثر من بناء ويكون له حديقة واسعة.

(٧٩) الخطط التوفيقية ، ج١ ، ص١٥٨

(٨٠) زهير الشايب :وصف مصر ، اللوحات ، (الدولة الحديثة)لوحة ١/٥٢

راجع : جومار : وصف مدينة القاهرة، ص ٢٠٤: ٢٧٠

(٨١) على مبارك : الخطط التوفيقية، ج١ ١٥٨

(٨٢) حسن كاشف جركس : كان من مماليك محمد بك ابو الذهب هرب الى بلاد الشام وهنا تقلد الصنجقية، وهو الذى بنى الدار العظيمة بالناصرية والتى اصبحت فيما بعد مركز مهم توفى سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م.

راجع نقولا الترك : حملة بونابرت، هامش (٥)ص ١٠٣.

زهير الشايب : وصف مصر) اللوحات الدولة الحديثة(، لوحة ٥٥، ٥٦، ١/٥٧

(٨٣) عبد الرحمن زكى :القاهرة، ص٢٥٢

(٨٤) عبد الرحمن زكى :المرجع نفسه ، ص٢٥٢

(٨٥) الجبرتى : عجائب الآثار ج٢، ص ٢٥٢ /عبد الرحمن زكى القاهرة، ص٢٦٢

(٨٦) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢، ص٣٣٩

(٨٧) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج٢، ص ٤٣٢

(٨٨) الجبرتى : المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٩٤

(٨٩) الجبرتى مظهر التقديس، ج٢ ص١٢١

(٩٠) راجع : زهير الشايب : لوحات الدولة الحديثة، اللوحات من ٥٠ : ٦٠.

رفعت موسى محمد :الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية الدار المصرية اللبنانية سنة

١٩٩٣، ص ١٧٨ : ١٨٠

(٩١) الهام محمد زكى : مصر فى كتابات الرحالة (١٦-١٧م)، ص ١٠٥-١٠٦

(٩٢) نقولا الترك :حملة بونابرت ص ١٣٣ - ١٣٤

(٩٣) نقولا الترك :حملة بونابرت ص ٩٦

(٩٤) الجبرتى :عجائب الاثار ، ج٢ ص٢١٩، ٤٣٥ / عبد الرحمن زكى :القاهرة، ص٢٦٤

(٩٥) الجامع الازهر . شيده الخليفة المعز لدين الله الفاطمى على يد قـائده جوهـر الصقلى .وهو مستطيل الشكل مساحته ٨٨م طولا ، ٧٠م عرضا .يتكون من أربعـة اروقة اكبرها رواق القبله وهو مكون من خمسة بلاطات موزاية لجدار المحـراب، ويعلو بلاطه المحراب ثلاث قباب صغيرة والروقان الشرقى والغربى كل منهما مكون من ثلاثة اروقة . ولم يكن للمسجد اول الأمر مؤخرة حتى أضاف الخليفة الحـافظ لدين الله الفاطمى رواقا يدور حوله من جهاته الاربع.

راجع : احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها (الجزء الأول) العصر الفـاطمى. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥م ص٤١: ٥٠، شكل ٤.

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية جزءان (القاهرة ١٩٤٦، ص ٤٧ : ٦٤.

حسن الباشا واخرين: القاهرة تاريخها فنونها آثارها، الاهرام ١٩٧٠، ص ٤٥٣: ٤٦١.

سعاد ماهر : مساجد مصر واولياؤها الصالحون (٥ أجزاء (المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ج١ سنة ١٩٧١، ص ١٩٤ : ٢٢٥ /جومار : وصف مدينة القاهرة ، ص ١٧٤ : ١٧٦.

Creswell (K.A.C.) . The Muslim Architecture of Egypt. Oxford, 1951, part I, pp.36-64.

(٩٦) كان الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت - على رأس المقاومة الشعبية، وهو الذى تفاوض مع بونابرت، وانشأ أول ديوان للحكم من علماء الجامع الأزهر . ورغم خضوع هذا الديوان لتوجيهات المحتلين الا أنه يؤكد أهميـة الجامع الأزهر ومكانة علمائه.

راجع : محمد عبدالله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨، مطبعـة لجنـة التأليف والترجمة والنشر، ص ١٨٦-١٨٨

(٩٧) عبد الرحمن زكى : القاهرة، ص ٢٥٢

(٩٨) عبدالله عنان تاريخ الجامع الازهر، ص ١٥٧

(٩٩) عبد الرحمن زكي القاهرة، ص ٢٥٦

(١٠٠) الجبرتي عجائب الاثار، ج٢، ص٥٢٩ /عبدالله عنان الجامع الأزهر، ص ١٥٩-١٦٤

(١٠١) الجبرتي ؛عجائب الاثار، ج٢ ص ٢٢١، عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ج٢ ص ١٩٢

عبدالله عنان الجامع الأزهر، ص١٨١-١٨٢ /عبد الرحمن زكي القاهرة، ص ٢٧٦

(١٠٢) جامع محمد بك أبو الدهب :شيدة الأمير الكبير محمد بك أبو الدهب سنة ١١٨٧-١١٨٨هـ /١٧٧٣-١٧٧٤م وقد انشئ ليكون مدرسة تعاون الأزهر في رسالته العلمية، وكان به مكتبة تضم ٦٥٠ كتاب في شتى الفنون، والحق به تكيه لمتصوفي الاتراك وسبيلاو حوضا لشرب الدواب .وهو من الجوامع المعلقة إذ يوجد اسفل وجهتيه الشرقية والبحرية حوانيت، والمسجد مربع التخطيط طول ضلعه ١٥ مترا يتالف من قبة ضخمة لها ثلاثة أبواب راجع:

حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد . ج١، ص ٣٥١:٣٥٦

(١٠٣) عبدالله عنان تاريخ الجامع الأزهر، ص١٨٣

(١٠٤) جامع الظاهر بيبرس : هو من منشات السلطان الظاهر بيبرس البندقداري شيده سنة ٦٦٥هـ، وتخطيطه مربع الشكل طول ضلعه ١٠٠م ويحيط به سور من الحجر ارتفاعه ١٠,٩٦م ويعلو السور شرافات ارتفاعها ١,٣٠ م، ودعمت الأسوار من الخارج باربعة ابراج اثنان مربعان والاخران مستطيلان .ويفتح في السور من أعلى اثنتان وسبعون نافذة معقودة بعقود مدببه كانت سلوه بالجص المعشق بالزجاج، وللجامع ثلاث مداخل تذكارية بارزة وّالجامع يضم اربعة اروقه أكبرها رواق القبله، والصحن مربع التخطيط مساحته ٦٠,٧٠م، ويتقدم المحراب مقصورة.

سعاد ماهر: مساجد مصر ج٣(١٩٧٩)ص٣٤:٣٧ .

سامح عبد الرحمن فهمي:جامع الظاهر بيبرس،مجلةدراسات اثارية اسلامية،هيئة الاثار المصرية١٩٨٨م،ص١٥٩:١٦١

راجع:

Creswell, Muslim Architecture, part II, p.105:170

- The works of sultan bibars Al Bunduqdari in Egypt, Le caire, 1922.

جومار : وصف مدينة القاهرة ، ص ١٨٢

(١٠٥) الجبرتي : مظهر التقديس، ج٢ ص ٨٤ / عبد الرحمن زكي : القاهرة، ص ٢٥٧ سعاد ماهر مساجد مصر ، ج٣ ص ٣٣

(١٠٦) جامع قايتباى بالروضة : شيده السلطان الملك الاشرف قايتباي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م وقوام تخطيطه اربعة ايوانات يتوسطها صحن مكشوف يحيط به اربعة أبواب والايوان الشرقي هو أكبر الايوانات وهو مبني بحجارة صفراء بيضاء.

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، ج١، ص ٢٧٣-٢٧٥

(١٠٧) الجبرتي : عجائب الاثار، ج٢، ص ٤٨٤

(١٠٨) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، ج١ ص ٢٧٤

(١٠٩) الجبرتي : عجائب الاثار ج٢ ص ٤٣٣ ، مظهر التقديس ، ج٢ ص ١٢٠.

جامع الزمر هو جامع ازدمر من على ياي الواقع بالجهة الجنوبية الشرقية لسور مجرى العيون بالقرب من ميدان السيدة عائشة، ولا زال بالمئذنة المزاغل التى اقامتها الحملة الفرنسية . راجع.

حسين مصطفى حسين : منشاة الامير ازدمر من على يايي - مجلة كلية الاثار - جامعة القاهرة العدد الخامس لسنة ١٩٩١، ص ١٨٦ شكل ٢

(١١٠) الجبرتي : عجائب الاثار ج٢ ص ٤٣٥ / عبد الرحمن زكي : القاهرة ، ص ٢٦٤

(١١١) جامع ازبك اليوسفى : كان هذا الجامع غنى بنقوشه القرانية المحفورة فى الحجر والخشب وكرسى المصحف وأرضيته ووزارته الرخامية واسقفه الخشبية.

الجبرتي : عجائب الاثار، ج٢ ص ٣٩٤

عبد الرحمن زكي : القاهرة، ص ٢٥٧

(١١٢) الجبرتي : عجائب الاثار ، ج٢ ص ٤٣٣ / مظهر التقديس ، ج٢ ص ١٢٠

(١١٣) عبد الرحمن زكي : القاهرة ص ٤٣٥ / نقولا الترك : حملة بونابرت، ص ٨٣ يقع حاليا مكان القصر العيني مستشفى تحمل نفس الاسم تابعة لجامعة القاهرة

(١١٤) الجبرتي : مظهر التقديس، ج٢ ص ١٢٠-١٢١

(١١٥) راجع(هامش ١٢)من البحث

(١١٦) تناول الجزء الخاص بلوحات الدولة الحديثة مناظر اثارية وجغرافية وطبيعية لمدن اسوان واسنا وقنا والقصير واسيوط والمنيا ومصر الوسطى (الفيوم وبنى سويف). والقصير واسيوط .وفى الوجه البحرى تناول رسوم من دمياط وفوة ورشيد والاسكندرية والصحاري العربية وجبال مصر العليا ودير جبل سينا وبحيرات النطرون تم سجل رسومات للفنون التى كانت قائمة فى مصر غداة دخولهم اليها عن الفنون والحرف والملابس والاثاث والادوات والنقوش والنقود والميداليات.

راجع. زهير الشايب. وصف مصر، اللوحات الحديثة، مدبولى سنة ١٩٨٦م.

(١١٧) من مذكرات نابليون فى منفاه بجزيرة سانت هيلانه . راجع:

محمد السعدى فرهود واخرين. الأزهر الشريف فى عيده الالفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ص ٢٠٨-٢٠٩

(١١٨) راجع : زهير الشايب ، لوحات الدولة الحديثة، لوحة ٢٨ جامعا الحاكم بامر الله : شيده خارج باب الفتوح الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م .راجع:

سعاد ماهر : مساجد مصر، ج١ ص ٢٣٥ : ٢٣٧.

جومار. وصف مدينة القاهرة، ص ١٧٧

(١١٩) زهير الشايب. لوحات الدولة الحديثة، لوحة ٢٥

جامع سنان باشا : شيده القائد التركى الكبير والى مصر سنان باشا سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧ بشارع جامع السنانيه ببولاق : ويتكون التخطيط المعمارى لهذا الجامع من قبة حجرية ضخمة يحيط بها قباب ضحلة صغيرة تغطى مساحة مستطيلة الشكل ابعادها ٣٥م طولا ٢٧م عرضا وله ثلاثة أبواب تؤدى إلى ثلاثة ايوانات تحيط بالمسجد من جوانبه الثلاثة الغربية والقبلية والبحرية ، تفتح على الخارج بعقود محموله على اكتاف وعلى عمد، والعقود ما بين الكبيرة والصغيرة تعلوها دوائر جصيةمفرغة بأشكال زخرفية من الداخل والخارج مكتوب على بعضها" الله ربى"، وقد هدم السور الشرقى وابوابه سنة ١٩٠٢م . راجع:

سعاد ماهر : مساجد مصر، ج٥ ص ١٣٨-١٤٠.

حسن عبد الوهاب. تاريخ المساجد، ص ٣٠٢-٣٠٤

(١٢٠) زهير الشايب لوحات الدولة الحديثة . لوحات : ٥٠،٥١/١،٢، ٥٣/١،٢،٤٥،٤٦،٤٧

(١٢١) زهير الشايب ، لوحات الدولة الحديثة، لوحات ٣٢، ٣٨

(١٢٢) جامع السلطان حسن : شيده السلطان الناصر حسن بن قلاوون تجاه باب العزب من قلعة الجبل، وحاليا هو فى ميدان الرميلة، وهو من اضخم مساجد مصر عمارة واعلاها بنيانا وأكثرها فخامة واحسنها شكلا طوله ١٥٠م وعرضه ٦٨م ومساحته ٧٩٠٦م وارتفاعه عند بابه ٣٧،٧٠م تخطيطه،مكون من صحن اوسط مكشوف تحيط به اربعة ايوانات فى وضع صليبى ، وفى كل زاوية من زواياه باب يؤدى الى احدى المدارس الاربعة المخصصة لتدريس المذاهب السنية الاربعة، وهو مكون من اربعة طوابق . راجع:

بن حبيب" : الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر : ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م"

-تذكرة النبيه فى اخبار المنصور وبنيه تحقيق د .محمد محمد امين (٣ اجزاء) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦، ج٣ ص ٣٨٨ : ٣٩٠

المقريزى" . تقى الدين احمد بن على " ت (٨٤٥هـ/١٤٤٢م)

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (جزءان) بولاق سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م (ج٢ ص ٣١٦).

-على مبارك الخطط التوفيقية ج٣ ص ٦٩، ج٤ ص ٨٣، ٨٧.

سعاد ماهر : مساجد مصر ج٣ ص ٢٨٠.

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد. ص ١٦٩.

على حسن زغلول" : مدرسة السلطان حسن "ماجستير غير منشورة بكلية الاثار - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧ .

محمد محمد الكحلاوى : اثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة - مجلة كلية الاثار . جامعة القاهرة - العدد السابع لسنة ١٩٦٦، ص ٨٢، ٩٥، ١٠٠ - ١٠١، ١١٢، ١٢٩، ١٣٣ شكل ٩

- أثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والاندلسيين - الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٤، ص ٩٢

زهير الشايب" : الدولة الحديثة "، لوحات ٢٩، ٣٠، ٣١

جامع احمد بن طولون : شيده الأمير احمد بن طولون والى مصر من قبل الخلافة العباسية فى مدينة القطائع التى بناها فى شمال شرق العسكر والفسطاط وتبلغ مساحته ستة افدنه ونصف ويشغل الجامع مساحه مربعة الشكل طول ضلعها ١٦٠م على ربوه جبل يشكر، وتخطيطه تقليدى من حيث الصحن الاوسط المكشوف (طول ضلعه ٩٢م) يحيط به اربعة اروقة اعمقها رواق القبلة فهو من خمس بلاطات. ويحيط بالمسجد من الخارج زيادات من ثلاث جهات عدا حائط القبله لأنه كان ملاصقا لدار الامارة .أما الفسقية فهى من اضافات وتجديدات السلطان حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، ويشتهر الجامع بمئذنته الملوية راجع:

-المقريزى : الخطط ج٢ ، ص ٢٦٥-٢٦٦ /على مبارك الخطط التوفيقية ج٤ ص ٩٦

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠ ص ٣٩٧، ٤٢٢ : ٤٤٣، ٤٦٣، شكل ٢٩٠.

حسن الباشا) واخرين القاهرة ،" جامع احمد بن طولون "ص ٤٣٤ : ٤٥٢

سعاد ماهر مساجد مصر ، ج١ ، ص ١٣٥-١٥٢.

كمال الدين سامه : لمحات فى تاريخ العمارة المصرية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث الآثار المصرية .القاهرة ١٩٨٦، ص ٥٥ لوحات ، ٢٢ : ٢٥.

سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الاسلام .الاسكندرية سنة ١٩٨٦، ص ٣٣٤ : ٣٣٦ شكل ٨٢

ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية، دار الشروق سنة ٦٤ ، ص ١٧٣.

نيللى حنا : مصر ام الدنيا - دار الفتى العربى سنة ٩٢ ص ١٥ ، ١٦

ايمن فؤاد سيد : التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ نشاتها - الدار المصرية اللبنانية، القاهرة سنة ١٩٩٧ ، ص ٢٥.

- محمد الكحلاوى :كتابات الرحالة المغاربة ،ص ٨٢ ، ٨٥.

١٢٣) مثل قناطر المياه وبيت السنارى وسقعد قره ميدان وسبيل على اغا وحمام عام والاضرحة وسيدان الرميلة والقلعة راجع: زهير الشايب" : الدولة الحديثة" لوحـــات ١٩ . ٢٠ ، ٥٧ : ٥٩ ، ٤٨ : ٥٢/٢ ، ٦١:٦٦، ٦٧:٧٣

١٢٤) زهير الشايب الدولة الحديثة . لوحة ٦٠

١٢٥) وصف مدينة القاهرة ، ص ٢٠٥

١٢٦) زهير الشايب الدولة الحديثة ، لوحة ٥٣ / ١، ٢

١٢٧) راجع سعاد ماهر :مساجد مصر ، ١٨٠٧-١٨٧٦، ج٣ لوحة ١٣

نور بوقا دريس :قدى فى مصر (أخبار اليوم ١٩٩١، ص ٦٠)

١٢٨) زهير الشايب الدولة الحديثة، اللوحات ٢٢ : ٧٠:٧٢، ٣٩، ٤٠/٢، ٤٠ : ٤٣، ٤٥

١٢٩) زهير الشايب : الدولة الحديثة . لوحة ٤٦

بوابه النصر :هي واحدة من البوابات الثلاثة الضخمة (النصر و الفتوح وزويلـــة)التـــي شيدهم الوزير الفاطمي بدر الجمالي في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بعد ان هدم اسوار جوهر الصقلي واعاد بناءها وسعها البوابات .وتشغل كل بوابه منهم مساحه ٢٥×٢٠ وارتفاعها يزيد عن عشرين متراً، وهي مبنية من الحجارة المصقوله المنتظمة الصفوف.

ويوجد على بوابه النصر نص انشائي بالخط الكوفي منحوت في الحجر يتضمن تاريخ التأسيس ويبلغ سعة فتحة هذا الباب من خارج الأسوار ١٠ متر ويحف بالبوابه بدنتان ضخمتان مستطيلتان القاعدة، يبرزن خارج سمت الاسوار، وكل منهما مكون من ثلاث طوابق، ويتوسط واجهة الطابق الثاني سرر وجامات زخرفية بارزة

راجع : المقريزي : الخطط ج١ ص ٣٧٧ - ٣٨١.

احمد فكرى مساجد القاهرة ، ص ٢٤ ; ص ٢٦ لوحات ٤ : ٧.

Creswell : Muslim Arch. part i, pp. 166: 167 , Fig 81.

حسن الباشا : القاهرة" : قصة تاسيس القاهرة "عبد الرحمن فهمى، ص ٢٥ : ٣٢

جرمار وصف مدينة القاهرة، ص ٢٧، ص ٢٨، ١٦٣ : ١٦٦

زهير الشايب : الدولة الحديثة ، لوحة ٤٧

(١٣٠) بوابة الفتوح : اقيمت فى نفس السنة التى اقيمت فيها بوابة النصر، ولكـن يتميز برجيها بانهما مقوسا القاعدة، كما يختلفا فى الشكل الخارجى عن برجى بوابـه النصر وايضا فى النظام الداخلى، وقد حليت جوانب البرجين بعقدين مخلقين زخرفت حجارتهما على شكل وسائد صغيرة متلاصقة . ويبلغ طول الواجهة ٢٣م وارتفاعـها نحو ذلك وطول السر بين البوابتين لداخل الأسوار ٢٥م.

راجع : المقريزى : الخطط ج١ ص ٣٨١

احمد فكرى : مساجد القاهرة ، ص ٢٦.

Creswell Muslim Arch. Part II pp. 176-181 fig 84

(١٣١) حاليات تمت ازالة كل هذه التعديات بمعرفة لجنة حفظ الاثار العربية، واعيد بناء الشـرافات التى سقطت من قبل. وبرزت معالم الابراج وعادت الى حالتها الاولى

(١٣٢) زهير الشايب الدولة الحديثة، لوحة ٦/٢٧

(١٣٣) المدخل الرئيسى لجامع الظاهر بيبرس : يتكون من كتلة ضخمة عرضها ١١,٨٣م تبرز عن سمت جدران الجامع بمقدار ٨,٨٦متر، تتوسطه فتحة باب اتسـاعها ٣,٩٥م يتوجها عقد من صنجات موصعة، كان يرتكز على زوج من الاعمدة المندمجة (فقدا الان) ويكتنف فتحة الباب دخلتان تنتهيان بصدور مقرنصة بدلايات واسفلهما حنيتـان يتوجهما عقـد على هيئة زخـرفة محـارية وتوجد حنيتان اخرتين بعقود منكسرة فى كوشى عقد المدخل ويؤدى المـدخل الى ممـر مقبى ثم ينتهى بقبة ضحلة تغطى جزء مربع من الممر الذى ينتهى - فى داخل الجامع بعقد مدبب كبير يؤدى الى الايـوان الغربى المقابل لايوان القبلة.

راجع : سعاد ماهر : مساجد مصر، ج٣ ص ٣٥

حسنى محمد نويصر :العمارة الإسلامية فى مصر عصر الايوبيين والمماليك .مكتبة زهراء الشكل ١٩٩٦، ص ١٣٩-١٤٠

ايمن فؤاد سيد التطور العمرانى ،ص ٤٦، لوحة ٤٥

Creswell (K.A.C.) The Muslim Arch. partII, pp. 155-157.

(١٣٤) The Muslim Arch., part II pp. 157.

وشاركه فى هذا الرأى:

د .سعاد ماهر : مساجد مصر، ج٣ ص ٣٥

حسنى نويصير : العمارة الإسلامية، ص ١٤٠، فى حين ان بعض الاراء تنفى وجود اثر مئذنة لجامع الظاهر بيبرس ايس فواد : التطور العمرانى، ص ٤٦.

(١٣٥) راجع: Creswell : The Muslim Arch. part II, p.94-100

حسنى نويصر العمارة الاسلامية، ص ٧٦ : ٩٣

(١٣٦) زهير الشايب الدولة الحديثة، لوحة ٣١

(١٣٧) حدثت تجديدات فى جامع احمد بن طولون سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م عندما شيد الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى البازدار، رواقا بجوار المنارة، وجدد المضيأة القديمة التى تم ازالتها فى لقرن الثانى عشر الهجرى (١٨م) وعندما أهمل الجامع انشى فيه مصنع لعمل الاحزمة الصوفية، كما كان به مخبزا قبل اصلاحات حسام الدين لاجين راجع حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد، ص ٤٥

(١٣٨) زينات بيطار : الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى" عالم المعرفة ١٩٩٢. ص ٥٩ ، .لا يتسع مجال البحث فى الاشارة الى كل الاخطاء التى وردت فى كل الاثار الإسلامية التى رسمت فى كتاب" وصف مصر "فالأمر يحتاج إلى مجلد ضخم

(١٣٩) حسن الباشا" جامع احمد بن طولون " كتاب القاهرة ، ص ٤٣٦

(١٤٠) افريد شافعى العمارة العربية ، ص ٤٦٣، حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد،ص٣٤

(١٤١) بريس داقن راجع ثروت عكاشة القيم الجمالية) لوحة ٧٥

(١٤٢) قناطر المياه انشا السلطان الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر وسدت معظم عقود هذه القناطر لتستخدم كسور تحتمى ورائه راجع سعاد ماهر مجرى مياه فم الخليج المجله التاريخية، م٧ لسنة ٥٨، ص ١٤١-١٤٩ الاشكال ٣، ٤، لوحتى ١، ٦

(١٤٣) زهير الشايب الدولة الحديثة ، لوحة ٢٠

(١٤٤) راس المجرى : يتكون من شكل سداسى تبلغ مساحته ٦٢٥,٨٥ مترا مربعا وهو غير متساوى الاضلاع، وارتفاع راسى المجرى ١٨,٤مترا، وقد غطى ارتفاع مستوى ارضيه الشارع حاليا جزءا منه، اذ كان يبلغ ارتفاعه الأصلى ٢٠,٤مترا .وكل وجه من الاوجه الست لراس المجرى يفتح فيه عقدين شبه دائريين، وبداخل الشكل السداسى

يوجـد شكل سداسى اخر متسـاوى الاضلاع طول كل ضلع من اضلاعه ٨ متر ويتوسط السداسى الداخلى عمود قطره ٣,١٦ متر.

سعاد ماهر : مجرى مياه فم الخليج ، ص ١٤٥

(١٤٥) نيللى حنا : مصر ام الدنيا ص ٧٣.

(١٤٦) وصف مدينة القاهرة، ص ١٦٩

(١٤٧) بلغ عدد رسومات كتاب وصف مصر لمجموعة السلطان حسن المعمارية عدد سبع وعشرين رسم. زهير الشايب الدولة الحديثة، لوحة ٣٢: ٣٨

(١٤٨) زهير الشايب الدولة الحديثة لوحة ٣٧

(١٤٩) الفوارة الثانية الصغرى : اشار اليها مكس هرتس ويعتقد خطأ انها حدثت فـي عصـر لاحق لبناء المجموعة وان لجنة حفظ الاثار العربية حاولت تزيلها لانها زيـادة حديثـة لا فائدة منها بل مشوهة لصحن الجامع لقربها من الفوارة الكبيرة مكـس هرتـس :جـامع السلطان حسن ١٩٠٢(الفصل الثانى)

(١٥٠) ابن حبيب : تذكرة النبية، ج٣، ص ٣٨٧

(١٥١) الفسـقية الكبرى : حاليا تستخدم للوضوء، وتعـلوها قبه خشبية تقوم علـى ثمانية أعمدة وقد كتب بدائر قبة الفسقية اية الكرسى وتاريخ الفراغ منـها بـالخط النسخى

سعاد ماهر : مساجد مصر، ج٣ ، ص٢٨٤

مكس هرتس : جامع السلطان حسن، ص ١٧

(١٥٢) David (R.) : Egypt Nubia, London, 1846 1848.

محمد محمد الكحلاوى :اثار مصر الإسلامية لوحة ١٩)

فى المرجع المشار اليه الحق بالمتن صور للاثار الإسلامية التى رسمها الرحالة الاوربيـون فـى مصر، ولكن لم يذكر اسفل كل صورة المصدر الذى نقلت عنه.

(١٥٣) مكس هرتس : جامع السلطان حسن ، ص ٣٩

(١٥٤) مكس هرتس : جامع السلطان حسن ، ص١٧

(١٥٥) زهير الشايب الدولة الحديثة ، لوحة ١/٣٣

(١٥٦) سعاد ماهر : مساجد مصر، ج٣، شكل ٢٩

ثروت عكاشة : القيم الجمالية شكل ٤٤

حسني محمد نويصير : العمارة الاسلامية شكل ٧.

محمد محمد الكحلاوى أثر مراعاة اتجاه القبلة، شكل ٩

(١٥٧) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، ص ١٦٨، ١٦٩.

حسني محمد نويصر العمارة الاسلامية ص ٢١٢ : ٢١٣

(١٥٨) زهير الشايب الدولة الحديثة لوحات ٣/٣٣، ٢/٣٤، ٣٧/١/٣٥

(١٥٩) زهير الشايب الدولة الحديثة) لوحة ٣/٣٤.

(١٦٠) حسن عبد الوهاب . تاريخ المساجد ، ص ١٧٦

سعاد ماهر مساجد مصر ج٣ ص٢٨٧

يختلف معهما مكس هرتس في تاريخ هذا التجديد ويذكر أنه تم في عهد سليم اغا (١١٩٢هـ - ١٧٧٨م) (جامع السلطان حسن، ص ١٥).

(١٦١) Coste (E.) L'Architecture Arabe Manuments au kaire, 1825-1878, pl. v.2I.

لاشك اننا لابد أن نحترز عند الاخذ من صور هذا الرحالة الاوربى - بسكال كوست - لانه يضيف كثير من التفاصيل والزخارف للاثر غير موجودة اصلا فيه، فعلى سبيل المثال اللوحة التي استخدمناها للمقارنة مع صور الحملة الفرنسية عن جامع السلطان حسن، يوجد فيها الكثير من التفاصيل الزخرفية على جانبى حجر المدخل وفى كوشتى عقد المداخل ، وتخيل بالرسم ازار كتابى من الخط النسخى الثلث يوجد اسفل الكورنيش الذى يتوج اعلى واجهة كتلة المدخل

(١٦٢) David (R.) : Egypt & Nubia

يلاحظ فى صورة هذا الرحالة الاوربى انه رسم ثلاث دكاكين اسفل درج مدخل السلطان حسن لا تظهر فى رسوم كتاب وصف مصر ، ولذلك فالراجح أن اصلاحات سليم أغا التى اشرنا اليها كانت تعنى غلق هذه الحوانيت وعدم استعمالها للبيع والشراء أو ربما سدها تماما بالاحجار ، ثم بعد مضى فترة من الزمن اعاد الناس فتحها بازالة الاحجار ، فلما جاء الرحالة ديفيد روبرت صورها على الوضع الذى ادركه

(١٦٣) راجع : حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد، ص ١٧٤.

سعاد ماهر :مساجد مصر ، ج٣، ص ٢٨٧ .

كراسات نحية حفظ الآثار العربية، المجموعة الرابعة والعشرون لسنة ١٩٠٧، ص ٩

(١٦٤) تلاحظ لنا التغاضى عن رسم اغلب التفاصيل الزخرفية فى كل الصور التى وردت عن مدخل مجموعة السلطان حسن المعمارية فى كتاب وصف مصر ، راجع :

زهير الشايب : الدولة الحديثة، اللوحات ٢/٣٣، ٢/٣٤، ٣٨

(١٦٥) زهير الشايب : الدولة الحديثة ، لوحة ٣٨

(١٦٦) زهير الشايب : الدولة الحديثة ، لوحة ٢/٣٣

(١٦٧) جامع السلطان حسن ، ص ٢٦، كما راجع كراسات لجنة حفظ الاثار العربية المجموعة الرابعة والعشرون لسنة ١٩١٧ ص ٧٨.

(١٦٨) زهير الشايب : الدولة الحديثة ، لوحتى ٣٢، ١/٣٣.

(١٦٩) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحة ٣٢

(١٧٠) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحة ١/٣٣

(١٧١) المئذنة الشرقية أقل شانا من المئذنة الجنوبية الاصلية، لانها ليست اصلية فقد سقطت عام ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م، فجددها ابراهيم باشا عام ١٠٨٢هـ/١٦٧١م وهى تقليد صغير للمئذنة الجنوبية

حسنى محمد نويصير : العمارة الإسلامية، ص ٢١١

(١٧٢) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحة ٣٢

(١٧٣) راجع زهير الشايب :الدولة الحديثة، لوحتى ٢/٣٣ /٢.١/٣٤

(١٧٤) David (R.) Egypt & Nubia

(١٧٥) جامع السلطان حسن ، ص ٢٦

(١٧٦) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحة ٣٢

(١٧٨) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحات : ٢/٣٣، ٢،١/٣٤، ٣٨.

(١٧٨) زهير الشايب : الدولة الحديثة، لوحة ٢٥.

ثروت عكاشة : القيم الجمالية ، لوحة ٣٤٩

(١٧٩) ثروت عكاشة : القيم الجمالية (لوحة ٣٥٠)

صالح لمعى مصطفى : القباب فى العمارة الإسلامية دار النهضة العربية بيروت ، بدون تاريخ

صوره ٢٨

(١٨٠) راجع حسن الباشا : دراسات فى فن النهضة وتأثره بالفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص ٤٣

زينات بيطار :الاستشراق، ص٣٨، لوحة (٨) لمون

(١٨١) حسن الباشا : دراسات فى فن النهضة ، ص ٤٤ شكل ٥٦،

حسن الباشا :دومينيكو تريفيزانو" ، بحث فى كتاب القاهرة، ص ٨٧ –٨٨ شكل١٦ .

ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء ، ج٢ ص ٣٩٩ .

راجع زينات بيطار :الاستشراق ،لوحتي ١٧،٣

(١٨٢) ثروت عكاشة :القيم الجمالية ،لوحة ١١٠ أ،ب

(١٨٣) زينات بيطار :الاستشراق ،ص ٥٢-٥٣

(١٨٤) حسن الباشا :دراسات فى فن النهضة ،ص ٨، ١٦



جامعة القاهرة - كلية الآداب

المؤرخ المصري

الفتح الإسلامي لحصن كالونوروس وتحويلة إلى ميناء علائية

د . نورة عبد الله باذياب
كلية الآداب – جامعة الملك عبد العزيز - الرياض

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام علي نبينا محمد وعلي آله وصحبة الكرام. يظل تاريخ منطقة آسيا الصغرى في العصر السلجوقي في حاجة الـــي بـــذل المزيد من الجهد في البحث والدراسة لالقاء الضوء علي ما خفي من أحـــداث ومظاهر الحضارة في تلك الحقبة التاريخية الإسلامية.

لذا كانت ندرة ما كتب في المكتبة العربية خاصة عن موضوع الفتـــح الإسلامي لحصن كالونوروس وتحويله الي ميناء علائية الإسلامي في عـــهد السلطان علاء الدين كيقباد الأول السلجوقي أول دافـــع لـــي لكتابـــة هـــذا البحث.

ثم إن الفتح الإسلامي لعلائية يعطي صورة حقيقية للقـــوة العســـكرية والازدهار الحضاري للعصر الذي وقع فيه وهو عصـــر الســـلطان المعظـــم علاء الدين كيقباد الأول.

كما أن إنشاء ميناء علائية الإسلامي في منطقة معروفة بحصانتـــها وقدرتها الدفاعية هيأ للمسلمين في آسيا الصغرى ترسانة بحرية أمدت انطاليـــة بما تحتاجه من سفن، وضمنت حمايتها، بالإضافة الي أنها أصبحـــت مينـــاء هاما للتصدير.

ولم تقتصر أهمية علائية علي ذلك إنما اعتبرها سلاجقة الروم ملجـا لهم ولأبنائهم من بعدهم عند تعرضهم للأزمات، كما جعلوها مشـتىً مناسـبا للتمتع بدفئها من صقيع وسط الأناضول في فترة الشتاء.

ويستعرض البحث تاريخ المدينة قبل الفتح الإسلامي ومسمياتها، كمـا يتحدث بالتفصيل عن الفتح الإسلامي لها لما له من أهمية في توضيح مـدي القوي العسكرية التي تمتع بها السلاجقة في عهد علاء الدين كيقباد الأول، ثـم الجهد الذي بذل في سبيل تحويلها الي ميناء إسلامي وتغيير ملامحها، وأخيرا الوصف المعماري لبعض منشآتها التي ظلت شاهدة علي عظمة تلك الفـترة من تاريخها؛

الفتح الإسلامي لحصن كالونوروس وتحويله الي ميناء علائية

الموقـــــــع:

تقع علائية Alaiyye في جنوب آسيا الصغرى علـــي ســاحل البحـــر الأبيض المتوسط، شرقى خليج أنطالية، وهي تبعد عن أنطالية مســافة مائـــة ميل، وترتبط بالأراضي الساحلية من خلال برزخ [١].

ويحدد أبو الفدا موقعها فيقول: العلايا بليدة صغيرة علي دخلـــة فـــي بحر الروم وهي من فرض تلك البلاد في الجنوب من انطاليه علـــي مســيرة يومين[٢]. الا انه بالرجوع الي الخريطة نجد أن القول بوقوع علائيـــة فـــي الجنوب الشرقي من انطالية هو الأكثر دقة والأوضح تحديدا من قـــول أبـــي الفدا . ويذكر ابن العبري أنها تقع علي بحر الأدرياتيك[٣] ، ما يعنـــي ذلـــك وقوعها في الحوض الشرقي من البحر المتوسط

الأسماء التى أطلقت علىعلائية قبل الفتح الإسلامي

(كوراكسيوم – كالونوروس – كاندلور) .

هي مدينة قديمة ذكرت لأول مرة فـــي أعمـــال الجغرافـــي القديـــم سترابون[٤] Strabon من أماســـية Amasya[٥]، والـــذى أطلـــق عليـــها اســـم "كوراكسيوم" Coracesium [٦] وهي كلمة يونانية تعني غراب السماء[٧].

وفيما عدا سترابون لم يستطع الباحثون العثور علي اسم "كوراكسيوم" لا فـــي المصادر الإسلامية ولا حتي في المصادر الأوربية خاصة فيما يتعلق بـــالفترة التي سبقت زمن الفتح الإسلامي[٨] .

وبالنسبة للمراجع الأوربية الحديثة فقد ورد اسم كوراكسيوم لدي كل من رمسي في كتابه The Historical Geography of Asia Minor حيث كتبت Korakesion [٩] ولسترانج في كتابة "بلدان الخلافة الشرقية " باسم 'Coracesium

والحقيقة أن "كوراكسيون " لم يكن الاسم الوحيد الذي عرفت به المدينة قبل الفتح الإسلامي، بل تعدد تسميتها في العصور القديمة، فأطلق عليها البحارة اسم "كالونوروس" أو خالون أوروس Kolonoros وهي كلمة يونانية تعني الجبل الجميل[١١] ، وذلك لما تميزت به المدينة من جمال طبيعي وموقع دفاعي[١٢] .

وكالونوروس هو الاسم الذي اتفقت المصادر والمراجع العربية علي ذكره ، ومنها كتاب ابن بيبى (الأوامر العلائية في الأمور العلائية) وكذلك في مختصره (مختصر سلجو قنامة) حيث كتبت "ملونوروس". وفي نسخة كتاب تواريخ آل سلجوق" المطبوع لمؤلفه يازجي زاده علي اورد اسم كالوبوروس"Kaloboros ،إلا أنه من المؤكد وجود خطأ في النسخ حيث أن الناقل لابد وان يكون قد كتب اسم كالوبوروس بدلا من كالونوروس، حيث يوجد الاسم صحيحا وهو كالونوروس في النسخة الأصلية المكتوبة بخط يد المؤلف الموجود في اسطنبول[١٣] ، كما ذكرها المولوي في صحائف الأخبار كالونوروس [١٤] ،ونقل عنه خليل أدهم في كتابه قيصري شهري[١٥] .

أما المصادر اللاتينية واليونانية التي وردت في الموسوعة الإسلامية فقد ذكرتها بأسماء كانديلوروس Kandeloros، وسكاندلوروس Skandeloros ،وذكرها ديجونيس Deguignesباسم قلعة كانديلور Kandelor [١٦] ،وهي نفس الأسماء التي استخدمها الأرمن والبنادقة القبارصة[١٧] . ألا أن سمبادSimpad مؤلف

كتاب " تاريخ أرمينية الصغرى" والذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي ذكرها باسم غالونوروس[١٨] .

وربما يمكن اعتبار الاختلافات الواردة في المراجع اللاتينية واليونانية وكذا البيزنطية عبارة عن أساليب في الأشكال الإملائية[١٩] ، كما يمكن اعتبار أن المسلمين قد سمعوا اسم كاندلور kandelor وكتبوه بالحروف العربية "كنطالور" كما هو موجود في كتاب سلجوقنامة المكتوب باللغة الفارسية والموجود في المكتبة الوطنية بباريس وكذلك كتاب تاريخ آل سلجوق لمؤلف مجهول بالفارسية ترجمه الي التركية فيردون نافز أوزلت. وهكذا يمكن القول أن المدينة عندما فتحت علي يد السلاجقة كانت تحمل اسمين هما كالونوروس وكانطلور[٢٠] (كاندلور) .

كوراكسيوم وأعمال القرصنة:

جاء في وصف سترابون لكوراكسيوم أنها "كقلعة قليقية بنيت علي صخرة منحدرة، وهي المدينة الأولي بعد عبور بامفيليا Pamphylia [٢١]. وقد تعرض هذا الحصن لهجوم من قبل بيوك الثالث عام ١٩٩ق.م وذلك حين كانت واحدة من مدن قليقية [٢٢] . ثم استخدمه في عام ١٤٣ ق.م أي بعد نصف قرن من الزمان القرصان الشهير ديودوتس تريفون كقاعدة عندما أعلن ثورته علي الحكام السوريين ورفض الانضمام إليهم [٢٣] . وقد أنشأ ديودوتس تريفون قلعة كبيرة كان يضع فيها الأشياء التي يستولي عليها من أعمال القرصنة[٢٤] .

ولقد تجمعت لدي ديودوتس تريفون عدة عوامل تشجعه علي البدء في مزاولة أعمال القرصنة، منها عدم وجود معارضة في المنطقة، وكذلك

قرب المدينة من جزيرة ديلوس، ثم من سوق العبيد الهام[٢٥] . وهكذا تشجع القليقيون (الأرمن) علي استمرار نشاطهم في هذا المجال وازدادت قوتهم يوما بعد يوم بسبب اهتمام الرومان بتجارة العبيد وما تدره هذه التجارة من أرباح من جهة ، ثم الفراغ السياسي في قليقية بسبب العداوة بين حكام قبرص ، ومصر وسوريا [٢٦] وعدم رغبة روما في التدخل من جهة أخري [٢٧].

وقد أعطي هذا الفراغ السياسي الفرصة للأرمن للاستيلاء والسيطرة علي أراضي امتدت الي ما وراء جبال طوروس . وأصبح القراصنة الحفاة يتصرفون في البحار كيفما شاءوا .

وعلي هذا النحو تحولت قليقيا الي مأوي وملجأ للقراصنة ، ومخزن لما استولوا عليه من غنائم ومسروقات .

وفي خلال فترة قصيرة امتدت أعمال القرصنة في كل أطراف البحر الأبيض المتوسط . ففي القرن الثاني قبل الميلاد توطن في قلعة كلونوروس . القرصان الشهير ديودوتس تريفون D.trypnor .

ثم أدي تطور الأمور الي تدخل روما في كوراكسيوم Coraceimn بعد أن شجع أهاليها مثريداتس السادس Mithridates VI ملك مملكة بنطس[٢٨] Pontus الذي حكم الأناضول بأكمله وكانت عاصمة حكمه صينوب Sinopeas وقام مثريداتس بتحريض كوراكسيوم ضد أعدائه الرومان فما كان من روما إلا أن اتخذت قرارا في آخر الأمر بارسال جيش الي الأناضول من أجل القضاء علي قوة مثريداتس المتزايدة [٢٩].

فنجح الجيش الروماني في إيقاع هزيمة ساحقة بمثريداتس لكن القراصنة لم يتأثروا بما حدث حولهم في قليقية بل زادوا من هجماتهم وجعلوا

من كوراكسيوم قاعدة ثابته لهم. ووجهوا عملياتهم إلي البحر الأدرياتيكي والبحر الابيض المتوسط ووصلوا الي صقليه بل الي السواحل الغربية لايطاليا يسلبون المدن ويختطفون الرومان الأغنياء لأجل الفدية [٣٠].

وفي عام ٧٥-٧٤ ق.م بدأت روما في التحرك مرة أخري، وقام الوالي العام بيبلوس سرفليوس بتنظيم سلسلة حملات ضد القراصنة ، إلا أنهم لم يوفقوا في اجتياز القلاع والحصون القليقية القوية المستقلة[٣١] . واختبأ القراصنة في جبال طوروس عند مطاردتهم وخربوا ميناء ديلوس ونهبوه سنة ٦٩ ق.م وازدادت سيطرة أولئك القراصنة علي البحر المتوسط الي درجة اعتراضهم نقل الحبوب الي روما[٣٢] .

حملة بومبى ضد القراصنة في قليقية ومعركة كوراكسيوم:

وحتى يضع الرومان حدا لتمادي نشاط القراصنة، أعطت روما قيادة إحدى الحملات القوية الي بومبي Pompey وأسندت إليه مهمة إخماد عملية القرصنة في البحر الابيض المتوسط.

خرج بومبي علي رأس هذه الحملة التي حشد لها حوالي ١٢٠.٠٠٠ مقاتل ووزع قواته في أنحاء البحر المتوسط تحت قيادة نوابه من الضباط توزيعا ملائما [٣٣] . واستطاع بومبي أن ينجز مهمته بنجاح تام في خلال ثلاثة أشهر، ففي خلال الأربعين يوما الأولي تمكن من تطهير الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط من أولئك القراصنة ثم اقتفى أثرهم الي الحوض الشرقي [٣٤] . وتمكن في الفترة الباقية من الاستيلاء علي كوراكسيوم Coraceium نفسها علي ساحل بامفيليا بعد معركة كبيرة أمام كوراكسيوم ، وذلك في سنة ٦٥ق . م وأنهارت جدران الحصن السميكة

تماما وتدحرجت الأحجار الي البحر وتم تخريب أسطول القراصنة علي يد بومبي[٣٥] ، ثم ضيق عليهم بومبي الخناق في أوكارهم الجبلية بقليقية وقوض جميع معاقلهم القوية . وقد أعانته علي الانتصار بسرعة سياسة اللين التي استعملها مع من استسلموا له، إذ عفا عنهم ومنحهم حريتهم، وقام باسكانهم في مدن قليلة السكان في قليقية وغيرها من المناطق حيث توافرت لهم سبل العيش الشريف . وهكذا انهى بومبي الحرب ضد القراصنة نهاية موفقة في بحر ثلاثة أشهر بفضل حسن تنظيمه وتخطيطه[٣٦] .

وبعد هذا النصر منح بومبي السلطة المطلقة والكاملة ليقود الجيش لطرد مثريداتس من اسيا الصغري، وقد تخلص منه بسهولة وبذلك وسع حدود روما الي البحر الأسود . واستمر بومبي ليهزم تيجرانس ملك ارمينيا وأضاف الي المقاطعات الشرقية لروما أجزاء من مملكة سوريا . كما هزم في آخر الأمر اليهود الذين حاولوا مقاومته ، وجعل من أورشليم ولاية رومانية[٣٧] .

ورغم أنه قد تمت هزيمة القراصنة في كوراكسيوم والمناطق المحيطة بها وطردهم منها بعد أن استمرت أعمالهم الغير شرعية لما يقترب من قرن ونصف قرن من الزمان إلا أن أعمال القرصنة لم تخمد في البحر المتوسط [٣٨] . فعندما أدين يوليوس قيصر وحكم عليه بالموت هرب الي الأناضول فاسره القراصنة، ثم تمكن من الهرب ووصل الي ميليتوس Miletus وهناك بني أسطولا قويا ، وقام بهجوم غير متوقع علي القراصنة وأخذ غالبيتهم كاسري حرب، وأعدمهم شنقا في برجاموم Pergamum [٣٩] .

وفي عام ٤٨ ق.م لجأ بومبي الي المملكة المصرية وترك يوليوس قيصر بدون منافس في روما . ومع أنه جعل الأناضول ولاية رومانية فقد

توجه يوليوس قيصرالي مصر وقبض علي بومبي، وقطع رأســـه ، إلا أنــه وقع في حب كليوباترا، وأعاد اليها المملكة المصريـــة فـــي عـــام ٤٧ ق.م ،وهزم فرناسيس بن مثريدات البنطي في آسيا الصغرى في نفــس الســنة[٤٠] لكنه ما لبث أن اغتيل في سنة ٤٤ ق.م [٤١].

كوراكسيوم بين المصريين والرومان ٤٧ ق.م - ١٩٢م:

واثناء هذه الفترة قهر الفقر الناس في كوراكســـيوم، وحكـــم القـــائد الروماني انطونيوس الأناضول ، ووقع هـــو الآخـــر فـــي حـــب كليوبـــاترا وسيطرت عليه تماما وعاش معها في مصر لسنوات طويلـــة .وفـــي نهايـــة المطاف ،ورغم أنه كان قائدا فقد منح كوراكسيوم والمناطق المحيطة بها الـــي كليوباترا. وقد أغضب هذا الحدث منافسه فـــي الإمبراطوريـــة الرومانيـــة أوكتافيوس والذي أعلن الحرب في عام ٣٢ ق.م. علي كليوبـــاترا وقـــهرها وأدي ذلك الي انتحار كل من انطونيوس وكليوباترا . وكنتيجة لذلك عـــادت كوراكسيوم مرة أخري خاضعة للرومان.

ومن عام ٢٧ق.م. الي عام ١٩٢م ظلت الأنـــاضول وكوراكســـيوم جزءا من الإمبراطورية الرومانية. وعلي هذا النحو يلزم أن تكـــون قليقيـــا وبامفيليا قد قبلتا هما الإثنتان وغيرهما من المدن الأخرى الديانة المسيحية في تاريخ مبكر واقيمت فيهما أول كنيسة ومثلت من طرف أحد الأساقفة [٤٢].

وبعد أن أصبح اوكتافيوس إمبراطورا، قام بتقسيم الإمبراطورية الـــي مقاطعات، ماعدا بعض ممالك تابعة لبعض السلالات الحاكمة علـــي البحـــر المتوسط بقيت كممالك رغم تبعيتها للإمبراطورية الرومانية. وبمجرد تقســـيم الإمبراطورية وتأسيس إمبراطورية الرومان الشرقية اكتسبت مـــدن البحـــر

الابيض المتوسط الأهمية العسكرية، وأعيد بناء القـــلاع والحصـــون حـــول كوراكسيوم [٤٣].

استمرار استقلاق كوراكسيوم في عصر الفتوحات الإسلامية الأولي:

لا توجد أي إشارة في المصادر والمراجع التاريخية لأي محاولة فتـح لكوراكسيوم خلال عهد الخلفاء الراشدين (٦٣٢-٦٦١م)٠٠ حقيقة أن معاوية بن أبى سفيان حاكم دمشق أستأذن الخليفة الثاني عمر بــن الخطــاب ليفتـح قبرص، ولكن الخليفة لم يأذن له، ثم حصل بصعوبة بعد ذلك علـــي موافقـة ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، فأبحر فـــي عـام ٢٨هـــ /٦٤٩م وبصحبته زوجته الي قبرص علي رأس أسطول كبير، وأحرز نصرا بســيطا سهلا. انتهي بتوقيع معاهدة تتعهد فيها قبرص بعدم مساعدة بيزنطـــة وبدفـع جزية سنوية قدرها ٧٢٠٠ دينار تدفعها قبرص للدولة الإسلامية، وعاد الـــي دمشق٠

وفي عام ٣٣هـ / ٦٥٣م قام معاوية بهجوم غـــير متوقـع علـــي قبرص بواسطة أسطول كبير وهزم القبارصة [٤٤]، وبعد أن أصبح معاويـــة خليفة للمسلمين، فتح رودس في عام ٥٢هـ /٦٧٢م و ظلت الجزيرة تحـت الحكم الإسلامي لمدة سبعين عاما، ورغم قــرب ذلــك النشــاط كلــه مــن كوراكسيوم ذاتها إلا أنه لم يحدث أي هجوم عليها [٤٥].

ولم تتغير أحوال المنطقة فقد ظل جزء كبير من السواحل الجنوبيـــة لآسيا الصغرى بعيدا عن سيطرة المسلمين وحكمهم٠ وعلي الرغم من قيـــام القوات الإسلامية بالسيطرة الدائمة علي مناطق طرسوس وواحة أضنـــة، إلا أن المنطقة الساحلية كانت بعيدة عن سيطرتهم. فقد حالت أوضاع الطريـــق

الساحلي لقليقية من حيث الضيق والنتوءات البارزة دون وجود ارتباط بينها وبين كوراكسيوم (كالونوروس)، يضاف الي ذلك سلسلة جبال طوروس العالية التي تضع الصعوبات على المدخل المؤدي الي هضبة الاناضول. فظلت كوراكسيوم منيعة حصينة مرتفعة فوق الصخور مما يحميها من الهجوم المباشر من جهتي البر والبحر. وفي هذا الصدد يقول عنها المولوي في صحائف الاخبار " وكانت أمنع القلاع وأحصنها من وجوه فإنها كانت وعرة المسالك صعبة المدارك قد أحاط بها الأنهار العظيمة الممتنعة العبور في جهات والبحر في جهة [٤٦].

وهكذا ظلت كوراكسيوم مستقلة في العصور الإسلامية الاولى ودفعت عنها الطبيعة الفتح لعدة سنوات. وكما تحطم الأسطول العربي وهو في طريقه لغزو القسطنطينية على طول شواطئ بامفيليا في سنة ٥٨هـ /٦٧٨م هربت كوراكسيوم من الحكم الإسلامي لعدة سنوات ولنفس الأسباب[٤٧].

(ولم يظفر بها أحد من الأمراء لكمال حصانتها حتى لم يقصدها أحد من سلاطين السلجوقية مع حرصهم على توسيع الملك واتصالها بملكهم ظنا منهم أنها تمنع فتحها وأخذها) [٤٨].

ولكن بمجرد اتخاذ السلاجقة عاصمتهم في قونية وتعزيزهم لقواتهم وتوطيد نفوذهم بدءوا يوسعون حدودهم حتى انتهى استقلال كوراكسيوم.

امتداد الفتوحات الإسلامية في العصر السلجوقي:

بعد أن وطد السلاجقة أنفسهم في آسيا الصغرى إبان القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، أخذوا يعملون على تأمين دولتهم من

الناحيتين السياسية والاقتصادية. ولتنمية مواردهم الاقتصادية زاد اهتمامهم بالتجارة كعصب الاقتصاد في بلادهم، وتوسعوا بسرعة في هذا النشاط. وفكروا في ضرورة إيجاد منافذ لهم علي كل من البحر الابيض والبحر الاسود اللذين يحدانها من الشمال والجنوب، وهكذا أخذ السلاجقة يعملون علي تنفيذ هذه السياسة وحاولوا السيطرة علي بافرا ويوناي علي البحر الأسود، وهي منطقة بعيدة عن القسطنطينية وطرابيزون[٤٩]، وفي عام ٥٩١هـ /١١٩٥م احتلوا سامسون[٥٠] ، فكانت أول ميناء لهم علي ساحل البحر الأسود [٥١] ، إلا أن حكم السلاجقة لسامسون لم يستمر طويلا. ففي عام ١٢٠٠م هاجم الكسيوس الثالث امبراطور بيزنطة تجار السلاجقة في سامسون ، وفي عام ١٢٠٤م أعاد كومنينوس الثالث امبراطور طرابيزون احتلال المدينة منتهزا فرصة غياب قليج ارسلان الذي ذهب الي الغرب ليتقاتل مع امبراطور نيقية ثيودور لاسكاريس [٥٢].

ومما ساعد امبراطور طرابيزون أيضا عدم وجود حامية عسكرية قوية في المدينة[٥٣] . وإبان تزايد نفوذ السلاجقة حاول غياث الدين كيخسرو (٦٠١-٦٠٧هـ /١٢٠٤-١٢١٠م) أيضا تأمين منافذ علي البحر الأسود ، لكن محاولاته لم تنجح . وتحت هذه الظروف اضطر للاتجاه لايجاد منفذ للسلاجقة علي البحر الابيض المتوسط.

وبدأ التمهيد لفتح انطالية بعد فترة قصيرة من اعتلاء غياث الدين كيخسرو العرش، حيث استولي التركمان علي إسبرطة Isparta الواقعة الي شمال الطريق المؤدي الي انطاليه . وكانت انطاليه آنذاك تحت حكم مغامر توسكاني، وهو الدوبر اندينى Aldobrandini [٥٤] . وبسبب سوء معاملة الفرنج للتجار المصريين في انطاليه وشكايتهم لكيخسرو الأول ، قرر

كيخسرو الاول فتح انطاليه وضيق علي أهلها في سنة ٦٠٣هـــــ / ١٢٠٧م الذين استجدوا بالصليبيين في قبرص وحاكمهم والتردي مونبليار Walter de montbeliard نائب المملكـــة القبرصيـــة والوصـــي علـــي الملـــك الصغـير هيولوزجنان ملك قـــبرص (٦٠١-٦١٥هـــ /١٢٠٥ - ١٢١٨م) . فـهب والتردي مونبيليار لمساعدة أهل انطاليه، ودخل المدينة بعد مغادرة الســـلطان كيخسرو الأول بعد أن أبقي بعض العساكر في الجبال الواقعة بيـــن أنطاليـــة وقونية ليقطعوا الطريق والميرة عن أهل أنطالية[٥٥] وعجز دي مونبليـــار عن منع الأتراك عن سلب ونهب المناطق المحيطة بانطاليه، فاشتدت الضائقة بأهل البلد من البيزنطيين وطلبوا من الفرنجة الذين يسيطرون علـــي المدينـــة الخروج لدفع المسلمين ونشب الخلاف بين الجانبين الفرنجة .والروم الذيـــن اختاروا الخضوع والتسليم للترك[٥٦] وتم فتح انطاليه بالكامل في ٣ شـــعبان سنة ٦٠٣ هــ /٥ مارس ١٢٠٧م[٥٧] في عهد كيخسرو الأول وتأسست بـــها حكومة إسلامية جديدة رأسها مبارز الدين ارتقش[٥٨]

وهكذا كان فتح انطالية نقطة تحول في تاريخ دولة سلاجقة الـــروم إذ جعل هذا الفتح منها منفذا مهما علي ساحل البحر المتوسط وأتاح لها فرصـــة الاتصال البحري المباشر مع سائر القوي البحرية والتجارية المطله علي ذلـك البحر خاصة البنادقة واتخاذ الإجراءات الضرورية لاستقرار التجار الأتـــراك هناك [٥٩].

وترتب علي مقتل السلطان كيخسرو أن تولي ابنه الاكبر عز الديـــن كيكاوس ("٦٠٨ - ٦١٦ هــ" / "١٢١١ - ١٢٢٠"م) عرش السلطنة ولكـــن أخاه الآخر علاء الدين كيقباد قام ينازعه علي العرش حتى نجـــح كيكـــاوس

سنة ٦٠٩هـ، / ١٢١٢م في اجبار أخيه علي الاستسلام بعد أن حاصره حصارا شديدا استمر نحو سنة في مدينة انقرة [٦٠]

واستمر كيكاوس الأول ("٦٠٧ - ٦١٦"هـ / "١٢١١ - ١٢٢٠م") علي سياسة والده لايجاد منافذ وموانى لسلاجقة الروم ، ففتح سينوب في سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م ودعا تجارا كثيرين من المدن التركية وأسكنهم فيها، وجعلها ميناء لعبور التجارة، وقاعدة لأسطوله الذي أنشأه في البحر الأسود[٦١] .

كما تمكن من قمع حركة التمرد الذي حدثت في أنطاليه سنة ٦١٢هـ / ١٢١٦م وطرد ملك قبرص منها ، وهو الذي كان قد انتزع المدينة خلال نزاع السلطان مع أخيه كيقباد علي العرش. وأمر كيكاوس بترميم سور انطاليه وزيادة ارتفاعه ، وأمر بإنشاء مساكن جديدة ونقل اليها طوائف من التركمان. كما جعل كيكاوس مبارز الدين أرتقش مرة أخري أميرا للسواحل[٦٢] في المدينة ، وهزم كيقريدون ونفاه الي ولاية بعيدة حيث مات في المنفي ، وتفاوض للسلم مع القبارصة الذين اتفقت اهتماماتهم الاقتصادية - بعيدا عن الأهواء السياسية - فساعدت التجارة بين البلدين علي إنعاش وازدهار الأوضاع[٦٣].

وكرست باقي سنوات حكم كيكاوس للحملات ضد الأرمن وغيرهم من ذوي التطلعات . ففي سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦م شن الحرب علي الملك الأرمني بسبب اعتدائه علي الحدود السلجوقية. وأدرك الملك الأرمني أنه لا

يستطيع الوقوف ضد الجيوش السلجوقية التي اندفعت علي طول خط انطاليه الساحلي، واضطر ملك الأرمن الي توقيع معاهدة تبعية تضمنت شرطا بدفع جزية سنوية باهظة ، كما اعترف بسيادة السلطان بذكر اسمه في الخطبة وسكه علي العملة.وسلم إليه قلاعه الحدودية . كما ضم السلطان أجزاء من شمالي سوريا سنة ٦١٥هـ /١٢١٨ م مستفيدا من الخلافات الداخلية بين الأيوبيين . واعترف بسيادته العليا بعض الحكام المسلمين ، منهم الحاكم الارتقي محمد ، وحاكم اربل مظفر الدين كوكبري(٦٤) .

وتوفي كيكاوس ودفن في الضريح الذي أعد له في المستشفي الكبير (دار الشفاء) الذي بناه في سيواس (٦٥)، وكانت سنة وفاته في شهر شوال سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م، وهي السنة التي تولى فيها أخوه علاء الدين كيقباد عرش سلطنه سلاجقة الروم.

كان عهد علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ -٦٣٤ هـ / ١٢١٩ - ١٢٣٦م) : أكثر عهود السلاجقة إزدهارا وأعظم مجدا . فقد استطاع بعون من الله تعالي أن يحول سلطنته الي العلو والرقي ، حيث حقق الانتصارات الحربية وأنشأ القلاع العظيمة والأبراج العالية(٦٦) .

وقد أدرك علاء الدين كيقباد ضرورة متابعة سياسة أسلافه في تأمين الدولة سياسيا واقتصاديا، ويبدو أن السلطان أدرك أهمية أنطاليه كميناء اقتصادي مهم فاقتنع بضرورة حمايتها وتأمين الطرق المؤدية اليها .وكانت أولي الخطوات التي اتبعها كيقباد في تنفيذ سياسته لتأمين حدود دولته من جهة ساحل البحر الابيض المتوسط العمل علي فتح إحدى القلاع الحصينة المجاورة لانطاليه ، وهي قلعة كالونوروس "كوراكسيوم".

الفتح الإسلامي لحصن كالونوروس (كوراكسيوم) وتحويله الي العلائية:

كان علاء الدين كيقباد منذ توليه السلطنة يخطط لتوسيع حدوده ،وبعد أن استكمل الخطط الحربية الخاصة بالفتح ، أتخذ قرارا بضم كالونوروس لحدود الدولة السلجوقية وذلك أثناء مأدبة طعام آقامها السلطان وحضرها رجال الدولة وأعضاء المجلس الاستشاري للسلطان والأمراء والقادة العسكريون ،

وكان ذلك أثناء تواجده بقيسارية، وقد حفزه علي ذلك حاكم أنطاليا مبارز الدين أرتقش واسد الدين كنر صطبل المعروف باياس المجنون وهما من الأمراء الذين كانوا مع أبيه غياث الدين كيخسرو في غربته (٦٧)، وكانا قد أيقنا بضرورة قيام السلطان علاء الدين كيقباد بهذا الفتح لتامين دولته من ناحية ولإرهاب أعدائه المحيطين بمملكته من ناحية أخري(٦٨) .

وبمجرد عودة علاء الدين كيقباد الي العاصمة قونية صدرت الأوامر الخاصة بالاستعداد الحربي(٦٩) ،وفي مدة زمنية لم تتجاوز العشرة أيام كان الجيش جاهزا بكل عتاده ورجاله(٧٠) ،وفي هذا الصدد يقول ابن بيبي: "وجد الاقتراح – (يقصد فتح حصن كلونوروس) – القبول لدي السلطان فأمر بإعداد قرار لتجهيز الجند والمهمات من طرف الولايات النائية ، فقام كتاب الديوان في التو واللحظة بإعداد الفرمان علي ورق الكافور وزينوا الفرمان بالرسوم والخطوط الجميلة وعرضوه علي السلطان المبارك للتوقيع ، وتم إرسال الأمر السلطاني علي الفور بالبريد الي الولايات النائية، وفي خلال مدة زمنية لم تتجاوز العشرة أيام أمكن إعداد جيش من الخيول التي

تجري مثل الرياح وينبعث الغبار من تحت أظافرها وحوافرها واكتملت كل الترتيبات والتجهيزات العسكرية اللازمة "[٧١] .

ولحسن الحظ كان وقت الهجوم في فصل الشتاء، وكان شتاء كالونوروس مثل الربيع ، بحكم وقوعها علي ساحل البحر الأبيض المتوسط، وبعدها عن وسط آسيا الصغرى الشديدة البرودة.

وفي غضون عشرة أيام كان الجيش السلجوقي مستعدا لخوض القتال ويسانده أسطول بحري قوي للسلاجقة في انطاليه.

سلك جيش السلاجقة الذي كان يقوده السلطان علاء الدين كيقباد نفسه أقصر الطرق المؤدية الي انطالية علي النحو التالي : قونية – حمراء – دنيك – بلفيران – خادم – بيردوجاندا[٧٢].

وكانت القلعة محاطة بأسوار تبدأ من أعلي برج الأسد وتنتهي عند أحمدك [٧٣] .ويفصل أبن بيبي عملية الفتح فيقول : " وفي اليوم التاسع انطلق الجيش نحو هدفه وسط قرع الطبول التي كانت أصواتها تسمع الدنيا، وكان السلطان يمتطي جواده، والجيش يتحرك فوجا وراء فوج ، وأمر السلطان بتقسيم الجيش الذي يتحدي الكائنات الي ثلاث فرق ،واحدة تسير مندفعة فوق الحجارة والمرمر مثل النمور السريعة، والفرقة الثانية تشق أمواج البحار مثل التماسيح، والثالثة تقوم بحصار القلعة من ناحية البحر بواسطة السفن. وقام الجيش بنصب المتجنيقات فوق الجبال الشاهقة والتي تعلوها أسود الظلام، وصدرت الأوامر بصعود التلال والجبال من قبل الجند الأبطال التي ترمي السلاح بكل خفة وسهولة[٧٤] .

ولعل هذه كانت أول مرة يقوم فيها جيش سلجوقي بالمرور من هـــذه القناة المائية ، والوصول أمام القلعة ونصب راجمات الحجارة والحمـــم بمـــا يعادل مائة راجمة أمام أسوارها وحوائطها.

وبدأ الجيش السلجوقي يمطر القلعة بالحجـــارة والســـهام مـــن الـــبر والبحر. وعلي الرغم من حصانة وقوة الأسوار والحوائــط، وكـــون طبيعـــة القلعة تسمح لها بالدفاع ، وتوافر الحرس المسلح بالنبال والسهام الحـــادة ،إلا أن الجيش السلجوقي ظل صامدا أمام قوة الدفاعات والاســـتحكامات بســـبب حسن تخطيط السلطان علاء الدين كيقباد الذي أمر فرق جيشه بمهاجمة القلعة من جهة الجبال، فتسلق الرجال الجبال في خفـــة مثـــل النمـــور الكاســـرة، واستغرق حصار القلعة مدة شهرين ، استمرت خلالهما مقاومة الأعداء، وفـــي مقدمتهم حاكم القلعة كيرفارد[٧٥] الذي ورث القلعة عن آبائه وأجـــداده منـــذ زمن الاسكندر [٧٦] ،والذي كان حريصا علي عدم أضاعتها .إلا أن كيرفـــارد أدرك أخيرا أن ملكه وحكمه سيزول أمام قوة هذا الجيش الضخم الذي احتـــل الجبال والتلال والخنادق وتمكن من اخـــتراق التحصينـــات والاســـتحكامات ووصل الي القلعة العظيمة التي لم يستطع أحد قبل ذلك أن يصلها دون آلـــف مرشد ودليل، بينما استطاع هذا السلطان عبورها بجنوده مثل الريح[٧٧].

ظل كير فارد حاكم القلعة يفكر طوال ليلة كاملة في كيفية الدفاع عـــن القلعة فلم يجد مفرا من الصبر. ولما تيقن من عجزه عن مقاومة الحصـــار، أخذ يفكر في التسليم والخضوع. ودعا كير فارد أمراءه وأبلغهم بفقدانه الأمل في الإفلات من يد هذا السلطان الذي "بلغ أعالي النجـــوم وجـــانب طـــيران النسور [٧٨]، وهو يعني بذلك بلوغه أعالي الجبال وتمكنه من الأماكن العاليـــة الحصينة في القلعة هو وجنوده.

وهكذا فضل كيرفارد الصداقة مع هذا السلطان علي الحرب والعداء، فأرسل مبعوثا الي مبارز الدين أرتقش حاكم أنطاليه الذي كانت تربطه به صداقة الجوار، طالبا منه أن يكون سفيرا له للتوسط لدي السلطان علاء الدين كيقباد ليضمن له الاستسلام الآمن(٧٩) .

ووصلت الاخبار التي أفادت بتراجع حاكم القلعة كيرفارد عن المقاومة والدفاع الي السلطان كيقباد الذي كان قد رأي رؤيا تبشره بالنصر وتيسير فتح القلعة بتوفيق الله تعالي ، فبشر بها السلطان أمراءه وأمر بتوزيع الصدقات علي الفقراء الذين شاركوا في هذا الفتح(٨٠) .

وبينما كان مبارز الدين أرتقش يعرض حل المشكلة علي السلطان، ظهرت عليه علامات الرضا، وقبل رغبة وطلب كيرفارد (٨١) .وسارع مبارز الدين ارتقش بارسال مندوبه الي كيرفارد يطمئنه ويوصيه باختيار طريق الرضوخ والانحناء لفرمان السلطان ويدخل في معيته. فسر لذلك كيرفارد وارسل رسالة الي السلطان ورد فيها: (سلطان الدنيا؛ كما هو معلوم بأن هذه القلعة العالية كانت في أيدينا وأيدي آبائنا وكانت السبب في العداء والخلافات منذ أيام الملك دارا والملك خوشنك وكذا الاسكندر والقياصرة وهي من ممتلكاتنا الموروثة أبا عن جد. ولم يتقدم لفتحها ولم يخلف الله علي وجه الأرض أو في السماء مثلها، وقد امتلأت بكل أنواع الرزق والأطعمة والمؤن التي تستمر حتي يوم القيامة. ألا أن نظري حين يتجه نحو انتصاراتكم، يبدأ الفتور والوهن في الاقتراب من قلبي وجسدي وتتحول قوتي الي ضعف، ومن ثم فقد وجدت أن لا لزوم غير البحث عن مكان في إطار شمس السلطان، وإذا سمحت شفقتكم ورحمتكم التي شملت كل

الأطراف أن تعطي الأمن والأمان لروحي ومكانا أقضي فيه الأوقات في ديار السلطنة لسوف أكون شاكرا ويكون هذا عطفا كبيرا في حقي).

ويبدو أن السطان علاء الدين كيقباد أراد التأكد من صدق كيرفارد في عرضه فطلب من كيرفارد تقديم أحد أفراد عائلته لاثبات المودة والصداقة، فبادر كيرفارد بارسال إحدى بناته للخدمة في دائرة حريم السلطان، وتزوجها السلطان علاء الدين كيقباد واعتنقت الإسلام وأصبح اسمها "ماهبري خاتون [٨٢].

وفي مقابل ذلك الخضوع من جانب كيرفارد أمر السلطان بإقطاعه خمس قطع من أراضي القرى التابعة لايالة اقشهر في ولايه قونية، وأرسل سفيرا الي كيرفارد يبلغه بالفرمان الخاص بهذه المنحة [٨٣]

و في صباح اليوم التالي خرج كيرفارد من القلعة و اتجه إلى السلطان مقدما اعتذاره الذي أستمع إليه بكل شفقة و رحمة . وطلب كيرفارد من السلطان التفضل بتشريف و زيارة القلعة[٨٤] ، فدخلها كيقباد بأعلامه و راياته و أستقبله أهالي القلعة بنثر الذهب و الفضة .

و أثناء صعود السلطان للقلعة شاهد المساحات الزراعية الواسعة ، وصوامع الغلال التي لا نهاية لها ، إضافة الى مخازن الأسلحة و التجهيزات العسكرية ، فأخذ يتلو آيات الشكر و الحمد على ما أنعمه الله عليه من سهولة و يسر في فتح هذه القلعة المنيعة [٨٥]

متى فتحت كالونوروس (كوراكسيوم):

لم يحدد ابن بيبي في كتابه "سلجوقنامة" المفصل أو المختصر، وكذلك يازجي زاده في كتابه "تواريخ آل سلجوق" تاريخا لفتح قلعة كالونوروس. كذلك لم يذكره المؤرخ سمباد في تاريخ أرمينية الصغرى، وإنما ذكر أن كيقباد تزوج من ابنه حاكم القلعة كيرفارد بعد فتحها [٨٦]. وحدد ابن العبري فتحها في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م[٨٧]، بينما حدد في تواريخ آل سلجوق لمؤرخ مجهول في سنة ٦١٨هـ[٨٨]، والمعلوم أن السلطان علاء الدين كيقباد الأول قد تقلد الحكم في عام ٦١٦هـ ١٢١٩م. وقد درج المؤرخ ابن بيبي على ذكر صعود وتولي السلاطين الحكم أولا، ثم بعد ذلك يذكر تراجمهم ويعقب على ذلك أيضا بالحديث عن الغزوات والفتوحات. واتبع المؤرخ يازجي زاده هذا الترتيب مقلدا ابن بيبي. ويتفق الاثنان على ذكر جلوس كيقباد الأول على الحكم وترجمته ثم يتحدثان عن فتح قلعتي علائية وآلاره. وبعد ذلك أوردا عنوانا يتعلق بإنشاء قلاع قونية وسيواس من طرف رجال الدولة سنة ٦١٨هـ في أحداث سنة ٦١٨هـ /١٢٢١[٨٩].

وطبقا لرأي هذين المؤرخين فإن كالونوروس فتحت قبل إنشاء أسوار قونية وسيواس الذي تم في عام ٦١٨هـ وحدد بدايته كليمنت هيوارت في ٢٥ فبراير ١٢٢١[٩٠] ويذكر المولوي في صحائف الأخبار أن فتح آلاره تم في سنة ٦١٨هـ بعد فتح علائية[٩١].

ولعله من المناسب القول بأن الاحتمال الأقوى هو أن الحملة الموجهة ضد علائية كانت في شتاء (بداية) عام ٦١٧ هـ /١٢٢٠م[٩٢].

تسمية علائية:

يذكر يازجي زاده في سبب تسمية قلعة كالونوروس بعلائية أن السلطان علاء الدين كيقباد رأي أن يتم تشريف هذه القلعة بالاسم واللقب المبارك للمقام السلطاني فأصدر فرمانا سلطانيا بتحويل اسمها من كالونوروس إلى علائية [٩٣].

ويذكر المولوي أن السلطان سمي القلعة المفتوحة باسمه العلائية لكونها أول فتحه مع امتناعها علي آبائه [٩٤]

ويسميها أبو الفداء باسم "العلايا" فيقول : "العلايا بلدة محدثة أنشأها علاء الدين أحد ملوك الروم السلجوقية فنسبت إليه وقيل لها العلائية ثم حققها الناس وقالوا العلايا"[٩٥] . وبذلك تكون المدينة قد عرفت بثلاثة أسماء منذ فتحها في العصر السلجوقي وحتى الوقت الحالي وهي علائية ، علايا، علانيا .

تحويل علائية إلي ميناء إسلامي:

بعد أن سيطر علاء الدين كيقباد علي المدينة أصدر أوامره بهدم الكنائس وأنشأ مساجد وجوامع مكانها و أجري أوقافا خيرية لرعاية ذلك[٩٦].

كما قام علاء الدين بجلب الأهالي من رعايا الدولة السلجوقية وعمل علي تسكينهم في المدينة، ووطن فيها أصحاب حرف المعمار والبناء إضافة إلى العلماء وأهل المعرفة ،و سمح للتركمان بالتواجد داخل الأراضي الملحقة بأطراف المدينة وسوادها ." وحصنها بالرجال المستحفظين والسلاح وغير ذلك من اللوازم والمهمات [٩٧] .وبعد انتهائه من أعمال التوطين ، قام علاء الدين كيقباد ببناء أسوار جديدة للقلعة، كما أصدر أوامره ببناء قلعة علي

الصخرة الكبيرة المشرفة علي الساحل والمتحكمة فيه والتي كانت تمثل مكانا متميزا لصد تحركات أي غاز أو مواجهة أي أسطول بحري [٩٨].

إلا أنه يمكن القول أن أهم الأعمال التي أنجزت في عهد علاء الدين كيقباد في علائية هو إنشاؤه ترسانة بحرية كبيرة استخدمت احواضها لبناء السفن التي يلزم استخدامها في الهجوم علي جزر البحر المتوسط محاولة منه لإعاقة أية محاولات قد يقوم بها الصليبيون ضد سواحل بلاده، ولتدعيم قواته البحرية في خليج انطاليه [٩٩]. ولقد نجح علاء الدين كيقباد في جعل ميناء علائية ترسانة بحرية كبيرة تخدم الأسطول السلجوقي وذلك بفضل موقعها الحصين، ووفرة أخشابها والتي كانت من كثرتها تصدر إلى الإسكندرية ودمياط [١٠٠]. وأخيرا قرر علاء الدين كيقباد ادخال علائية كمركز لإمارة السواحل في أركان دولته تقديرا لأهميتها وبغرض السيطرة علي قلاع أنطاليه وعلائية معا [١٠١].

واستمر علاء الدين كيقباد في الاهتمام بعلائية بشكل مستمر ودائم حتى قبل وفاته بثلاث سنوات، تدل علي ذلك الكتابات التي وجدت علي الأسوار والآثار الداخلية لقلعتها والتي ذكرت اسم علاء الدين كيقباد وكتبت بين سنوات ٦٢٣ - ٦٢٩هـ / ١٢٢٦ - ١٢٣١م [١٠٢]، ولم يشغله عن علائية سوي انشغاله بحملاته في الولايات الشرقية ومناطق شمال العراق [١٠٣].

وهكذا ساعدت هذه الخطة علي توفير الأمن لثغر انطاليه وحماية السفن القادمة إليه من غارات القراصنة . أضف إلى ذلك ميزة أمنية أخري لهذا الموقع الجديد تتمحور حول حماية سلاطين السلاجقة وأبناءهم وأحفادهم

في حال وقوع أي هجوم من ناحية الحدود الشرقية • وهو ما يشير إليه يازجي زاده حين يذكر أن علاء الدين كيقباد أوصي بأنه في حالة وقوع هجوم قوي من جهة الشرق، وعدم مقدرة الحاكم أو أولاده أو أحفاده علي الصمود والمواجهة، أن يقوم البعض باللجوء إلى قلعة علائية والبعض الآخر إلى قلعة سينوب (١٠٤) .ويتضح من هذا أن السلطان علاء الدين كيقباد كان من خلال فتوحاته وأعماله يهدف إلى توفير الأمن والاستقرار لدولته بعد أن أدرك خطورة الوضع السياسي خاصة علي الحدود الشرقية لبلاده وكأنه يستشف ويتوقع أن تكون نهاية دولته ودولة أجداده عن طريق الغزو الشرقي •

ولم يكتف علاء الدين كيقباد في سبيل تأمين تلك المنطقة بفتح علائية وإنما عمل علي فتح قلاع أخري • فبعد إنشائه لحكومة قوية في علائية أخذ يضم كل القلاع المحيطة بها لزيادة تقويتها وتحصينها • وفي طريقة إلى أنطاليه بعد عودته من علائية لاحظ وجود قلعة آلاره، وهي قلعة متينة علي رأس جبل شاهق، وكانت أشبه باللؤلؤة بين الصخور المرمرية،و بجوارها نهر يجري فيه الماء في شكل جميل، وتحيط بالقلعة تلال وجبال صغيرة تقف مثل الحرس من حولها مما زاد في قوتها ومناعتها علي الغزاة • وكانت القلعة تخص أخا لكير فارد صاحب حصن كالونوروس وكان قد اعتزل الناس وترهب فيها • فارسل علاء الدين كيقباد أولا "فرقة" عسكرية تحت قيادة أحد كبار رجال الدولة يطلبون منه تسليم الحصن علي الأمان (١٠٥) . ويقول في الرسالة التي بعثها إلى حاكم آلاره: قبل شهر واحد فقط لم يستطع شقيقك ذو القدرة والشجاعة أن ينقذ قلعة كالونوروس من أيدينا فكيف

تستطيع أنت وحالك هذه الضعيف أن تحافظ علي هذا المكـــان [١٠٦]. فلتكــن رجلا عاقلا و أنسانا معتبرا من خطوب الأيام ٠ والأفضل لكم والحال كذلــك أن تطلب طريق السلامة، وإذا سلمت لعبيدنا القلعة مثلما حدث الأمر من قبـل مع أخيك، ستنال كل رغباتك ، علي أنك إذ خطوت خطوة تخـــالف الفرمـــان السلطاني سوف تنال العقاب المناسب لهذا التصرف الجاهل[١٠٧] ٠ وامام هـذا الموقف لم يكن أمام حاكم قلعة آلاره سوي المثول والخضوع وقبول التكليـف السلطاني ٠ ألا أنه لم يستطع تحمل هذه الهزيمة والانكسار، ووقـــع فريســة مرض القولنج الذي أصابه قبل أن يجيب رسل السلطان ، وأدي إلى قضـــاء نحبه[١٠٨]

وأضطر أصحابه من كبار رجال القلعة إلى تسليم القلعة إلـــى جنـد السلطان، وتم هذا الفتح في سنة ٦١٨ هــ تقريبا [١٠٩]. ثــم تـــابعت قـوات السلطان فتح قلاع وحصون أخرى في نفس المنطقة في زمن قصير ٠ وحيـن بلغ خبر فتح قلعة آلاره لمسامع السلطان علاء الدين كيقباد ابتـــهج وأمــر بإقامة موائد الطعام لعامة الشعب تعبيراً عن سروره بهذا الفتح العظيم ٠

وقد أحال علاء الدين كيقباد قلعة علائية إلى مســـتوي يليــق بقــوة ومقدرة وعظمة الدولة، وتمكن من زرع هيبتها في نفوس كل من تسول لـــه نفسه الخروج عن طاعة السلطان وكانت سياسته في هذا المجال ناجحة[١١٠].

ففي سنة ٦٢٧هــ / ١٢٢٩م٠ تلقي السلطان عـــلاء الديــن كيقبـاد رسالة من علائية أفادت أن حارس القلعة ينوي تسليمها إلى القبارصة .فـأنكر السلطان الفعل واعتبره خيانة وغدرا وعدم وفاء، وتوجه فـــورا علـــى رأس مجموعة من الرجال الى العلائية٠ ولما وصل العلائية ، جعل قدومه أمـــرا خفيا حيث أجريت تحقيقات سرية تبين علي أثرها أن الحارس قد قـــام فعـــلا

بذلك العمل الدنيء الخائن فتم تمزيق جسده قطعه قطعة وعلقت على أبـــراج القلعة ٠٠ وواجه نفس العقوبة كل من عاون حارس القلعة في فعلته المشـينة. وكان تصرف السلطان قد جعل من مصير حارس القلعة عبرة وعظة الملـوك السواحل اذا فكروا في خيانة الوطن (١١١).

بقي علاء الدين كيقباد في علائية فترة بدأت من مطلع الخريف حتـــى بداية الربيع، التقى خلالها بسفراء الدول والممالك المجاورة، كسياسة لإبـــراز القوة والرهبة لمن تسول له نفسه الخروج عن خط الصداقة وحسن الجـــوار٠ ففي نفس عام ٦٢٧هـــ / ١٢٢٩م استقبل السلطان علاء الدين كيقباد السـفارة التي أرسلها جلال الدين منكبرتي سلطان الخوارزمية ٠ وقد أفــرد المــؤرخ ابن بيبي صفحات في كتابه تتعلق باستقبال السلطان لتلك السفارة أوضح فيــها صعوبة الوصول إلى تلك القلعة الحصينة ومظاهر الحضارة التـــي أبرزهــا علاء الدين كيقباد في مدينته ومنها بروتوكول استقبال السفراء. يقـــول ابــن بيبي في هذا الشأن : "عبرت الهيئة المكونة للسفارة جبالا شاهقة، وشـــاهدت أهوالا لم تر مثلها في المنام ، ولما اقـــتربت، وصلـــت أخبارهـــا للســلطان، فأصدر أوامره بإعداد ركائب خاصة يترأسها الأمراء الكبار لتكـــون تحــت امرة الضيوف، كما أصدر السلطان تعليماته بتخصيص مكان ممـــيز لإقامــة البعثة ، وأقيمت موائد الطعام المصحوبة بالشرب والموسيقي والغنـــاء لمــدة خمسة أيام بهدف تخفيف حدة ومشقة الطريق الذي لاقته البعثة٠

وفي اليوم السادس صدرت الأوامر السلطانية للاميرين كمال الديـــن كميار وظهر الدين ترجمان بملاقاة أعضاء البعثة وتطييـــب خـــاطرهم وأن يتفضلوا بالحضور للسراي السلطاني٠ ولما قدم الوفد إلـــى قصــر علائيــة أصيبوا بالحيرة والدهشة نتيجة لمظاهر العظمة والروعة التـــي كـــانت بـــيا

سراي علائية، وبدون أرادة منهم وجهوا الوجوه نحو الأرض. وقام السلطان من مكانه نصف قيام تعبيرا عن التحية والاحترام. ثم قدم الوفد رسالته للسلطان عارضا الأخبار التي حملها ، وشارحا الأحوال الأخري. وعاد الوفد إلى مقر أقامته الخاصة بعد فترة استقبال السلطان، وتمتعوا بعدها بمظاهر الكرم والضيافة لمدة أسبوع . ثم عقد المجلس السلطاني في اليوم الثامن وحضره السفراء الذين استقبلهم السلطان في مجلسه وهو يلبس تاج السلطنه فوق رأسه ويجلس علي عرش مصنوع من الذهب المزيس يسمى "جمشيد آتي" (١١٢).

وهكذا يتضح أن اهتمام علاء الدين كيقباد بعلائية لم يكن مقصورا علي النواحي العسكرية فقط، بل اهتم بإبراز ملامحها الحضارية أيضا . فعمل علي تحويلها إلى مشتا رئيسيا له ولأركان دولته. وكان حريصا علي قضاء أكثر أوقاته بها خاصة شهور الشتاء بين الصيد والمرح والراحة والاستجمام خاصة عند انقضاء أوقات الحروب والظروف الطارئة (١١٣).

كما قام بتنفيذ العديد من أعمال التعمير والبناء وتزيين السرايات والقصور الرائعة في أماكن عديدة وجميلة مثل شكرخانة، وخاص باغجة، وأوبا، وجلفشان Gulefsan, Oba, Hasbahce, Sekerhan (١١٤)

وكان بقلعة علائية قصرا أو سرايا كبيرا تتسع لعقد اللقاءات والتشريفات الكبيرة والضخمة. ويذكر أبن بيبي أن كيقباد قد أنشأ ١٢ بابا في علائية وكان لهذه المدينة أبراجا علي نفس نمط قلعة قونية. كما يشير بيوفيه Beauvais أن خزائن السلطان كانت في هذه المدينة (١١٥) . ولم يقتصر بناء القصور وتشييد المنازل علي السلطان بل قام به أيضا الأمراء وكبار رجال الدولة والقادة(١١٦) .

وعلي هذا الشكل أمكن ظهور ميناء بحريا ثانيا للتصدير والاستيراد بجوار أنطاليه علي البحر الابيض المتوسط علاوة علي كونه قاعدة عسكرية بحرية أيضا.

علائية فى كتب الرحالة

(١) يذكر ابن بطوطة وهو من رحالة القرن الرابع عشر الهجري عند زيارته للعلايا " أنها أول بلاد الروم وأنها مدينة كبيرة علي ساحل البحر يسكنها التركمان وينزلها تجار مصر والاسكندرية والشام وهي كثيرة الخشب ومنهما يحمل إلى الإسكندرية ودمياط، ويحمل منهما إلى سائر بلاد مصر، ولها قلعة بأعلاها عجيبة منيعة، بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومي" [١١٧].

(٢) وقد ظهرت علائية لأول مرة في خريطة علي يد التاجر الشهير "بيري رئيس" في أطلسه الخاص بالبحر الابيض والذي بدأ كتابته في عام ١٥٢١م وأكمله في عام ١٥٢٣م وأهداه إلى السلطان سليمان القانوني. وعرف باسم "كتابي بحرية" Kitabi Bahriye ومدح فيه "بيري" رئيس الترسانة والميناء البحري، وبين خطورة هذا المكان وقت هبوب الرياح [١١٨].

(٣) وفي عام ١٦٧٢/٧١م جاء الرحالة "أولياجلبي" إلى هذا المكان، وذكر أنها عبارة عن المدينة الرئيسية للسنجق ويديرها حاكما "أحد الباشوات" مرتبطا بمحافظة "أضنة" [١١٩]، وأن هذا المكان كان مهجورا ويقع داخل السنجق وهو عبارة عن قرية صغيرة تتراوح بيوتها بين ستين إلى سبعين بيتا، وقد فقدت جمالها ورونقها وأهميتها القديمة. ويذكر أولياجلبي أن قلعة علائية أخذت مكانا مستقلا تماما عن المدينة التي تقع في أحضان الجبل ويقع في داخلها قلعتان للدفاع عنها، هما "اتشي قلعة" و"أحمدك". وقد بنيا بشكل

يسمح بالدفاع والصمود لمدة طويلة من الزمن، وتم تأمين أسوارها بصهريج ضخم من الماء، ويذكر اولياجلبي أيضا أن من محاصيلها القطن والحرير والسمسم [١٢٠]، واعتبرت علائية في عهد أولياجلبي منطقة عسكرية يحظر دخول المدنيين إليها .وفي العصر الحالي تكمن أهمية دراسة مابقي من آثار علائية سواء دار الأسلحة البحرية أو التحصينات الدفاعية على أنها مثالا ونموذجا للتحصينات السلجوقية التي اندثر معظمها[١٢١] ،

الوصف المعماري لقلعة علائية وتحصيناتها:

تجدر الإشارة إلى أن معظم الآثار الموجودة اليوم في علائية ترجع لعهد علاء الدين كيقباد ومن أهمها القلعة ذات الخمسة أبواب المطلة على البحر والتي تتكون من ثلاثة أقسام داخلية، وكذلك مبنى الترسانة البحرية ذات العيون الخمسة، وسقفها ذا القناطر [١٢٢] ، تقع قلعة علائية فوق صخرة جبلية يزيد ارتفاعها أكثر من ٨٠٠م، وللصخرة نتوء وبروز ممتد من ناحية البحر في الاتجاه الجنوبي، ويقل ارتفاع الصخور الهابطة إلى البحر من ناحية الجنوب والغرب في شكل حاد حتى يصل إلى ارتفاع ٢٦٠ م [١٢٣]،

أما من ناحيتي الشرق والشمال فإن ارتفاعاتها تنخفض لتصل إلى مستوي البحر. وعن النتوء والتل الواقع في الجنوب الغربي، فإنه يبدأ من مستوي منخفض جدا ويتجه من ناحية البحر بامتداد ٣٠٠م. وهناك قرية تقع في القسم الشرقي كانت عبارة عن ميناء في العصور السلجوقية مثلما كان حالها في العصور القديمة وتمتد في البر لتغلق النصف الجنوبي للنتوء. كما أن القرية محاطة بأسوار اتشي قلعة (القلعة الداخلية) التي تقع في أعلى نقطة من الصخرة،

أما "قيزيل قلعة " (البرج الأحمر) التي تتحكم في الميناء من جهة الشمال- وهي من الأبنية القديمة التي أنشئت في البداية -فإن أسوارها المبنية علي شكل مثمن كبير، تعتبر من أهم الأجزاء الملفتة للنظر. وانشئ خط الدفاع على شكل متعرج يبدأ من قيزيل قلعة ويتجه إلى الغرب وفي نهاية الخط بنيت قلعة علي طراز العصر الهليني القديم، وترتبط بالمجموعة الإنشائية المسماة "أحمدك" (١٢٤) .ويقع خلف هذه المجموعة تل صخري ينحدر ناحية البحر بشكل حاد . أما الأسوار المحيطة فهي تتجه ناحية الجنوب وتعود لترتفع ناحية اتشي قلعة ، وجهة الميناء مارة من جوار الصخور الموجودة في الجهة الجنوبية لكتلة الصخور الكبيرة.

ويمكن تفسير وجود الأسوار ذات الفتحات المستخدمة في إطلاق النيران بالأجزاء الجنوبية الغربية والجنوبية على أنها بهدف تقوية الاستحكامات الدفاعية(١٢٥) .

وتكون الأراضي الواقعة بين قلعتي فيزيل قلعة وأحمدك مسرحا يسهل عملية صد الهجمات البرية. وقد تعرض هذا الجزء للضرر كثيرا وهو الأمر الذي دفع رجال البناء والمهندسين في عصر علاء الدين كيقباد للاهتمام بتهيئة وتجهيز هذه الأراضي بشكل هندسي جيد . فأضيفت أسوار ملتفة خارج السور، كما حفر خندق في إطار الخط الدفاعي للمكان ،ويوجد في هذا القسم بابان أو مدخلان أساسيان ، وهما باب القلعة أو الباب الأساسي الموجود في القمة والباب الأوسط الذي يقع في الأسفل(١٢٦) .

وتمثل إنشاءات الميناء اليوم أهم الآثار الشامخة التي ظلت باقية على مر العصور، ومن أهم إنشاءات الميناء قيزيل قلعة الترسانة.

فيزيل قلعة (البرج الأحمر) : ٦٢١ هـ / ١٢٢٤م:

توفر للسلاجقة خلال حروبهم المتعددة الفرصة للاستفادة من مناعة الحصون السرية لذلك سارع كيقباد الأول باختيار معمارا سوريا ليكون مسئولا عن الإنشاءات التي قام بها في علائية وفي سينوب. فقد تطلبت وسائل الدفاع الجديدة في علائية توسيع التحصينات الموجودة وتطوير الميناء. واحتاج التنظيم الجديد إلي إقامة برج ضخم في زاوية الحصن عرف باسم "فيزيل قوله" أو "البرج الأحمر" للمحافظة علي حوض السفن الكبير،و ليكون في نفس الوقت مركزا للأسوار الجديدة التي تتجه نحو التل المجاور الذي تتصل قمته مع القلعة التي كانت موجودة حينذاك ثم تنحدر نحو البحر[١٢٧] .

وقد بني هذا البرج المثمن الجوانب الرائع المنظر حول دعامة مركزية استعملت أقسامه العليا كصهاريج للمياه . وتضمن البرج خمسة طوابق، الطابق الأرضي والطابق الأول، ثم الطابق الوسط المخفي والطابق العلوي الذي يضم الحائط ذا الأبواب ، ثم يأتي السطح ذو الستائر المنسقة تنسيقا منظما والذي يختلف تصميم بعضه عن البعض الآخر.وتم تقسيم الفراغ الموجود داخل الجدران الجديدة إلى ستة أقسام. وتم بناء هذا البرج من الطوب الأحمر المحروق لذلك عرف باسم البرج الأحمر .

الترسانة:

كان من أهم أقسام هذا التصميم حوض السفن أو ما يعرف باسم الترسانة الذي أنشئ في الجهة الجنوبية من الميناء، وحفر له نفق في الجرف علي عمق ٢٦٢ قدم، واحتوي عرضه البالغ ٣١٨ قدما علي خمسة دهاليز مسقفة.

وكان شكل هذه الأروقة التي كونت الدهاليز كحدوة حصان، صنعت سقوفها من الآجر، وترك وسطها فارغا لتتمكن السفن الكبيرة من الاختفاء فيها وكذلك من أجل بناء سفن بصورة سرية داخل هذا الملجأ. وبنيت الواجهة من أحجار متينة منحوتة مربعة الشكل وضعت بعناية دقيقة[١٢٨]

أحمدك:

أطلق على السور الموجود في القسم الشمالي من الصخرة العالية اسم "أحمدك" نسبة إلى أحد المعماريين الذين عاشوا في العصر السلجوقي.

وقد أنشئ هذا السور على انقاض وجدران من العصر الهليني، قبل عصر السلاجقة، وجاء هذا الجزء المعماري على شكل استحكامات دفاعية كل استحكام يتضمن ثلاثة أبراج. فكان عبارة عن مجموعة برجية تتداخل فيما بينها بحوائط ضخمة. وقد أحيطت هذه المجموعة الانشائية المعمارية غير المنسقة بمحلات سكنية بنيت في العصر السلجوقي[١٢٩]

خان آلاره : ١٢٣١ - ١٢٣٢ /٦٢٩ هـ:

وخان آلاره الذي لايزال موجودا الآن داخل حدود علائية يرجع أيضا الي عهد علاء الدين كيقباد الاول علاء الدين كيقباد وهو ما تثبته النقوش الكتابية[١٣٠] . ويقع هذا الخان على نهير آلاره الذي يصب في البحر الأبيض ،وترجع أهميته الي أنه كان يمثل أول استراحه على طريق القوافل القديم بين علائية وأنطاليه وقونية. وطبقا للنقوش والكتابات الموجودة علي ماتبقي من أسوار وحوائط لهذا الخان، فان بناءه قد تم علي يد السلطان علاء الدين كيقباد في عام ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م [١٣] .

ولما كان هذا الخان قد أقيم بناء علي رغبة السلطان نفسه فقد كانت خطة بنائه مختلفة عن بقية خانات السلطان الأخرى،فقد كانت خانات السلطان تبنى علي شكل أفنية مفتوحة، وصالات مغلقة علي عكس هذا الخان الذي جاء علي شكل مربع قائم الزوايا، وجمع بين القسم المغلق والمغطي وبين الفناء المفتوح(١٣٢) . وفناؤه ضيق (٥×٢٧م) ومحاط بغرف مفتوحة وأخري مقفولة. والغرف الأربع التي تلي المدخل وتقع علي جانبي الفناء لها دهاليز توصلها بممرات طويلة تمتد الي الخلف، نحو حظائر الجياد (الإسطبل). والي يسار المدخل يوجد سلم يوصل الي مصلى صغير، ويغطيه قبو مستعرض مزخرف وبه فتحه في وسطه . ولاوجود لزخارف أخري سوي سباع محورة تقوم مقام الكوابيل، وتجئ فوق الإطار الكتابي الذي يعلو المدخل. وتوجد كذلك كوابيل مماثلة علي الدعامات التي في داخل البهو(١٣٣). . ويمثل خان آلاره مجموعة مختلفة عن نماذج أماكن الاستراحات بالأناضول، وهو أفضل النماذج الأثرية التي تعبر عن هذه المجموعة الهامة من الخانات(١٣٤) .

ويقال أن سبب بناء خان آلاره بشكل مختلف عن خانات عصره ان السلطان علاء الدين كيقباد كان يستريح فيه هو ومعيته أثناء رحلاته ومن ثم فقد أنشئ علي هذا الطراز خصيصا للسلطان .وقد بني الخان من الحجارة المقطوعة علي أحجام كبيرة صلده منتظمة الشكل (١٣٥) واستخدمت الحجارة الصغيرة في الأجزاء المطلة علي الجبال(١٣٦).

النقوش الكتابيـــــــــة:

يذكر أن الرحالة "اولياجلبي" هو أول من تحدث عن الكتابات العربيـــة الموجودة في قرية أوبا بعلائية، وأن "خليل أدهم بك" هو اول من تناول تلـــك الكتابات بأسلوب علمي [١٣٧]، ولازالت الدوائر العلمية لليوم تـــأخذ بالتقســيم الذي أورده ماكس فان برهم Max van Berchem بالنسبة لنوع الخط المســتخدم في كتابة تلك النقوش، وهو التقسيم الذي يدور حول وجود نوعين أساســـيين لكتابات سلاجقة آســيا الصغـــرى، وأن الكتابـــه ذات الحـــروف المنتظمـــة والمستديرة ذات العمق والحجم الكبير هي نوع خط النسخ الأيوبـــــي، أمـــا الحروف غير المنتظمة والضيقة والرفيعة ذات الطول فهي تنتمي الـــي خـــط النسخ السلجوقي، ويلاحظ في أسطر كتابتها أنها متبـــاعدة ومنفصلـــة عـــن بعضها البعض [١٣٨]، وقد تعددت تلك الكتابات في كافة أنحاء علائية وكـــان اهمها موجود في منطقتي البرج الأحمر والترسانة، وتنوعت ما بيـــن خـــط النسخ السلجوقي، وخط النسخ الأيوبي.

ونظرا لأهمية النقوش الكتابية في كتابة الحقائق التاريخية، التعـــرف علي المنجزات المعمارية والمظاهر الحضارية للدول التي ترجـــع اليـــها أو التعرف علي الاشخاص الذين قاموا بكتابتها أو السلاطين والأمـــراء الذيـــن تبرعوا لتنفيذها، سنلقي الضوء علي اهم النقوش الكتابية - وليـــس جميعـــها - في علائية، سواء تلك التي كتبت بخط النسخ الأيوبي، أم بخـــط النســـخ السلجوقي.

أولا: النقوش الكتابية بخط النسخ الأيوبي في منطقة البرج الأحمر (فيزيل قلعة):

من الممكن قراءة ثلاث كتابات فقط من الكتابات الموجودة في البرج الأحمر (فيزيل قلعة) وهي تحتوي علي قدر جميل من الزخرفة والزينة،

وتعتبر الكتابة الموجودة في المدخل الرئيسي للقلعة هي الأجمل من الناحية الهندسية ويعتبر إطارها من الآثار النادرة ، وقد حفرت في الحائط بعمق يتراوح بين ١-٢ سم وبميل هندسي يحفظها من مياه الأمطار ، ويأخذ نفس نوع الإطار الرائع الجميل مكانه أيضا علي باب الترسانة، ولقد استخدم الطوب الأحمر في بعض الإطارات الكتابية لعمل حافة بارزة حول الإطار تأخذ كل المثلث لمواجهة الأمطار ، أما الانحناءات الموجودة في الإطار فقد استخدمت في غاية الدقة والاهتمام[١٣٩] .

ومن الكتابات التي كتبت بخط النسخ الأيوبي لوحة من سبعة أسطر وضعت في الطرف الجنوبي للبرج الأحمر[١٤٠] وهي كالتالي:

١- أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم ملك رقاب،

٢- الأمم سلطان سلاطين العالم حامي بلاد الله حافظ عباد الله علاء الدنيا

٣- الدين غياث الإسلام والمسلمين محي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين.

٤- ظل الله في الارضين جلال الدولة القاهرة مغيث الامة الباهرة محي العدل والانصاف

٥- سلطان البر والبحرين [١٤١] كهف الثقلين [١٤٢] محرز الخافقين [١٤٣] تاج آل سلجوق سيد الملوك.

٦- والسلاطين أبو الفتح كيقباد بن كيخسرو بن قلج ارسلان برهان أمير المؤمنين [١٤٤].

٧- خلد الله سلطانه في (غرة) ربيع الآخر سنة ثلث وعشرين وستمائة.

وهناك كتابة وردت في الجهة الشمالية من فيزيل قلعة (البرج الأحمر) وهي مكتوبة بخط النسخ الأيوبي علي أربعة أسطر [١٤٥] وهي:

١- أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا االسلطان المعظم شاهنشاه الأعظم.

٢- مالك رقاب الامم سلطان البر والبحرين علاء الدنيا والدين أبو الفتح.

٣- كيقباد بن كيسخرو بن قليج أرسلان برهان أمير المؤمنين خلد الله

٤- سلطانه في غرة ربيع الأخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

وهناك كتابة تحتل موقعا في جنوب المدخل الوحيد الواقع في الشمال الشرقي للبرج الأحمر (قيزيل قلعة) وتحتوي علي اسم المعماري، وهي أيضا بخط النسخ الأيوبي بمقاس ٥٠×٥٠ سم وكتبت علي ثلاثة أسطر [١٤٦] وهي:

١- عمل أبو علي بن أبي

٢- الرخا بن الكتاني

٣- الحلبي رحمه الله [١٤٧].

وهذه هي الكتابة الوحيدة الموقعة لمعمارى في علائية، وهـي تؤكـد أنه كان من سورية ولكنه لم يكن السوري الوحيد الذي استخدمه السلاجقة في أعمالهم البنائية المعمارية.

ومما يلاحظ علي الكتابات في علائية إن الكتابة الموجودة في قيزيل قلعة متفوقة علي جميع الكتابات الموجودة في بقية علائية من ناحية المهـارة اليدوية والشكل.

ثانيا: النقوش الكتابية في منطقة الترسانة:

أما الكتابات التي وجدت في علائيـة والتـي كتبـت بخـط النسـخ السلجوقي البارز فمنها لوحة كتابية موجودة في المدخل الشـمالي للترسـانة البحرية وهي مكونة من خمسة أسطر وتحتوي علي توقيع السـلطان، وهـو يزيد في السطر الأول من اللوحة ويتخذ مكانه داخل كمرة أو اطـار رقيـق رفيع. وهناك خط تحت كل سطر(١٤٨). وهذه الكتابة كالتالي:

١- المنة لله

٢- السلطان الاعظم شاهنشاه

٣- المعظم علاء الدنيا والدين أبو

٤- الفتح كيقباد ابن كيخسرو ابن قلج

٥- ارسلان قسيم أمير المؤمنين(١٤٩)

وهناك لوحة كتابية تتخذ مكانها فـي الطـرف الشـمالي للترسـانة البحرية، وهي بخط النسخ السلجوقي ومكونة من خمسة أسطر (١٥٠) كالتالي:

١- المنة لله

٢- السلطان

٣- المعظم علاء الدنيا والدين سلطان البر والبحرين

٤- ابو الفتح كيقباد بن كيخسرو برهان أمير المؤمنين

٥- في سنة خمسة وعشرين وستمائة.

وفي الجهة المطلة علي البحر في شرق الترسانة ، توجد لوحة كتابية كتبت بالخط السلجوقي من نوع النسخ[١٥١] ، مكونة من أربعة أسطر وهي:

١- نصر من الله وفتح قريب

٢- السلطان

٣- الاعظم علاء الدنيا والدين سلطان البروا

٤- لبحرين ابو الفتح كيقباد برهان أمير المؤمنين

في سنة خمس وعشرين وستمائة.

وفي الجزء الشمالي من البرج الصغير الواقع بين الترسانة ومخزن السلاح تقع لوحة كتابية مكونة من أربعة أسطر وبخط النسخ السلجوقي البارز[١٥٢] وهي:

١- في أيام السلطان المعظم

٢- علاء الدنيا والدين ابو الفتح كيقباد بن

٣- كيخسرو برهان أمير المؤمنين في شهر

٤- الله صفر ختم بالخير سنة وستة وستمائة.

وهناك كتابات أخري كتبت بخط النسخ السلجوقي في مناطق متفرقة من علائية تحدث عنها بإسهاب وتفصيل سيتون للويد وستورم رايس في كتابهما (علائية) وكذلك إبراهيم قونيلي في كتابة "علائية" .وفي إلقاء الضوء

علي بعض تلك الكتابات والتي نقشت في سنوات متفرقة ما يؤيد القول الذي سبق ذكره من أن الكتابات التي وجدت علي الأسوار والآثار الداخلية لقلعة علائية والتي ذكرت اسم علاء الدين كيقباد وكتبت بين سنوات ٦٢٣ - ٦٢٩ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٣١م تثبت استمرار علاء الدين كيقباد في الإهتمام بعلائية بشكل مستمر ودائم حتى قبل وفاته بثلاث سنوات .

فهناك نموذج كتابي موجود في الجبهة الشمالية للبرج الأساسي الموجود في أحمدك ومكتوب بخط النسخ السلجوقي علي ثلاثة أسطر[١٥٣] وهي:

١- السلطان المعظم علاء

٢- الدنيا والدين كيقباد بن كيخسرو

٣- .... تاريخ (؟) سنة أربع وعشرين وستمائة .

ولعل هذه الكتابة هي الأجمل من حيث الكتابات الموجودة في علائية خاصة جملة "كيقباد بن كيخسرو" كتبت بشكل جميل وبلا عيوب[١٥٤] . ومن الكتابات الأخرى في علائية والتي تعود لعهد علاء الدين كيقباد كتابة تأخذ مكانها علي سقف الصهريج الكبير للقلعة حيث استخدمت فيها قطعة كبيرة جدا وهي أربعة أسطر، وكتبت بخط النسخ السلجوقي كالتالي:

١- السلطان (الاعظم.....)

٢- علاء الدنيا والد (ين ابو الفتح كيقباد)

٣- بن كيخسرو بن قلج أ (رسلان قـ) (سيم أمير المؤمنين)

٤- في تاريخ سنة تسع وعـ(شرين وستمائة علي يد العبـ(ـد)

والكتابة الموجودة علي باب خان آلارا مكتوبة بخط النسخ السلجوقي في ستة أسطر، وهي تثبت ان بناء هذا الخان يرجع لعهد السلطان علاء الدين كيقباد الأول.

١- العظيم (Sic) شاهنشاه المعظم مالك رقاب٢٠- الامم سيد سلاطين العرب والعجم سلطان

٣- الحق كشور كشاي جهان سلطان البر

٤- والبحر والروم والشام والأرمن والفرنج

٥- علاء الدنيا والدين كيقباد بن كيخسرو بن

٦- قلج أرسلان برهان أمير المؤمنين في التاريخ سنة تسع وعشرين وستمائة[١٥٥] .

وهكذا يتضح من خلال الوصف المعماري لمنشآت السلاجقة في علائية وما كتب عليها من نقوش روعة وتقدم الفن المعماري السلجوقي في بناء القلاع والأسوار والتحصينات العسكرية، كما أثبتت النقوش بما لا يدع مجالا للشك عظمة عصر السلطان علاء الدين كيقباد ورفعة مكانته بين سلاطين العرب والعجم بما تمتع به من ألقاب سلطانية تدل علي الرفعة والعزة والسيادة.

خاتمـــــــــــــــة

كان أهم ما توصل اليه البحث من نتائج وحقائق هامة هي:

(١) يرجع تأخر الفتح الاسلامي لحصن كالونوروس الي عهد عـــلاء الديـــن كيقباد الأول بسبب ما تمتع به الحصن من موقع الحصين إذ يقع فـــي بقعـــة محمية تحيط بها القلاع والجبال أتخذها القراصنة مقرا لأوكارهم.

(٢) كان فتح علائية في سنة ٦١٧ هـ ـ ١٢٢٠١م أول فتح يقوم به الســـلطان علاء الدين كيقباد الأول بعد توليه العرش، وكانت الخطوة الأولي نحو تحقيق الانتصارات المتوالية في سبيل توسيع حدود السلطنة وتوطيد نفوذه.

(٣) يدل نجاحه في تنفيذ هذا الفتح – الذي غفل عنه أسلافه – بيسر وســـهولة علي الرغم من حصانة المنطقة ومناعتها، علي حسن تخطيطه وتفوق جيوشه في مدي القوة والاستعداد.

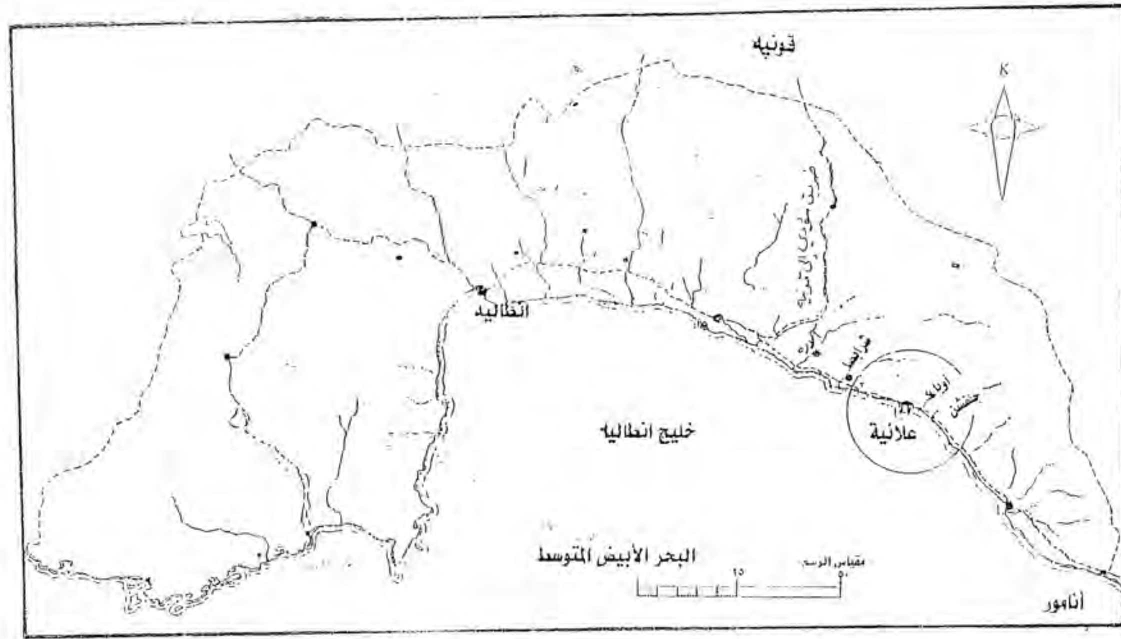
(٤) حقق هذا الفتح الحماية لثغر انطالية و آمده بما يحتاجـــــه مـــن قـــوات، وساعد في حماية السفن القادمة اليه من غارات القراصنة.

(٥) توافر للسلاجقة نتيجة هذا الفتح مشتي يتمتعون بدفئه في فصل الشـــتاء هربا من صقيع الأناضول. كما أتخذوه ملجأ آمنا للهاربين والمطاردين مـــن أبناء سلاطين السلاجقة وقت الأزمات.

(٦) أهم ما حصلت عليه السلطنة السلجوقية من جراء فتـــح علائيـــة تلـــك الترسانة الضخمة التي صنعت في أحواضها أحسن أنواع السفن بسبب توافـــر الخشب مما هيأ للسلطنة أسطولا بحريا ضخما.

(٧) تميزت علائية أيضا بمنشآتها الدفاعية الحصينة الأخرى التي حـــرص علاء الدين كيقباد علي إنشائها خلال السنوات من ٦٢٣ – ٦٢٩ هـ والتـــي

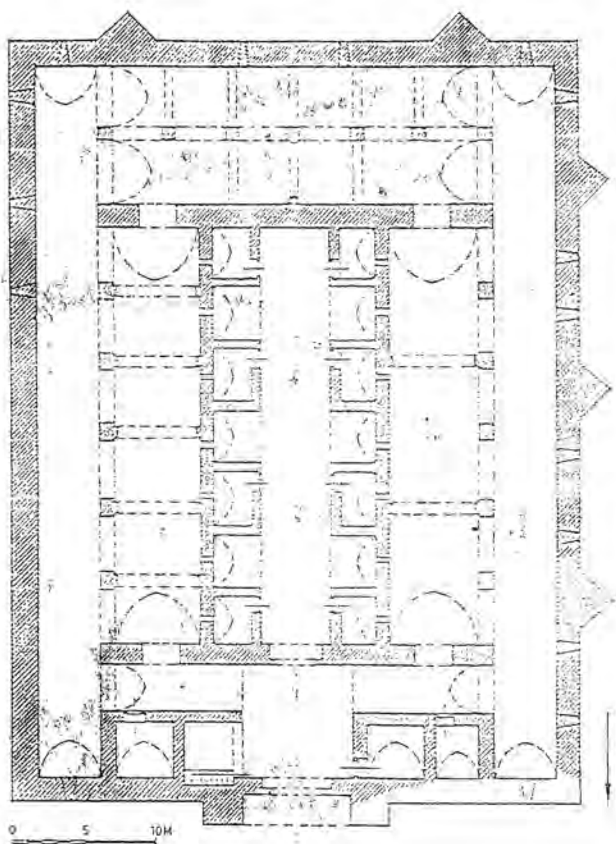
كان أهمها البرج الأحمر – والترسانة – وأحمدك ، وهـــي المنشـــآت التـــي لازالت أثرا ونموذجا منفردا لدراسة التحصينات السلجوقية، وما كتب عليـها من نقوش أثرية ألقت الضوء علي تلك الفترة التاريخية الهامة مـــن عصـــر علاء الدين كيقباد السلجوقي.



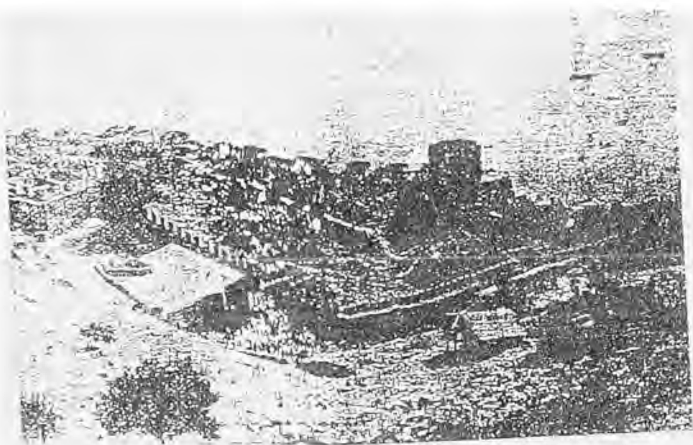
خريطة لمنطقة علائية خلال العصر السلجوقي ونلاحظ مواقع آلارا وشرابصا وأوبا وجلنشن حيث كانت تعبر عن مظاهر العمران في الدولة السلجوقية نقلاً عن

SETON LLOYD VE D. STORM RICE ALANYA, ANKARA, 1964

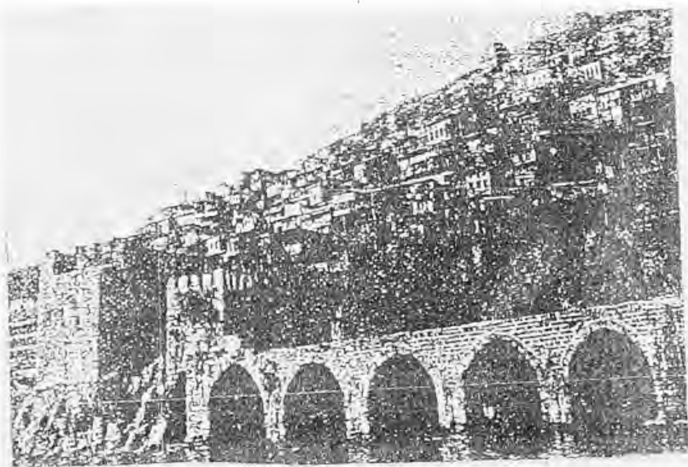
رسم كروكي لأسوار وقلاع علائية   خلال عهد السلاجقة والقرمانيين نقلاً عن : M. MESUD KOMAN : KARAMAN OGULLARI
TARIHI, YENI KITAP BASIMEVI, KONYA 1966, P 55



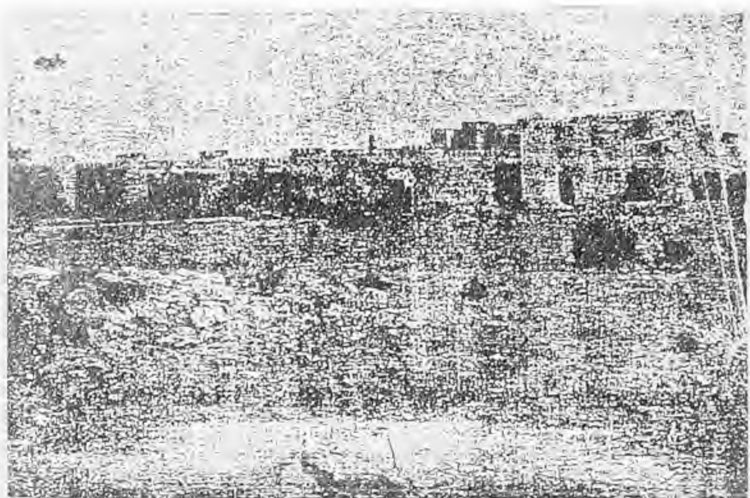
تخطيط خان آلاره



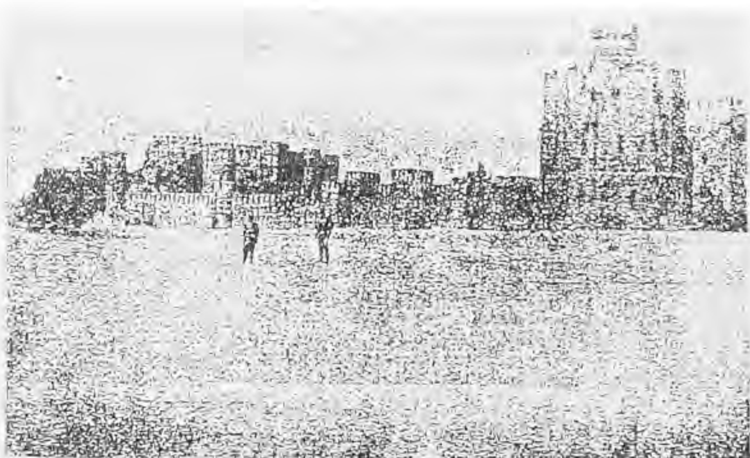
منظر لقلعة وميناء علانية



الترسانة السلجوقية في علانية



منظر لابراج القلعة الداخلية والخارجية



منظر من شاطئ البحر للابراج

الهـــوامـــش :

(1) - Islam Ansiklopedisi, cilit MEB, Istanbul, 1965, P 286,287

(٢) أبو الفدا: تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨١٤م، ص ٣٨٢ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٦٧، ترجمـــة ،الاب اســحاق رملــة ، بيروت ، دار المشرق ش م م . ١٩٨٦م.

(٤) سترابون : جغرافي يوناني، زار مصر ســنة ٢٥ ق.م، وقـام بزيـارات عديدة لبلاد الشرق، وعرف بدقة الملاحظة، والاعتماد على السلطان الرسمي فـي البلاد لجمع المعلومات.

(٥) أماسية : مدينة تركية تقع شرقي سنوب مشهورة بالبساتين يجري بها نهر أماسية، وهي من مدن الحكماء ، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٨٣ .

(٦) - Strabon - XIV - P 668

(٧) - Ibrahim Kouyali Alany a (Alaiyye) Istanbul, 1946, P 49

(٨) - Ibrahim Kouyali : Alanya . P. 58.59

(٩) Ramsay (W.M): The Historical Geography of Asia Minor - P. 450

(١٠) كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ، مؤسسة الرسالة، بـيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ ، ص ١٧٥ .

(١١) Garo kurkman and Omer Diler: Alayiye paralari, P. 122

- Islam Ansiklopedisi - cilt - MEB .P. 286

(١٢) Seton lloyd and storm rice: Alanya P. 1

(١٣) يازجي زاده علي : تواريخ ال سلجوق

(١٤) المولوي: صحائف الأخبار في وقائع الامصار ، مخطوط ،مكتبـة أحمـد الثالث، اسطمبول ، رقم ١٢٥٤، ورقة ٧٨ أ.

(١٥) خليل أدهم : قيصرية شهري ، ص ٤٥، ٤٦ .

(١٦) Turklrinatarihi umunisi, cilt 7, P. 373

(١٧) IBRAHIM Konyali: Alanya - P 59

(١٨) - Sempad (R, Hist. Croisades Docum - Armeniens) P. 945

(١٩) في الواقع أن حرف S كان يوضع أحيانا أمام بعض الاسماء الخاصة فنري مثلا أطاليا تذكر أحيانا Ataleia وأحيانا أخري

Satalia ، انظر IBRAHIM Konyali : Alanya, P. 59

(٢٠) تاريخ آل سلجوق لمؤلف مجهول نشره فريدون نافز اوزلك باسم Anonim وهو

An Dolu Selguklulari Devlet Tambl, III Ankara, 1959 , P 45

(٢١) - Strabon , XIV , P 668

(٢٢) يذكر سيتون ورايس أن هذه المدينة القديمة كانت تعتبر في بعض الاحيان تابعة لقيليقيا وفي بعض الاحيان الاخري كانت تتبع منطقة بامفيليا ،

(٢٣) Strabon, XIV , P 668

(٢٤) Islam Ansiklopedisi - cilt - MEB , P. 286 - 287 , Istanbul - 1965

(٢٥) Strabon, XIV , P.668

(٢٦) Setton and Storm: Alaya, P.1

(٢٧) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye paralari , P. 122

(٢٨) مملكة بنطس ومركزها شمال شرق الأناضول – وهي دولة آرية متفرعة عن المملكة الفارسية القديمة الأولي التي حكمت من ٣٣٧ – ٦٣ ق٠م وملوك مملكة بنطس هما الملك متريدات السادس (١٢٢-٦٣) والملك فارناسيس (٦٣-٤٧ق٠م)، أنظر فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الارمني، ص ٤٥٩ ٠

(٢٩) Garo Kurkman and Omer Diler : Alaiye paralari; P. 122

(٣٠) Garo Kurkman and Omer Diler : Alaiye paralari; P. 122

(٣١) Seton and Storm: Alaya, P. 1

(٣٢) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني (عصر الثورة) ، ص ٥٦ ، ص ١٢٣، ١٢٤، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م.

(٣٣) عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني ، ص١٢٥ .

(٣٤) عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ الروماني ، ص ١٢٣ .

(٣٥) Garo Kurkman and omer diler: Alayie Paralari, P. 123، استخدم الاتــراك فيما بعد هذه الأحجار لاعادة بناء قلعة كوراكسيوم.

(٣٦) عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ الروماني، ص ١٢٦ .

(٣٧) فاروق محمد عز الدين : القدس تاريخيا وجغرافيــا، ص ٢٣،٢٤، مكتبــة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨١م.

(٣٨) Seton and Storm: Alaya, P2

(٣٩) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye Paralari, P. 123

(٤٠) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye Paralari, P. 123 / فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٩

(٤١) فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الآرمني، ص ٣٩ .

(٤٢) Seten and starn: Alaya, P2

(٤٣) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye Paralari, P. 123

(٤٤) أنظر عن فتح قبرص في عهد معاوية بن أبي سفيان : البلاذري - فتوح البلدان / الطبري: تاريخ الامم والملوك/ ابراهيم العدوي : الامويين والبيزنطيين، ص ٨٨-٩٣ .

(٤٥) Seton and Storn: Alaya, P.2

(٤٦) المولوي ، صحائف الاخبار ، ص ٥٧٨ أ.

(٤٧) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye, P. 123

(٤٨) المولوي: صحائف الآخبار ، ص ٥٧٨ أ.

(٤٩) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye , P. 126

Osman Turan: Anatolia in the period of the seljuks and Beyliks, in the cambridge History of Islam, P. 240

(٥٠) سامسون: ميناء تركي يقع علي ساحل البحر الاسود الي الشرق من سينوب (انظر الخريطة) .قال عنها ابن سعيد المغربي وابو الفداء أنها فرضة مشهورة بالحط والاقلاع من القرم علي شرق نهر يخرج من عند أماسيا ويمر حتي يصب في البحر وتقع شرقي سنوب ... والجبل من جنوبها متصل علي ساحل البحر غربا وشرقا) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا، ص ١٩٥ / ابو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٩٣ .

(٥١) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye, P. 126

(٥٢) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye pardlanis, P. 23

(٥٣) Garo Kurkmand and Omer Diler: Alaiye pardalnis , P. 23

(٥٤) C.Cahen :Pre Ottoman Turkey, P. 119

(٥٥) علي محمد الغامدي ، انطالية في عصر الحروب الصليبية ، الطبعة ألاولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، مكة المكرمة – ص ٢٣

(٥٦) المولوي – صحائف الاخبار ، ٥٧٣ أ .

(٥٧) ابن بيبي ، مختصر سلجوقنامة ، ص ٣٩-٤١ .

(٥٨) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة ، ص ٤١-٤٢ .

(٥٩) Osman Turan: Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks, in the cambridge history of IslamP. 240

(٦٠) ابن بيبي – مختصر سلجوقنامة – ص ٤٨-٥٤، ٥٨-٦١ .

Osman Turan: Selcuklular Zamanida Turkiye, P.P 293-301

(٦١) Osman Turan: Anatolia in the period of Seliuks and Beyliks, in the Cambridge history of Islam , P. 246

(٦٢) ابن بيبي: مختصر سلجو قنامة ، ص ٦٢-٦٤ / المولوي: صحائف الاخبار، ورقة ٥٧٥/ Osman Turan: Zamaninda Turkiye, PP 308-310

(٦٣) Garo Kurkman and Omer Diler: Alaiye paralari, P 9010 - Setoolloyed and storm Rice : Alanya. P 4

(٦٤) Osman Turan : Anatolia in the period of Seljuks and Bryliks, in the Cambridge history of Islam , P. 246

(٦٥) Osman Turan : Anatolia in the period os Seliuks and Bryliks in the camberidge history of Islam , p .246

(٦٦) ابن بيبي ، مختصر سلجوقنامة ، ص ١٢٩ (النسخة التركية)

(٦٧) المولوي: صحائف الاخبار ورقة ٥٧٨ أ،

(٦٨) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة – ص ٩٥ ، ص ٩٧ النسخة التركية.

(٦٩) المولوي : صحائف الاخبار – ورقة ٥٧٨أ

(٧٠) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة ، ص ٩٨-٩٩ ،

(٧١) ابن بيبي : مختصر سلجو قنامة ، ص ٩٨

(٧٢) IBRAHEM Konyali : Alaiya p. 62

(٧٣) IBRAHEM Konyali : Alaiya P. 62

(٧٤) ابن بيبي: مختصر سلجو قنامة – ص ٩٨ .

(٧٥) كيرفارد : كان أرمنيا من بيت الروبينين. ولم يقدم مؤرخو الشرق والغرب دراسة حول اسم وقومية كيرفارد وديانتة ، اما فيما يتعلق باسمة فان معنى كير الموضوعة في اسم كيرفارد فهي تعني "السيد" وكلمة فارد تعني في الأرمنية "الورد" . انظر المزيد لدي IBRAHEM Konyali , Alanya P. 68

(٧٦) ابن بيبي : مختصر سلجو قنامة ، ص ١٠١ .

المولوي : صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ.

Seton lloyd and storm Rice: Alanya ,P 4

(٧٧) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة ، ص ١٠٠

(٧٨) ابن بيبي : مختصر سلجو قنامة ، ص ٩٩-١٠١ .

(٧٩) ابن بيبي : مختصر سلجو قنامة ص ١٠١

(٨٠) ابن بيبي مختصر سلجو قنامة ص ١٠١

- المولوي : صحائف الأخبار ، ورقه ٥٧٨أ

(٨١) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة ص ١٠١

(٨٢) يروي المؤرخ الأرمني سيمباد مؤلف تاريخ أرمنية الصغري في ص ٦٤٥ أنه رغم تزوج السلطان بأبنة كيرفارد الا أنه لم يتم الدخول بها لأن الفتاه ظلت مسيحية ، وهذا تعليق منحاز جدا وعلي خلاف العديد من سجلات الاحداث التاريخية التي ذكرت ان أبنة كيرفارد اعتنقت الاسلام واعطيت الاسم ماهيري وأخت غياث الدين كيخسرو الثاني ، وأقامت العديد من المؤسسات الخيرية باسمها وطبقا للنقوش علي هذه الابنية فقد كانت مسلمة منذ عام ١٢٣٥م ، و الي جانب ذلك فقد كانت هناك معلومات تخص عقيدتها في خطاب مكتوب بواسطة كيخسرو الثاني الي الامبراطور اللاتيني في القسطنطينية : أنظر (خليل أدهم) قيصرية شهري ، ص ٦٥-٦٨)

Osman Turan : Selcukular Zamauinda Turkye, P 337 - Garo Kurkman and Omer Diler: Alayiye paralani, P 130

(٨٣) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة ، ص ١٠٢

(٨٤) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة ، ص ١٠٢

(٨٥) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص ١٠٢

(٨٦) Simpad P. 645

(٨٧) ابن العبري: تاريخ الزمان ، ص ٢٦٧

(٨٨) مؤلف مجهول: تاريخ آل سلجوق (Anonim) – ص ٤٥

(٨٩) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص ٨٨-١٠٤

(٩٠) Clement Huart: Epigraphie Arabe D' Asie Mineure (Revue Semitique). P. 326

(٩١) المولوي : صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ

(٩٢) Clement Huart: Epigraphie Arabe

D'Asie Mineure (Revue Semitique). P. 326

(٩٣) يازجي زاده : تواريخ آل سلجوق ص ٢٤٦ . ولقد تغير اسم علانية بالقرار رقم ١١٤٤٣٧ الي اسم علانية "Alanya" انظر الجريدة الرسمية لجمهورية تركيا رقم ٣٤٥١ بتاريخ ١٩٣٣/٧/١٣م وهو الاسم الذي يطلق عليها حديثا. وعلانية آسيا الصغيري غير علانية الأنجاز التي ذكرها علي بن موسي المغربي في كتابة الجغرافيا، ص ١٩٦ . والتي تقع في شرقي الأنجاز علي ساحل البحر ويسكنها قوم من العلاية وهم من الترك الذين تنصروا . وهم يعيشون في كثافة كبيرة في الاطراف الخلفية لهذه المنطقة في قلعة العلان فوق جبل بالي بالقرب من باب الأبواب (باب الحديد)

(٩٤) المولوي: صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ

(٩٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٨٣

Seton and Storm Rice: Alanaya, P.4(٩٦)

(٩٧) المولوي: صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ.

(٩٨) يازجي زادة : تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٤٦ .

O. Turan : Anatolia in the period of the seljuks and Beyliks, P. 246 L C. (٩٩)
Cahen : Pre ottoman Turkey, P. 124

(١٠٠) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ٢٩١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م

IBRAHEM Konyali : Alanya P. 67(١٠١)

(١٠٢) Seton lloyd and Storm Rice: Alayya P. 4 . أنظر عن النقوش والكتابات في تلك السنوات ص ٣٨-٤٣ .

Seton lloyd and storm Rice : Alanya, P. 4(١٠٣)

(١٠٤) يازجي زادة : تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٤٦ . حدث في عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م أن أنسحب السلطان عز الدين كيكاوس الي علانية علي اثر تركة عرش السلطنة لأول مرة ، وبعد أن تعرض لأحوال من الضيق والمصاعب الكثيرة ، ثم

لجأ الى الامبراطور البيزنطي لاسكارس . انظر الآقسرائي – مسامرة الاخبار ومسايرة الاخيار، ص ٧٠ / Clement Huart: Op Cit P. 128

IBRAHEM Konyali , Alaiya P. 79

(١٠٥) ابن بيبي: مختصر سلجو قنامة، ص ١٠٣ ،

المولوي: صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ

(١٠٦) ابن بيبي: مختصر سلجو قنامة ، ص ١٠٣

المولوي : صحائف الاخبار ، ورقه ٥٧٨ أ

(١٠٧) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة، ص ١٠٣

(١٠٨) ابن بيبي: مختصر سلجوقنامة، ص ١٠٣ / المولوي: صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ

(١٠٩)المولوي: صحائف الاخبار ، ورقة ٥٧٨ أ

(١١٠) IBRAHEM Konyali : Alanya. P.72

(١١١) IBRAHEM Konygali : Alaya, P. 72

(١١٢) ابن بيبي : مختصر سلجوقنامة، ص ١٤٧

(١١٣) IBRAHEM Konyali: Alanya, P 67

(١١٤) IBRAHEM Konyal : Alanya, P. 67 أنظر الخريطة ،

(١١٥) Islam Ansikilopedesi, 8 cuz, S 311. Istanbul, 1992- P 648

(١١٦) IBRAHIM Konyali : Alanya ,P. 62

(١١٧) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١ ، ص ٢٩١

(١١٨) Kitabi - Bahriye . Istanbul - 1935 . P. 162

(١١٩) أضنه أدنة : مدينة تركية ، قاعدة مقاطعة سبحان في قليقية

(١٢٠) Evliya Celebi; Seyahatname . Istanbul 1935 IX. P, 294 -299

(١٢١) تامارا (رايس): السلاجقة تاريخهم ، ص ١٧٩

(١٢٢) Islam Ansiklopedisi, 2 cuz, 341 - Istanbul, 1992

(١٢٣) Seton lloyd storm Rice : Alanya , P. 11

(١٢٤) Seton lloyd and storm Rice : Alanya, P. 11

(١٢٥) Seton lloyd and storm Rice: Alanya, P. 11

(١٢٦) Ston lloyd and storm Rice:Alanya, P. 11

(١٢٧) تمارا رايس ، السلاجقة وتاريخهم ، ص ١٨٠، ١٨١ ، انظر الصورة ، ص ١٧٩، ١٨٠

(١٢٨) تمارا رايس ، السلاجقة وتاريخهم ، ص ١٨١، والمزيد من التفصيل أنظر Seton lloyd and storm Rice : Alanya

(١٢٩) Seton lloyd and storm Rice: Alanya, P. 27 وللمزيد انظر المرجع نفسه ص (٢٧-٣٢).

(١٣٠) انظر النقش الذي وجد على باب خان الآرا ، ص ٠٠

(١٣١) فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٦

(١٣٢) Islam Ansiklopedisi, 82 Cuz S 340 Istanbul

(١٣٣) أوقطاي أصلان آبار : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد عيسي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، اسطمبول ١٩٨٧م ، ص ١٢٦

(١٣٤) للمزيد من الخانات أنظر Osman Tunan: Selcuk Devri Vakfiyeleri

(١٣٥) أوقطاي أصلان آبار : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٦

(١٣٦) Islam Ansiklopedisi, 2 Cuz, P.340 Istanbul, 1992

(١٣٧) Seton lloyd and storm Rice : Alanya , P. 54

(١٣٨) Ibid, P. 54

(١٣٩) Seton lloyd and storm Rice : Alanya , P. 54

(١٤٠) Ibrahim Konyali : Alanya, P. 164/ Seton lloyd and Rice : Alanya, P. 49

(١٤١) سلطان البر والبحرين : يقصد بالبر آسيا وبالبحرين البحر الأسود وبحر الروم وهذا اللقب من القاب السلاجقة الروم، وأطلق علي السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو في نص انشاء يرجع الي سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٣م في قلعة انطالية ٠ وكذلك ورد ضمن الكتابة المعروفة علي باب جامع علاء الدين بقونية . واستخدم هذا التعبير عندما كان لعلاء الدين السيطرة علي انطالية وسينوب علي البحر الابيض والاسود وهو يدل علي اتساع النفوذ في البر والبحر معا ٠

(١٤٢) كهف الثقلين : الكهف الملجأ ، الثقلين : الجن والآنس ، وأطلق علي علاء الدين كيقباد الاول وكذلك علي كيكاوس كيخسرو بن كيقباد ٠ وهذا اللقب ينم في معناه عن القوة والسلطة ٠

(١٤٣) محرز الخافقين: من الألقاب التي تدل علي سعة النفوذ وامتداد السلطة، واخافقان أفقا المشرق والمغرب لان الليل والنهار يخفقان فيهما، وقد أطلق اللقب علي علاء الدين كيقباد وعلي السلطان كيكاوس بن كيخسرو

(١٤٤) برهان أمير المؤمنين : البرهان يعني الحجة وكان اللقب يطلق علي السلاجقة العظام، وشاع استعماله لدي سلاجقة الروم فأطلق علي كيكاوس بن كيخسرو وعلي علاء الدين كيقباد الاول وعلي قليج ارسلان الرابع وكيخسرو بن قليج أرسلان ٠ ويلاحظ استمرار استعمال اللقب بعد إنتقال الخلافة العباسية الي القاهرة ، مما يدل علي اعتراف سلاجقة الروم بالسلطة الروحية للخلفاء حتي سقوط عاصمتهم سياسيا، لكسب الشرعية لحكمهم ٠

للمزيد بالنسبة للألقاب انظر Hurt (Clement): Epigraphie Arabe D'Asie Mineure (Revue Semitique):

- وحسن الباشا : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق / ص ٤٠٥، ٣٨٤، ٤٧٠، ٤٥٠، ١٢٠، ٤٤١، ٤٦١، ٤٦٢/ دار النهضة العربية/ القاهرة ، ١٩٧٨م٠

(١٤٥) IBRAHIM Konyali : Op Cit,P. 167/ Seton lloyd and Rice , Alanya , P. 50

(١٤٦) IBRAHIM Konyali , Op, Cit P. 164, /Seton lloyd and Rice : Alanya , P. 60

(١٤٧) ابو علي بن أبي لرخا بن الكتاني الحلبي ورد اسمه في كتابه موجودة في قلعة سينوب تحمل تاريخ ٦١٢هـ /١٢١٥م.

(١٤٨) Seton lloyd and storm Rice : Alanya, P. 61

(١٤٩) قسيم أمير المؤمنين : هو من الالقاب الرفيعة المضافة الي امير المؤمنين ومعناه مقاسم أمير المؤمنين سلطانة ولم تتخذه السلاجقة في أول عهدهم لأنهم كانوا يعتبرون انفسهم جنودا للخلافة العباسية . ولكن اللقب ظهر في أوائل القرن السادس الهجري وعم اطلاقة علي كبار السلاطين ومنهم كيقباد الاول وكيكاوس بن كيخسرو ، واستمر حتي القضاء علي الخلافة العباسية ببغداد . أنظر حسن الباشا،المرجع السابق، ص ٢٠٥ / Clement Huart : Op. Cit P. 125

(١٥٠) IBRAHIM Konyali : Op Cit P, 217/ Seton lloyd and storm Rice : Alanya , P. 62

(١٥١) Seton lloyd and storm Rice : Alanya, P.62

(١٥٢) Storm lloyd and storm Rice: Alanya, P.62

(١٥٣) Ibrahim Konyali: Alanya, P. 191

(١٥٤) Seton lloyd and storm Rice: Alanya , P. 66

(١٥٥) Seton lloyed and storm Rice : Alanya, P. 74

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، ت ٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ.

- أوقطاي أصلان أبا : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، اسطمبول، ١٩٨٧م.

- تمار رايس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفي الخوري، ابراهيم الداقوقي ، بغداد، ١٩٦٨م.

- حسن الباشا: الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة، ١٩٧٨م.

- ابن سعيد المغربي (ابو الحسن علي بن موسى المغربي، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ١٩٧٠م.

- عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ الروماني (عصر الثورة) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م.

- ابن العبري (أبو الفرج جمال الديم) : تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحاق رملة ، بيروت ، دار المشرق، ١٩٨٦م.

- فاروق محمد عز الدين : القدس تاريخيا وجغرافيا / مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٨١م.

- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢ هـ): تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨١٤م.

- فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الارمني منذ البداية حتى اليوم ، القاهرة ١٩٨٦م.

- كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، بيروت، ط٢، ١٤٠٥ هـ.

- منجم باشي المولوي (أحمد بن لطف الله المولوي الشهير باسم منجم باشي، كان حيا سنة ١١١٦هـ): صحائف الأخبار في وقائع الأعصار، مخطوط مكتبة أحمد الثالث ، اسطمبول ، رقم ١٢٥٤ / ١ .

ثانيا: المصادر والمراجع الفارسية:

- الآقسرآئي (محمود بن محمد) من مؤرخي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي): مسامرة الأخبار ومسايرة الاخيار، تصحيح د. عثمان توران، تاريخ ايران ، انتشارات اساطير .

- ابن بيبي (الحسين بن علي المنشئ الجعفري ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨١م)، مختصر سلجوقنامة ، منشور في تواريخ آل سلجوق، نشره هوتسما في سلسلة Recueil de Textes Relatifs a l''histoire des Seldjoucides, Vol. IV.

Leiden vol . IV, leide ,1902

- مؤلف مجهول : تاريخ آل سلجوق ، نشرة فريدون نافذ أوزلك بعنوان Anonim في سلسلة

Anadolu Selquklulari Devleti tarihi, III . Ankara , 1959

- يازجي زاده علي : تواريخ آل سلجوق ، اسطمبول .

- وهناك مرجع عثماني هو خليل أدهم ، قيصري شهري .

ثالثا : المصادر والمراجع الأجنبية:

Cahen (claud) : Pre ottoman Turkey, Translated from French by J,Joins William, London, 1968.

Celebi (evluya): Seyahatname , IX, Istandul, 1935.

Huart (clement): Epigraphie Arabe D;Asie Mineure (Revue / semitique).

- Islam Ansiklopedisi, Istanbul, 1965.

- Kitabi - Bahriye, Istanbul, 1935.

- Koman (M.Mesud): karaman Ogullari Tarihi, Konya, 1946.

- Konyali (IBRAHIM): Alanya (Alauyye), Istanbul, 1946.

Kurkman (Garo) amd Idilar (Omer): Alauye Paralari, Coinage of Alaiy, Ostanbul, 1981.

Lioud (Seton) and (Rice) Storm: Alanya (Alaiyya), Ankara, 1964.

Ramsay (W.M): The historical Geography of Asia Minor' London.

Sempad: (R.Hist. Croisades Docum - Armeniens).

Strabon, XIV {Leob classical liberary (L.C.L) ,Strabo Geography, London} .

- Turan (Osman): 1- Anatolia in the period of the Seljuks and Beyliks, in the Cambridge history of Islam Vol, IA, Cambrige, 1980.

2- Sekcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1980.

2- Selcuk Devri Vakfuyeleri, Belletan, Amkara.

Turklerin Tarihi umumisi, cilt 7, Istanbul.

القدس في كتابات رحالة وجغرافي القرن السابع والثامن الهجريين

د. يسرى أحمد عبد الله زيدان

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مقدمة :

شهد القرنان: السابع والثامن الهجريان/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديان عددا من الجغرافيين الرحالة المسلمين الذين زاروا مدينة القدس، ووصفوها في كتاباتهم وأكدوا علي عروبة هذه المدينة، وهؤلاء الجغرافيون الرحالة هم:

١- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م).

٢- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م).

٣- علي بن موسى بن سعيد (ت ٦٧٣هـ /١٢٧٤م).

٤- زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م).

٥- محمد بن محمد علي العبدري (توفي في ق ٧ هـ/١٣م).

٦- شمس الدين محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م).

٧- عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفدا (ت٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م)

٨- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بالعمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٧٧م).

٩- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م).

٩- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بـــابن بطوطـــة (ت ٧٧٩هـــــ/١٣٧٧م).

بالاضافة الى الجغرافي عبد المؤمن بن عبد الحق المتوفي سنة تســع وثلاثين وسبعمائة للهجرة والذي يعد من الرحالة ايضا حيث زار القدس.

كما حظى عدد من الرحالة الأجانب بزيارة مدينة القدس في الفـــترة السابقة نفسها، ووصفوا المدينة من حيث العمران والحياة الاجتماعيـــة فيـــها، ومن هؤلاء: Burchard, John Maundvulle, Franiccolo.

اولا: التأكيد على عروبة القدس:

أكد جغرافيو ورحالة القرن السابع والثامن الهجريين / الثالث عشـــر والرابع عشر الميلاديين على عروبة القدس من خلال مايأتي:

١- تبعية القدس للكنعانيين العرب قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة

إن اقدم مايعرف عن مدينة القدس بصفة خاصة، وبلاد الشام كلـــها بصفة عامة يرجع الي الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث استوطن الكنعـــانيون العرب هذه المنطقة في هذا الزمن السحيق، (وكانت الشام يقال لـــها: أرض كنعان)[١].

وكنعان وعدنان وقحطان أسماء عربية لقبائل عربية، انتشـــرت فـــي شبه الجزيرة العربية وفوقها، وتحتها [٢] وقد تحدث الطبري[٣] عن هذه القبيلة العربية، قبيلة (كنعان) وتوجهها الي الشام ونزولها به، وهو يتناول المواطـــن الأولي للقبائل العربية. وأشار رحالة القرنين السابع والثامن الهجريين إلـــي أن الوجود العربي في القدس ممثلا في الكنعانيين كان أقدم من غـــيره مـــن الأجناس الأخرى كاليهود [٤].

وعرف هؤلاء الكنعانيون العرب أيضا بالجبارين، وورد هذا الاسم في كتب الرحالة والجعرافيين المسلمين، حيث إن الكنعانيين العرب كانوا طوالا، عظام الأجسام [٥]، ولأن بعض القبائل العربية في تاريخها المبكر قد استعصت علي أمر الله [٦]، وقابلت الرسل بالتكذيب، فكانت النتيجة كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي[٧]: (أن دمر الله علي هذه القبائل كلها، وجعلها هبرا كان) ومن هذه القبائل العربية: الكنعانيون أي الجبابرة. اشار مؤرخونا [٨]، إلى دخول اليهود القدس وفلسطين والشام بصفة عامة زمن (يوشع) فتي موسى عليه السلام.

وهذا هو ماسجلة القرآن الكريم في سورة (المائدة) بقول الله تعالي على لسان سيدنا موسى عليه السلام:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) ﴾ [٩]

وهنا يتبين لنا أن اليهود كانوا على عهد سيدنا موسى عليه السلام أجبن ,اذل من أن يقتحموا علي العرب أرضهم، لأن العرب كانوا جبابرة، ولم يدخل بنو إسرائيل الأرض العربية إلا بعد وفاة سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وأغضبوا رب العالمين، وكان سيدنا موسى عليه

السلام يشعر بأن قومه فيهم عوج غالب، وهو ماحكاه القرآن بقوله:

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾(١٠)

وفي الكلمة رنين اتهام غامض ، كأن سيدنا موسى يشعر بأن قومه عندما يلون الأمر سيكونون فراعنة، سيكونون أخبث من غيرهم (١١).

وقد أورد الجغرافيون والرحالة المسلمون هذه الأحداث السابقة (١٢) ليؤكدوا علي أسبقية العرب في القدس، وأحقيتهم بها، وليقرروا عدة صفات لليهود وهي الجبن، ومخالفة الأنبياء والإفساد في الأرض.

٢- ذكر الاسم العربي القديم لمدينة القدس (أورسالم) :

بنى الكنعانيون العرب الذين استوطنوا فلسطين حوالى عام ٤ آلاف سنة قبل الميلاد مدينة القدس، في المكان الذي تقوم عليه الآن هذه المدينة ، وعرفت باسم (أورسالم) أو (يوروسالم) أى مدينة سالم(١٣) ، ذلك الملك الكنعاني العربي (سالم)

ومن (أورسالم) هذه جاء الاسم الغربي Jerusslem المستعمل في اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية ومااليها (١٤).

ولأن اللغة العربية تنطق السين شينا، فمثلا : (موسى) تنطق (موشى) و (سلام) تنطق (شلوم) ، فإن هذا الاسم العربي تحول إلي (أورشليم) علي لسان بنى إسرائيل.

وقد نص الجغرافيون والرحالة المسلمون علي أن من أسماء القدس أورسالم ، بمعنى دار السلام، وأن اسمها أصبح بعد ذلك بالعبرية أورشليم(١٥). وهم بذلك يسجلون حقيقة تاريخية تشهد بعروبة مدينة

القدس، منذ اربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وقبل أن يدخل بنو إسرائيل فلسطين[١٦].

٣- بيان ان معظم أرض القدس وقراه موقوفة على مصالحة

أشار الجغرافيون والرحالة الي حقيقة تاريخية مهمة تتصل بمدينة القدس، وهي آن معظم آراضية وقراه قد أوقفها العرب علي مدارس وخانقاه ومساجد وزوايا القدس، ومصالحة الأخري . والوقف يكون عن تملك، ولايباع، ولايشتري ولايوهب، ولايورث، وإنما يحافظ عليه وينمى . ومن ثم فإن ايه محاولة لتغيير هذا الوضع، بالسيطرة علي هذه الأراضي والقوي، أو بإزالة هذه الأوقاف سواء من العرب أنفسهم أو من غيرهم، وهي عدوان واغتصاب ولصوصية.

وعن الأوقاف بمدينة القدس يقول العمري: (وبالقدس مدارس، وخانقاه، وربط وزوايا، وترب. وللمسجد الأقصى بها وقوف كبيرة جارية على مصالحة، والمؤذنين به، وخدمه وجماعه من العلماء والقراء به)[١٧].

ومن القرى الموقوفة علي مدارس القدس: (عين يبرود)[١٨] وقرية (بيت لقيا)[١٩] . وهاتان القريتان من قري مدينة القدس، وهما من القري الكاملة التي أوقفت علي مساجد ومدارس القدس الشريف. وهناك عين عذبة في محلة بمدينة القدس تسمى (عين سلوان) أوقفها سيدنا عثمان بن عفان علي ضعفاء بيت المقدس[٢٠] .

هذا وهناك إقطاعات قديمة بالقدس تدل ايضا علي ملكية العرب المسلمين للقدس حيث اقطعوا منها الإقطاعات التي من أهمها إقطاع رسول الله صلي الله عليه وسلم قرية (حبرون) وهي من قري القدس - لتميم الداري[٢١]

في السنة التاسعة للهجرة الشريفة، وأشار ياقوت الحموي[٢٢] والعمري إلى هذا الإقطاع، واوردا نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أن هذه القرية تسلم لتميم الداري، ولعقبة من بعده، أبد الابدين، فمن اذاهم فيه فقد آذى الله تعالى.

وقد استمر هذا الإقطاع بيد ذرية تميم الداري حتى القرن العاشر الهجري كما ذكر ذلك مجير الدين الحنبلي الذي أوضح أن محاولة جرت سنة خمس وثمانين وأربعمائة للهجرة لانتزاع الأرض من ذرية تميم الداري، وقام بهذه المحاولة أحد امراء القدس فتصدي لها الإمام ابو حامد الغزالي الذي كان حينئذ بالقدس [٢٣] .

٤- تبعية القدس للمسلمين منذ الفتح الإسلامى ومنشآتهم بها

منذ أن تم للمسلمين فتح القدس الشريف وجميع المدن والمناطق الفلسطينية سنة ١٥هـ ،٦٣٦م ، والقدس عربية اسلامية ، باستثناء فترة الحروب الصليبية والتي استولى فيه الصليبيون على القدس لمدة ثمان وثمانين سنة عادت بعدها القدس الي أصحابها المسلمين. وعلي الرغم من أن كتب الجغرافيين والرحالة ليست تاريخية في المقام الأول، إلا أنها عرضت لتبعية القدس للدولة الإسلامية ، وللأمراء المسلمين من العرب وغيرهم من أجناس أخري مسلمة، تأكيدا علي أحقية العرب المسلمين بالقدس، حيث حكموها طوال هذه الفترة التاريخية بعد فتحها، وانشئوا بها العديد من المنشآت التي رآها الرحالة ووصفوها في كتبهم. وبذلك تكون مدينة القدس قد خضعت للعرب قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة، ثم خضعت للدولة العربية الإسلامية بعد الفتح العربي الاسلامي لها ، وتحريرها من

الاستعمار الروماني ، حتى سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨م ، وتشهد منشآت المسلمين وآثارهم وخططهم بالمدينة علي أحقيتهم بها دون غيرهم.

وقد تناول الرحالة والجغرافيون في القرن السابع والثامن الهجريين وضع مدينة القدس زمن الراشدين ، وذكروا من نزلها من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم واستوطنها ومات ودفن بها [٢٤]. كما ذكروا المسجد الذي بناه سيدنا عمر بن الخطاب على الصخرة سنة ١٦هـ / ٦٣٧م إشعارا بأهميتها ومكانتها في الإسلام [٢٥]. وتحدثوا عن القدس زمن الأمويين، وعن الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بن مروان بصفة خاصة، حيث تم استكمال بناء المسجد الأقصى في عهده ليؤكد علي مكانة بقعته في الإسلام، تلك المكانة التى توافرت لساحته المطهرة قبل البعثة النبوية الخاتمة ومعها ، كما قام الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) بإعادة بناء مسجد قبة الصخرة من جديد. وعن ذلك يقول أبو الفداء [٢٦] : (وبقي - مسجد عمر بن الخطاب - حتي تولي الوليد بن عبد الملك فبنى فيه قبة الصخرة على ما هي عليه اليوم).

واعتنى خلفاؤه [٢٧] بالقدس حتى سقطت الدولة الأموية سنة اثنين وثلاثين ومائة للهجرة.

وأشار الرحالة والجغرافيون المسلمون إلي آثار العباسيين بمدينة القدس في أثناء خلافتهم، حيث إن المبنى الحالي للمسجد الأقصى لايزال محتفظا إلي اليوم بالكثير من صورته التى كان عليها وقت خلافة العباسيين الأوائل ، وبخاصة في خلافة الخليفة العباسى المهدى ، محمد بن المنصور [٢٨].

ذكر الرحالة ياقوت الحموى[٢٩] أن زلزالا وقع للمسجد الأقصى أيام بني العباس[٣٠] (فطرحته إلا ماحول المحراب) فقام الخليفة المنصور بإعادة بنائه. إلا أن زلزالا شديدا حدث بعد ذلك في خلافة الخليفة المهدي، فوقع البناء الذي كان قد أمر أمير المؤمنين أبو جعفر به، ثم أعيد بناء المسجد في خلافة الخليفة العباسي المهدي[٣١].

ووالي العباسيون بعد ذلك اهتمامهم بالمسجد الأقصى ، وأشار ياقوت الحموى[٣٢] الى عناية وانشاءات أم المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م) بالمسجد الاقصى.

كما أشارت المصادر إلي اهتمام الفاطميين والسلاجقة بإصلاحات وتعمير المسجد الأقصى في الفترات التاريخية التى خضعت لهم فيها مدينة القدس[٣٣].

وكان للأيوبيين منشآتهم المتعددة فى مدينة القدس، وآثارهم الدالة على أعمالهم بالقدس حتى يومنا هذا، ومنها: تعمير صلاح الدين الأيوبي للمسجد الأقصي وبناء سوره سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة من الهجرة ، بعد استنقاذه من الصليبيين . وذكر ذلك الجغرافي ابن عبد الحق[٣٤]. وقد فصلت المصادر التاريخية ماقام به صلاح الدين الأيوبي في هذه السنة من تعمير للمسجد الأقصى، فذكرت أنه جدد محرابه ورخمه، وكتب عليه بالنصوص المذهبة تاريخ التجديد، كما أهتم بعمارة قبة المسجد[٣٥] ، ولا يزال محراب المسجد حتي الآن شاهدا علي تجديد صلاح الدين له، إذ تشير الكتابة التي نقشت بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب إلي هذا العمل الجليل[٣٦] .

وقد عني ملوك بني أيوب بعد موت صلاح الدين الأيوبـي بـالقدس، وحرصوا على اقامة العديد من المنشآت والآثار التي تدل على مكانة القـدس في قلوبهم، وتكشف عن هوية القدس الشريف[٣٧] -، ومن المنشـآت التـى لاتزال موجودة بالمسجد الأقصي وترجع الي العصر الأيوبى : الرواق الـذي يكون الواجهة الشمالية للمسجد. وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة يقابل كل واحد منها بابا من أبواب المسجد السبعة . وعلي واجهـة الـرواق الأوسط بلاطة من الرخام، نقشت عليها كلمات تشير إلي ما فعله هذا الملـك سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م [٣٨]. كذلك أشار العمري [٣٩] الى القبة التي بناهـا المعظم عيسى بن العادل أيضا في فناء الصخرة المقدسة و لا تزال هذه القبـة باقية الي اليوم مع غيرها من قباب أخري أقامها المماليك بعد ذلك [٤٠].

كما أن الرحالة العمرى[٤١] ذكر أيضا أن االمعظم عيسى بن العـادل بنى بالقدس المدرسة المعظمية سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣م ، ولا تزال بقاياهـا موجودة للأن بالمدينة المقدسة [٤٢].

كذلك تعرض الرحالة العمرى[٤٣] لمنشآت سلاطين المماليك وأمرائهم بمدينة القدس، وبخاصة المدارس ومنها : المدرسة الكريمية [٤٤]، ومدرسة آل ملك[٤٥] ومدرسة الأمير علم الدين سنجر المعروفة بالجاولية[٤٦] ومدرسـة الأمير سيف الدين تنكز [٤٧].

ولاتزال بعض هذه المدارس وبقايا بعضها ماثلا أمام الأعيـن حتـى الآن بالقدس [٤٨].

ولم يقتصر أثر المماليك بالقدس علي إقامة المدارس الكثيرة، وانمـا قام سلاطينهم بإصلاحات مهمة للمسجد الأقصى ، وإضافات أخرى أساسـية للمسجد ، لاتزال شاهدة علي اهتمامهم بالقدس بصفة عامة، وبالمسجد

الأقصى بصفة خاصة[٤٩] .

وبذلك يتبين لنا أن آثار ومنشآت المسلمين بالقدس تنطق بتبعيتها للعرب المسلمين، فضلا عن التاريخ المدون المقروء المكتوب بأيدى العرب أو بأيدي غيرهم ، وأن القدس بقيت محافظة علي صبغتها طوال تاريخها، علي العكس تماما من صلة اليهود بها، الذين جاءوها طارئين عليها، لفترة ضئيلة ومتقطعة، ولا دليل لتبعيتها لهم من أثر أو منشأ ، حيث إنهم لم يتركوا بها آثارا تذكر .

ثانيا: وصف القدس في كتابات رحالة وجغرافى القرنين السابع والثامن الهجريين

تعد كتابات رحالة وجغرافى القرنين السابع والثامن الهجريين في غاية الأهمية لتاريخ مدينة القدس، حيث إنها تصف القدس، وتتناول أحوالها المختلفة بعد تحريرها من أيدي الصليبيين، ومن ثم تبرز أهمية هذه المشاهدات والرؤى، ولأنها أيضا تقدم صورة لمدينة القدس، بمعالمها التي ظلت - تقريبا - محتفظة بها حتي وقعت فى أيدي الجيش البريطاني المحتل لفلسطين سنة ١٣٣٧ هـ /١٩١٨م في نهاية الحرب العالمية الأولي لمدة ثلاثين سنة، سلمت بعدها المواقع الاستراتيجية إلى العصابات اليهودية ، مما سهل لها احتلال القسم الغربى من مدينة القدس، وباقى المدينة بعد ذلك .

*** القدس : عمرانا وسكانا**

أشار رحالة القرن السابع والثامن الهجريين إلى أن مدينة القدس في هذه الفترة كانت مدينة كبيرة المساحة ، كثيرة السكان ، زاخرة بالعمائر

والأسواق ، وأنها عادت أزهى صورة وأبهى شكلا ، كصورتها قبل الاحتلال الصليبي.

ولعل مما جعل مدينة القدس مدينة كبيرة في هذه الفترة التاريخية بصفة خاصة هو أن مدنا فلسطينية عديدة كانت خرابا غير معمورة في هذا الزمن، بعد أن كانت من أعظم المدن فانتقل سكان هذه المدن إلى القدس. وقد حدث مثل هذا زمن عبد الملك بن مروان ، و ذكره شيخ الربوة، حيث انتقل سكان الرملة بعد عدة زلازل بها إلي القدس.

وقد رأي الرحالة هذه المدن خاوية علي عروشها ، ومنها مدينة (عسقلان)[٥٠] التي كانت تعرف ب (عروس الشام) ، وأصبحت خرابا منذ سنة سبع وثمانين وخمسمائة من الهجرة ، لئلا تقع في أيدي الصليبيين كمدينة عكا[٥١] .

وقد وصف أبو الفداء عسقلان بقوله : (وهي في زماننا خراب، ليس بها ساكن)[٥٢] . وهو الأمر الذي أكده رحاله آخر هو ابن بطوطة إذ قال : ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان ، وهو خراب، قد عاد رسوما طامسة، وأطلالا دارسة)[٥٣] .

ومنها أيضا مدينة (قيسارية)[٥٤] التي وصفها ياقوت بأنها كانت من أعيان أمهات المدن (وأما الآن ، فليست كذلك ، وهي بالقري أشبه منها بالمدن)[٥٥] ثم وصفها أبو الفداء بعد ذلك بقوله : (مدينة بساحل الشام وتعد من أعمال فلسطين، وكانت من أمهات المدن العظام وهي اليوم خراب، بها مرسى يسع مركبا واحدا)[٥٦] .

ومنها ايضا مدينة (أرسوف)[٥٧] التى وصفها أبـو الفـداء بقولـه : (وهي الآن خراب، ليس بها ساكن)[٥٨] ، و(حيفــا)[٥٩] التــي قـال عنـها العمرى: (وهي خراب علي الساحل) [٦٠].

وهكذا كان هناك عدد من المدن الفلسطينية غير مأهولـة بالسـكان، وغير معمورة في القرنين السابع والثامن الهجريين، مما ساهم فـى ازدحـام مدينة القدس بالسكان، هذا بالاضافة الي أن هناك مدنا أخرى شـامية كـانت خالية هى الأخرى من السكان والعمارة وهي مدينة عكا[٦١] التى وصفها أبـو الفداء بقوله : هي الآن خراب بعدما استرجعها المسلمون من يد الفرنج سـنة تسعين وستمائة ، وحضرت فتوحها، وحصل لى فيه الغزاة)[٦٢] ، وبـالمثل وصفها العمرى[٦٣] وابن بطوطة[٦٤]. وكذلك كانت مدينة (صور) ورآها أبـو الفدا[٦٥] خرابا خالية من السكان، وسافر إليها ابـن بطوطـة فوقـف علـي خرابها، وخلوها من الأهالي[٦٦]، وهناك أيضـا عـدد آخـر مـن الكـور والحصون والقلاع كانت خرابا خالية تمامـا مـن السـكان، لا يسـكنها إلا الوحوش – علي حد تعبير أبي الفداء – ومنها كورة الحيار من كور حلـب، وحصن منصور ، وتل حمدون[٦٧] .

ومما يبين ان مدينة القدس قد آوت سكان هذه المدن وغيرهـا هـو وصف الرحالة بنيامين التطيلي للقدس في القرن السادس الـهجري / الثـاني عشر الميلادي حيث وصفها بأنها (بلدة صغيرة، عظيمة التحصين)[٦٨] .

أما العمرى فقد ذكر ان مدينة القدس كان قـد تغلـب عليـها الـهدم والخراب بعد أن طرد منها الفرنج ، فتوجهت الهمم والعزائم الـي عمارتـها والاهتمام بها، فمدت إليها القنوات، وبنيت بها الحمامات والأسواق والعمـائر المختلفة (وأصبحت مدينة القدس ضاحية المرأى، آهلة الرحاب، وعادت إلـي

ما كانت عليه من التمدن، بعد أن كانت لا تعد من القـــرى، ولا ينـــدي فـــى جوانبها الثري)[٦٩] وقد أثنى الرحالة ياقوت الحموي علي ما شاهده بـــالقدس من (أسواق كثيرة، وعمارات حسنة)[٧٠] . كمـــا تحـــدث القزوينـــى عـــن العمارات الكثيرة الحسنة بالقدس[٧١] وذكر ابن بطوطة أنه وصل إلي القـــدس فوجدها كبيرة[٧٢] .

وهكذا اتفقت كتب الرحلات بناء علي المشاهدة والرؤيـــة حـــول أن مدينة القدس كانت – في فترة البحث – مدينة كبيرة آهلـــة بالســـكان بكثافـــة كثيرة. وهذا هو ما أكده القلقشندي[٧٣] الذي أوضح أنه مع بداية القرن الثـامن الهجري صارت القدس في نهاية الحسن (بها المدارس والربـــط والحمامـــات والأسواق وغيرها) بعد أن كانت قد غلب عليها الخراب من حيـــن اســـتيلاء الفرنج عليها.

ويبدو أن القدس وصلت في القرن الثـــامن الـــهجرى إلـــي أقصـــى عمارتها واتساعها، وان ذلك بدأ في القرن السابع الهجرى، بدليـــل وصـــف الرحالتين : ياقوت والقزوينى للمدينة في القرن الســـابع الـــهجرى / القـــرن الثالث عشر الميلادى بكثرة العمارات الحسنة ، و الأسواق الكثيرة هذا ولـــم يشر الرحالة إلي وجود يهود بمدينة القدس[٧٤] .

وقد قدم الرحالة صورة عمرانية للقدس، فذكروا أنها علي جبل عـــال مستدير، ومحاطة بعدة جبال، بينما تقوم المدينة نفســـها فـــي فضـــاء وســـط الجبال[٧٥]، ويقول ياقوت (والذي شاهدته أنا منـــها أن أرضـــها وضياعـــها وقراها كلها جبال شامخة ، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئة البتـــة، وزروعها علي الجبال، وأطرافها بالفؤوس لأن الدواب لاصنع لها هناك أمـــا نفس المدينة فهي على فضاء وسط تلك الجبال)[٧٦] .

ووصفت بيوت مدينة القدس بأنها مبنية بالحجر المنحوت والكلس[٧٧].

وعن ذلك يقول العمري : (مدينة القدس مبنية بالحجر والكلس، وغالب حجرها أسود)[٧٨]، وهو الأمر الذي أكده ابن بطوطة (والبلدة – القدس – كبيرة منيفة بالصخر المنحوت)[٧٩].

ووصفت طرق مدينة القدس بأنها كانت مبلطة بالحجر ، فهذا ياقوت يقول : (وأرضها – القدس – كلها حجر من الجبال التي هي عليها)[٨٠]. ويؤكد القزويني على هذا الأمر ويصف الطرق بالنظافة في قولة : (ودروبها حجرية ، ليست كثيرة الدنس)[٨١].

وكانت مدينة القدس كثيرة الأسواق ، بها عدة حمامات[٨٢]، ومما ساهم في انشاء وكثرة الحمامات بها هو ما قام به الأمير تنكز[٨٣]، نائب الشام للسلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م الذي مد قناة الي مدينة القدس ووصلت الي المسجد الأقصي / وعمل سيف الدين تنكز له بركة هائلة مرخمة ، أبهجت المسلمين ابتهاجا عظيما[٨٤]، وقد تحدث الرحالة العمري عن هذا العمل المهم الذي استثمر استثمارا جيدا لمصلحة المدينة ، وامكن استغلال مياه هذه القناة في انشاء الحمامات، وذلك بقوله : (وساق إليها قناة الي بركة وهو مجتمع يرفدها بالماء زمان قلة الماء، وتجري الي مدينة القدس، وتدخل إلي سور المسجد الأقصي وتجرى به .. وعمر بها حمامين جليلين كانت أحوج شئ إليه، لأنه لم يكن بها حمامات مرضية، وانشأ بها الأسواق والعمائر)[٨٥] كما أثنى ابن بطوطة على ما قام به الأمير سيف الدين تنكز[٨٦].

وقد توالى الإهتمام بقناة الأمير تنكز ، فرممت أكثر من مـــرة[٨٧] ، كما تم تعمير قنوات أخري بالقدس بعد تعمير قناة تنكز مباشرة [٨٨].

* **أهم عمائر ومزارات القدس**

يعد المسجد الأقصى من أهم منشآت مدينة القدس وعمائرها لمكانتـــه الدينية والتاريخية ، وقد وصفه الرحالة وصفا دقيقا، وأثنــوا علـــى عمارتـــه وبنائه.

ويقع المسجد الأقصي في طرف مدينة القدس الشرقي. يقول ياقوت: (وأما الأقصي فهو في طرفها الشرقي نحو القبلة[٨٩]) ، وهـــو مـــا ذكره باقي الرحالة[٩٠] ، وقد أجمعوا علي أنه في غاية الحســـن والإحكـــام. يقول ياقوت: (وهو على غاية الحسن والإحكام)[٩١] وهو ما قالـــه القزوينـــي تماما[٩٢] . ويتحدث عنه ابن بطوطة فيذكر أنه من المساجد العجيبة، الرائقـــة الحسن[٩٣] . وكما أجمع الرحالة على حسن بناء وإحكام المسجد الإقصـــــي، فإنهم أيضا أجمعوا على طول المسجد أكثر من عرضـــه[٩٤] . ويبيـــن ابـــن بطوطة ان طول الحرم الشريف المتضمن للمسجد الأقصي وغيره[٩٥] مـــن الشرق إلي الغرب سبعمائة واثنان وخمسون ذراعا بـــالذراع المالكيـــة[٩٦] ، وعرض من القبة إلي الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا وذكـــر ابن بطوطة أنه ليس علي وجه الأرض حرم أكبر منه[٩٧] .

والمسجد مبنى علي أعمدة من الرخام الملون، والفسيفساء (التي ليـــس في الدنيا أحسن منها، لا جامع دمشق ولا غيره)[٩٨] ، وهو مسقف في النهايـــة من أحكام العمل وإتقان الصنعة (مموه بالذهب والأصبغة الرائقة) [٩٩]. ولـــه قبة عظيمة تقوم على أعمدة رخامية ، مسقفة برصاص، منمقة من الداخل

والخارج بالفسيفساء، مطبقة بالرخام الملون ، قائم ومسطح [١٠٠] وله أبواب عديدة ، تؤدى الي أروقة المسجد[١٠١] . وبالجدار الغربي من المسجد الأقصي .حلقة ربط بها رسول الله صلي الله عليه وسلم البراق الشريف ليلة الاسراء . وهو مكان مبارك يزوره المسلمون منذ القدم[١٠٢] .

ومن أهم منشآت القدس أيضا والحرم الشريف : مسجد قبة الصخرة. وقد تعجب لها الرحالة جميعا، فهذا ياقوت يقول: (وعلي الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعت أن في الشرك مثل هذه القبة)[١٠٣] وهو مما أكده غيره كابن بطوطة الذي ذكر أنها من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا، حيث توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديع بطرف[١٠٤] . ويقع المسجد بقبته المطهرة في فناء واسع مرتفع عن الحرم الشريف بكامله، وعلي الصخرة المكرمة (التي جاء ذكرها في الآثار فإن النبي صلي الله عليه وسلم عرج منها الي السماء[١٠٥]). وعلي طرفها – كما يقال – أثر قدم النبي صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج[١٠٦] . وترتفع الصخرة عن الأرض بمقدار القامة[١٠٧] . بينما ترتفع القبة عن ظاهر الصخرة بمقدار سبعة وأربعين ذراعا[١٠٨]. وتقوم قبة الصخرة علي أعمدة مطبقة أعلاها بالرصاص[١٠٩]. وعددها اثنا عشر عمودا[١١٠] . وهي مكونة من عدة طبقات، فهي مشدودة علي الألواح أولا، ثم علي أعمدة الحديد ثانيا، قد شبكت ، لئلا تميلها الرياح، ثم الثالثة من الخشب عليها الصفائح الرصاصية[١١١] . فهي قبة خشبية مذهبة[١١٢]، ومزينة بمختلف الزينة، من فصوص ملونة ، وغيرها، في صناعة تعجز الواصف (وأكثر ذلك مغشى بالذهب ، فهي تتلألأ نورا،

وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها)[١١٣] ، وأرضية وحيطـان القبـة مفـروش بالرخـام، محكـم الصنعة[١١٤]

أما البناء الذى حول الصخرة، و فوقه قبة الصخرة ، فإنه بناء فخـم مثمن الأركان[١١٥] ، كل تثمينة تسع وعشرون ذراعا وثلثا ذراع، وتحتـوي كل تثمينة علي سبع طاقات – نوافذ – اثنـان فـي الطرفيـن مسـدودتان ، والخمسة مركب عليها الزجاج ، ومن ظاهرها الشبابيك الحديدية، وكل تثمينـة محمولة علي أعمدة وسوار ملبسة بالرخام المشجر، والملـون البديـع[١١٦] ، وأروقة هذا البناء الذي هو بناء مسجد قبة الصخرة مفروش بالرخام الأبيـض المشجر ، بينما سقفة مدهون بأنواع عديدة من الدهان [١١٧]. وللمسجد اربعـة ابواب وجميعها من خشب، ومكسوة بالرصاص[١١٨] .

والمنظر العام للمسجد من الداخل والخارج يشبه جامع دمشق، روعـة وبهاء وجمالا[١١٩] ، وكان يسرج في الحرم الشريف كله ألـف وخمسـمائة قنديل ، ويسرج في الصخرة وحدها أربعمائـة وأربعـة وسـتون قنديـلا، وخصـص زيت شـهريا لهذه القـناديل، كما خصصت حصر سنويا لفرش ساحة الحرم الشريف[١٢٠]

وبالحرم أماكن كثيرة لها أهميتها[١٢١] ، الأمر الـذي جعـل يـاقوت الحموي) يذكر أنه اذا تتبع وصف الحرم الشريف، ومدينة القدس ، لم يتسـع له زمانه (وفي المسجد أمـاكن كثـيرة وأوصـاف عجيبـة لا تتصـور الا بالمشاهدة عيانا، ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فيه في أى موضـع منه يري ان ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها، ولذا قيل: إن الله

نظر إليه بعين الجمال، ونظر إلي المسجد الحرام بعين الجلال)[١٢٢] . وقد أكد العمري علي هذا المعني، فذكر أنه رأي من عجائب الأبنية بالحرم الشريف، ما ملأ عينيه، وأثلج صدره[١٢٣] .

وبالقدس مقابر بعض أنبياء الله عليهم الصلوات والتسليم، منهم هارون عليه السلام الذى دفن بجبل قبلي الحرم الشريف المقدس عرف بـ (طور هارون)[١٢٤] . ومنهم داود عليه السلام، وهو مدفون بالقرب من المسجد الأقصي ، والي جانبه مسجد[١٢٥] . ويوجد بقرية (ياقين) إحدي قري القدس مقام آل لوط النبى عليه السلام حيث كانت هذه القرية مسكنه بعد رحيله من المؤتفكة[١٢٦] .

وحول القدس قبور أخري للأنبياء منهم : موسى عليه السلام[١٢٧] . ويوجد مقامه شرقي القدس ، وعنده مسجد كبير ، وقد استند القزويني في تأكيده على وجود قبر موسى عليه السلام بالقرب من القدس الي حديث صحيح رواه الامام مسلم[١٢٨] فيه أن سيدنا موسى عليه السلام عندما أتاه الموت، سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فاستجاب له الله، ومر رسول الله صلي الله عليه وسلم بقبره في رحلة الإسراء، وقال :

(والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلي جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) ومنهم يونس عليه السلام ويقع قبره فى قرية حلحول بين القدس والخليل[١٢٩] ، وعليه بناء وقبة زارهما وزار القبر (العمري) عدة مرات، وكان آخرها سنة ٧٤٥ هـ ، ١٣٤٤م، وكتب علي جدار القبة بيتين خطرا له في ذلك الوقت[١٣٠] ، كما زاره ابن بطوطة وهو في طريقة الي القدس، وفي ذلك يقول «فزرت في طريقي اليه تربة يونس عليه السلام، وعليهما بنية كبيرة ، ومسجد)[١٣١] .

هذا بالإضافة إلي قبور انبياء اخرين تقع جنوبي القدس. وتناولها الرحالة بالتفصيل [١٣٢].

ولأنه – وكما يقول العمري – في القدس لكل الملل معتقدا . وإليها توجها [١٣٣] ، فان الرحالة تحدثوا عن كنيسة القيامة بالقدس التي يعظمها النصارى . وتقع هذه الكنيسة في وسط القدس، ويحيط بها سور، وهي حسنة العمارة والبناء [١٣٤] . وقد أشار ياقوت الحموي والقزويني الي ماكان يتمتع به النصارى من حرية العبادة والاعتقاد . بينما اشار ابن بطوطة إلى حج النصارى إلي هذه الكنيسة، وذكر مواضع أخرى بالقدس يزورها النصارى، يتبركون بها ومنها كنيسة بيت لحم، مكان مولد عيسى عليه السلام [١٣٥] .

* الرحالة وأحوال القدس الاقتصادية

وردت اشارات في كتب رحالة القرنين السابع والثامن الهجريين عن بعض احوال القدس الاقتصادية، وبخاصة الأوضاع الزراعية .

*مياه القدس وإنتاجها الزراعي

اشتهرت القدس في تاريخها بقلة الماء، لعدم وجود نهر أو ينبوع دائم الجريان بها، وكان اعتمادها علي الأمطار والآبار في الشرب والاحتياجات الأخرى للانسان، وفي الزراعة ايضا . وقد أشار الرحالة إلي آبار القدس، وبخاصة الموجودة بصحن الحرم الشريف التي رأها العمري وذكرها جميعا في كتابة (مسالك الأبصار) ومنها "بئر الرمانة، وبئر الشوك وبئر الورد وبئر باب الجنة، وبئر الكاس، وبئر الورقة، وبئر البحيرة، والبئر الأسود [١٣٦] ، ورأى آبارا أخرى بالحرم وهي ملأى بالمياه [١٣٧] ، وكانت دور القدس لا تخلو من صهريج يتجمع فيه مياه المطر اللازم للشرب، يقول ياقوت:

(ويشرب أهل المدينة من ماء المطر، ليس فيها دار إلا وفيها صهريج)[١٣٨]. وقد رأى الرحالة العمري هذه الصهاريج. وبخاصة صهاريج الحرم الشريف وذكر أن كل صهريج مركب عليه خرزة رخام أو حجر منحوت[١٣٩] .

أما عن عيون مدينة القدس، فتوجد بعض العيون في قريتين بالقدس تسميان (العروب)[١٤٠] . ومن عيون هاتين القريتين ساق الأمير تنكز قناة إلي مدينة القدس سنة ٧٢٨هـ /١٣٢٧م. ويسطها إلي بركة ، يرفدها بالماء زمان فلته ، وأوصلها إلي الحرم الشريف[١٤١] .

وبه عين سلوان، التي تسقي جنانا عظيمة، وقد أوقفها عثمان بن عفان رضى اللع عنه علي ضعفاء البلد[١٤٢] وقد وصفها العمري وصفا دقيقا[١٤٣]. وذكر العمري[١٤٤] أن عند هذه العين واديا يعرف بوادي جهنم، يزرع فيه الكروم والبساتين.

وتعد أرض القدس من أخصب أراضي فلسطين[١٤٥] . ومن إنتاج القدس الزراعي: أشجار الزيتون[١٤٦] ، والتوت[١٤٧] ، والتين[١٤٨] والكروم[١٤٩] ، والنخيل [١٥٠] والموز واللوز والجوز[١٥١] . هذا بالاضافة الي البساتين الأخري المختلفة [١٥٢] ، والأزهار التي تسترعى الانتباه وتأخذ بلب المشاهد [١٥٣]. وكانت أشجار الميس [١٥٤] مما يزرع بالقدس أيضا[١٥٥] . وذكر العمري [١٥٦] أنه أمام أبواب السور الغربي للحرم الشريف بالقدس أشجار من التوت والميس، تحتها مسطبة ، يصلي الناس عليها ويستظلون.

وأورد أيضا أن بين السور الشرقي للحرم الشريف وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون ، والميس والتوت والتين ، تقدير عدتها مائة شجرة (يستظل الناس تحتها ويصلون) [١٥٧].

وتشير المصادر [١٥٨] الي أن الزراعة بالقدس تركزت في القري والأودية واطراف الجبال. كما تشير الي أن طريقة غرس الاشجار كانت معروفة ومستعملة بالقدس [١٥٩].

*** الصناعات والمهن والتجارة**

يتبين لنا من بين وصف وحديث الرحالة عن القدس ان الصناعات الخشبية كانت معروفة بالمدينة ، وانها كانت متقدمة بدليل وصف أبواب ودار بزين الحرم الشريف [١٦٠] . وكان بجوار أحد أبواب الحرم الشريف مكان يعمل فيه النجارون تجارة الحرم، وذكر ذلك العمري [١٦١]، وأغلب الظن أن الأخشاب كانت من أشجار الميس والتوت التي كانت موجودة بكثرة في القدس، والتي أشار اليها الرحالة.

كما يدل استخدام القناديل ووجود الزيت [١٦٢] إلي استخراجه من الزيتون. كذلك فان الشبابيك الحديدية التي كانت بالحرم الشريف، وذكرها العمري تدل علي وجود حدادين بالقدس [١٦٣]. وبالمثل يدل الرخام المتعددة الأشكال والألوان ، والبلاط، بالحرم الشريف وبالمدارس التي بالقدس علي صناع ومهنيين يعملون في هذه الحرفة [١٦٤].

وقد أشار العمري الي وجود البوابين [١٦٥] والفراشين [١٦٦] بالمسجد الشريف بالقدس، وذكر مسكنهم بالحرم. وهذا يدل علي وجود هذا العمل بالقدس زمن البحث والدراسة.

أما عن التجارة ، فهناك إشارات عن أسواق القدس، وبخاصة في القرن الثامن الهجري [١٦٧] ، وبطبيعة الحال كان إنتاج القدس الزراعي، ومايصل إليها من المدن الفلسطينية الأخري ، ومن الشام وغيره بصفة عامة مما يباع

في هذه الأسواق، وكذلك عسل قرية (تقوع) آحدي قري القدس الذي ضـــرب به المثل في الجودة كما يقول ياقوت (١٦٨).

***الرحالة وبعض المظاهر الاجتماعية**

من بين العادات الاجتماعية الدينية التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته أن أهل القدس يتوجهون بعد صلاة عصر يوم عرفـــة الـــي ســـاحة الحـــرم الشريف، فيقفون خلف إمامه، كاشفي رؤوسهم ، داعين خاضعين خاشـــعين ، ملتمسين البركة، ويتوخون الساعة التي يقف فيها وفد الله تعالي وحجاج بيتـــه بعرفات، ولايزالون في خضوع ودعاء وابتهال وتوسل إلي الله تعالي إلـــي أن تغيب الشمس ، فينفرون كما ينفر الحاج باكين علـــي مـــاحرموه مـــن ذلـــك الموقف الشريف بعرفات، داعين إلي الله تعالي أن يوصلهم إليها، ولايخيبـــهم من بركة القبول فيما فعلوه (١٦٩).

ومن عاداتهم أيضا فيما يتصل بالجنـــائز (١٧٠) أنـــهم يمشـــون أمـــام الجنائز، والقراء يقرأون القرآن بالأصوات الحسنة، والقراءة المبكيـــة التـــي تكاد النفوس تطير لها رقة. وأنهم يعلنون عن وفاة الميت بصـــــوت مرتفـــع ليعلم الناس (١٧١).

ومن العادات الطيبة المتصلة بالنســـاء ورآهـــا العمـــري بنفســـه أن بعضهن كن يصلين الصلوات الخمــــس خلـــف الإمـــام بـــالحرم الشـــريف بالقدس(١٧٢) . وكان للنساء باب خاص بهن من بين أبواب الحرم عرف بباب النساء وذكره العمري أيضا(١٧٣) .

ويبدو من خلال رحلة الرحالة العمـــري أن أهـــالي القـــدس كـــانوا يجتمعون عند مساطب (١٧٤) الحرم الشريف، مستظلين بالأشجار للتحادث

والمناقشة وقضاء بعض الوقت [١٧٥].

وقد رصد العمري [١٧٦] وابن بطوطة [١٧٧] ظاهرة التصوف بالقدس، ومايتبعها من تخصيص خلوات وخانقاوات معدة للمتصوفة والزهاد والمنقطعين للعبادة. وكان لشيخ الحرم الشريف خلوه خاصة به. وذكر ابن بطوطة انه صحب الشيخ الصالح العابد أبي عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفي، وليس منه خرقة التصوف [١٧٨].

ولم يكن اليتامي بالقدس مهملين، فلقد كان لهم مكتب يتعلمون فيه العلم [١٧٩].

* الرحالة والحياة العلمية بالقدس

أشار الرحلة الي طرف من الحياة العلمية بالقدس، فذكروا انه كان به مدارس عدة (وبالقدس مدارس، وخانقاه، وربط، وزوايا) [١٨٠].

ومن هذه المدارس : المدرسة المعظمية [١٨١] التي بناها المعظم عيسي بن العادل سنة ٦١٠ هـ، ١٢١٣ وهي خاصة بتدريس الفقه علي المذهب الحنفي. وذكر العمري أن طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع، ولها بابان يفتحان للشمال، يخدمها ثلاثة أعمدة من الرخام، ويدخل من البابين لرواق طوله ثمانية عشر زراعا ونصف في عرض ستة، ومسقف بسقف مذهب، ولها قبتان: واحدة بالجهة الغربية، والأخري بالجهة الشرقية، وذلك من رواق المدرسة. وبالمدرسة سكن للإمام والفراش.

وكان الإمام يصلي بالطلبة الصلوات الخمس. ورتب بها الملك المعظم عيسي بن العادل خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو، وشيخا لهم،

واشترط أن يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته، ووقف على ذلك قرية تسمى (بيت لقيا) [١٨٢] من عمل القدس الشريف وكان أمام القبة الشرقية من الرواق صفة [١٨٣] عليها ر. امة منقوشة مزولة [١٨٤] لمعرفة ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان ، وعرضها ذراع وثلث وارتفاعها ذراع ونصف، وكان لهذه المدرسة عدة آبار وصهاريج.

ومن المدارس التي وصفها العمري أيضا: المدرسة الكريمية [١٨٥] التي طولها من الشرق للغرب خمسه و عشرون ذراعا ، ولها عدة أروقة امام هذه الأروقة مسطبة يصعد إليها بأربع درجات [١٨٦] .

وهناك أيضا مدرسة آل ملك [١٨٧] ولها سلم يصعد منه إليها [١٨٨]. ومدرسة الأمير علم الدين سنجر المعروفة بالجاولية [١٨٩] عند زاوية الحرم الشمالية، ولها عدة شبابيك في اتجاه السور الشمالي للحرم الشريف [١٩٠]. ومدرسة الأمير سيف الدين تنكز، المعروفة بالتنكزية [١٩١] وهي في اتجاه السور الغربي للحرم الشريف ولها عدة شبابيك في الاتجاه السابق ، وملحق بها خانقاه [١٩٢]، ووصفت هذه المدرسة في موضع آخر من (مسالك الأبصار) للعمري بأنها مدرسة جليلة خصصت لتدريس المذهب الحنفي[١٩٣].

ويدلنا ابن بطوطة من خلال ذكر بعض فضلاء القدس ممن التقي بهم في رحلته الي القدس علي انها كانت مركزا لعدد من الفقهاء والعلماء والمدرسين من أنحاء العالم الأسلامي، مما يبين النشاط العلمي في هذه المدينة في ذلك الوقت [١٩٤]، فهذا العالم شمس الدين محمد العزي، وهو من أهل غزة، وهذا الشيخ عماد الدين النابلسي، وهذا مدرس المالكية وشيخ

الخانقاه الكريمية محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس، وهذا الشيخ ابو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفي من أهل أرز الروم (١٩٥)٠

ومما ذكره ابن بطوطة سابقا يتبين لنا أيضا وجود مدرسين للمذهب المالكي بالاضافة الي المذهب الحنفي، ولعل المذهبين الآخرين : الشافعي والحنبلي عرفا أيضا في القدس ، وهو مما أكده الحنبلي في كتابة (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) (١٩٦)وكانت هذه المدارس بطبيعة الحال تدرس العلوم الدينية واللغوية وغيرها إلي جانب حلقات التدريس التي كانت تعقد بمساجد القدس، وبخاصة في الحرم الشريف٠

وبعد — فقد قدم رحالة القرنين السابع والثامن الهجريين صورة للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية داخل مدينة القدس خلال هذه الفترة الزمنية و وردت إشارات أخري يسيرة عن الادارة وبعض الوظائف الدينية بالقدس، فلقد كان للقدس نائب عن السلطان (١٩٧) ، كما كان للحرم الشريف ناظر يتولي شئونه وأوقافه (١٩٨) وله أيضا شيخة (١٩٩) وإمامه (٢٠٠) بالاضافة الي قراء القرآن ومعلمية (٢٠١) والمؤذنين (٢٠٢) والخدم والبوابين (٢٠٣).

* الخلاصة

١- أكد رحالة القرنين السابع والثامن الهجريين علي عروبة القدس من خلال تاريخها الموغل في القدم قبل الميلاد بأربعة آلاف عام ، ومن خلال الاسم القديم للقدس ذاته ، ثم من خلال آثار المسلمين ومنشآتهم في المدينة المقدسة، ومن خلال وقفية معظم أراضيها وعقاراتها علي مقدساتها وبخاصة الحرم الشريف الذي يشمل المسجد الأقصي المبارك ومسجد قبة الصخرة.

٢- وصف الرحالة مدينة القدس وصفا دقيقا من حيث حرمها الشريف، ومساكنها ، وطرقها، ومدارسها وأسواقها، ومياهها ، وأوضاعها الاقتصادية. و وردت إشارات خاصة بسكانها، وأخري خاصة بالادارة للمدينة المقدسة. واتفقت هذه الرؤي والمشاهدات مع مثيلا تها التي وردت في كتب الرحالة الأجانب في الفترة نفسها.

٣- اختص (ياقوت الحموي) و(القزويني) و(العمري) و(ابن بطوطة) بتقديم مادة وفيرة عن القدس ، في حين أن غيرهم كان حديثة عن القدس مقتضبا، اعتمادا علي شهرتها ، وهو ماصرح به شيخ الربوة [٢٠٤] بقوله : (وشهرة البيت المقدس تغنينا عن ذكره وذكر ما فيه). ولذلك تحدث (ابن سعيد) و(أبوالفداء) عن مدينة القدس في بضع سطور ، في حين أن رحالة كابن جبير لم يتحدث عن القدس لأنه بدأ رحلته سنة ٥٧٨هـ ، ١١٨٢م وانتهي منها سنة ٥٨١ هـ ، ١١٨٥م وكانت القدس لاتزال محتلة علي أيدي الصليبيين [٢٠٥] ، وقام برحلتين آخريين ولكنه لم يدون مشاهداته فيهما.

٤- كان اعتماد الباحث في هذه الدراسة علي ماشاهده الرحالة بأعينهم ووصفوه في كتبهم، مع الاعتماد علي مانقلوه ممن تقدمهم زمنيا عند الحديث

عن عروبة القدس ، أو لبيان قدم ماشاهدوه ودونوه في كتبهم.

٥- ومن خلال البحث يتضح لنا أن العمران بالقدس بلغ اقصاه في القرن الثامن الهجري، بدليل أن كل المدارس التي شاهدها (العمري)ووصفها كانت قد بنيت في هذا القرن، كذلك بدي في هذا القرن بإقامة عدة اصلاحات مهمة لمدينة القدس. وهذا لايقلل من الوضع العام للقدس في القرن السابع الهجري بدليل وصف (ياقوت) و(القزويني) للمدينة في هذا القرن.

هوامش البحث

(١) العُمرى : مسالك الابصار فى ممالك الأمصار، دولة المماليك الاولى ، تحقيق دُوروتيا كرافولسكى ص ١٦٦ وراجع جـ١ ص ١٦٨ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٢١٢ .

(٢) فضيلة الشيخ محمدالغزالى : محاضرات الشيخ محمدالغزالى ص ١٠٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ١ ص ٢٠٩ وراجع من ص ٢٠٧ وراجع تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ ص ٤١ و ٤٤، ٨١ – ٨٨ .

(٤) راجع ابن سعيد : بسط الارض فى الطول والعرض ص ٨٥ والقزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٢ وأبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٤ والعمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ١٣٤ والجزء الخاص بدولة المماليك الأولى ص ١٦٦، وياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ١١١ و ٣١١ – ٣١٥ وجـ ٤ ص٤٨٣ – ٤٨٤ .

(٥) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن جـ٦ ص ١٢٦ .

(٦) مثل قبيلة عاد، وثمود ومدين وطَسْم وجديس، وغيرهم .

(٧) فضيلة الشيخ الغزالى : محاضرات الشيخ محمدالغزالى ص ١٠٠

(٨) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ١ ص ٢٠٩ وابن الأثير : الكامل جـ١ ص ٨١ وسماهم ابن الاثير « الكنعانيين » فى هذه الصفحة، فى حين أنه سمى العرب « الجبارين » وهو يتحدث عن الموضوع نفسه ص ٢٠٠ – ٢٠٣ . وراجع النويرى : نهاية الأرب جـ١٣ ص ٢٦٠ وسمى العرب : الكنعانيين الجبارين وحتى ص ٢٦٧ وجـ١٤ ص ١-٣ ، وابن الجوزى : فضائل القدس ص ١١٠ – ١١٢ ومجير الدين الحنبلى : الانس الجليل جـ١ ص ٩٤ – ٩٥ وص ١٤٥ – ١٥٢ وراجع تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ ص ٨١-٩٣ .

(٩) الآيات ٢١-٢٥ من سورة المائدة . وراجع تفسير هذه الآيات عند ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٣٦ – ٤١ والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ٦ ص ١٢٥ – ١٣٣ .

(١٠) سورة الأعراف ، الآية ١٢٩ .

(١١) محاضرات الشيخ محمدالغزالى ص ١٠١ وراجع حتى ص ١٠٩ .

(١٢) راجع القزوينى : آثار البلاد ص ١٤٢ – ١٤٣ والعمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص ١٣٤ حيث ذكر أن يوشع سُلط على الجبارين فى الأرض المقدسة، ثم سلط الكفار على بيت المقدس . ويقصد

أن الله سبحانه وتعالى سلط البابليين على بنى إسرائيل فساموهم سوء العذاب. وراجع العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ١٦٦ - ١٦٧ وراجع تقويم البلدان لأبى الفدا ص ٢٤٠ - ٢٤١. وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٢٧٥.

(١٣) أو مدينة السلام كما ذكر الأستاذ عارف باشا العارف: تاريخ القدس ص ١١ والأستاذ على الدجانى: القدس إيمان وجهاد ص ١٠٨.

(١٤) د. إسحاق الحسيني : مكانة بيت المقدس فى الإسلام. مقال نشر بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية والخاص بـ «المسلمون والعدوان الإسرائيلى» ص ٥٧.

(١٥) ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٢٧٩ وشيخ الربوة: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٢٦٨. وراجع عن ذلك من المصادر التاريخية إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للمنهاجى السيوطى جـ١ ص ٩٤.

(١٦) جاء أن بنى إسرائيل دخلوا فلسطين ومدينة القدس سنة ١٠٤٩ ق. م. راجع عارف باشا العارف: تاريخ القدس ص ١٤ - ١٥ وعلى الدجانى: القدس إيمان وجهاد ص ١٠٩ وفضيلة الشيخ عبد الحميد السايح: مكانة القدس فى الإسلام، مقال نُشر بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ص ٧١.

(١٧) العُمرى : مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ وراجع عن بعض الأوقاف جـ١ ص٢٠٣ ويُذكر هنا أنه كان لصلاح الدين الأيوبى أوقاف عديدة على مسجد قبة الصخرة. راجع الروضتين لأبى شامة جـ٢ ص ١١٤ وكنز الدرر جـ٧ ص ٩٠ للدوادارى واتحاف الأخصا للمنهاجى جـ١ ص ٢٧٢ وراجع عن بعض الأوقاف الأخرى الحنبلى: الأنس الجليل جـ١ ص ٤٠٣ وجـ٢ ص ٣٣-٤٩ وراجع عن بعض الأوقاف النعيمى: الدارس جـ١ ص٦٥

(١٨) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ٤٢٧.

(١٩) العُمرى: مسالك الابصار جـ١ ص ١٤٦ وراجع أوقافاً أخرى ص ٢٠٣ وراجع الحنبلى : الأنس الجليل جـ١ ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢٠) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٦٣ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ١٧٨.

(٢١) تميم الدارى هو تميم بن أوس بن خارجة، من بطن من لخم، كان نصرانياً وأسلم فى سنة تسع من الهجرة، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام. ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ١ ص ٢٧٠.

(٢٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٢ ص ٢١٢ كما أورد العمرى نص كتاب النبى ﷺ ورأى العمرى بنفسه هذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م. مسالك الأبصار جـ١ ص ١٧٣ - ١٧٦ .

(٢٣) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل جـ٢ ص ٨٢ .

(٢٤) راجع العمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ١٣٦ وص ١٣٧ وراجع تقويم البلدان لأبى الفدا ص ٢٤٠ - ٢٤١ ولمزيد من التفصيل عن مدينة القدس فى عهد الخلفاء الراشدين راجع الأنس الجليل للحنبلى جـ١ ص ٢٤٤ - ٢٦٧ وراجع من ص ٢٨٥ - ٢٨٧ ،وعن الوقوف على من دخل القدس من الصحابة راجع من ص ٢٦٠ - ٢٦٧ .

(٢٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢٦) راجع تقويم البلدان ص ٢٢٧ وص ٢٤٠ - ٢٤١ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٩ . ويذكر هنا أن بعض المصادر التاريخية ككتاب «الأنس الجليل جـ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٥» لمجير الدين الحنبلى ذكرت أن بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى حدث فى خلافة عبد الملك بن مروان وانتهى من هذا العمل سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م، ثم قام الوليد بن عبد الملك ببناء شرقى المسجد الأقصى الذى تهدم فى خلافته. وراجع ص ٢٨٠ - ٢٨١ وجـ٢ ص ١٨ وبالمثل ذهب المنهاجى السيوطى (اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٢٥) إلى أن عبد الملك بن مروان هو الذى بنى قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وراجع ص ٢٤١ - ٢٤٥ ذكر الرحالة ياقوت الحموى هذا الرأى أيضاً (جـ٥ ص ١٦٩ معجم البلدان) بينما ذهب الرحالة أبو الفدا أنها من بناء الوليد بن عبد الملك (تقويم البلدان ص ٢٢٧ وص ٢٤٠ - ٢٤١). وقد اعتمدت الدكتورة سيدة كاشف على أوراق البردى فى دراستها لهذه القضية، وأثبتت من خلالها أن الوليد بن عبد الملك هو الذى بنى قبة الصخرة والمسجد الأقصى (الوليد بن عبد الملك ص ٢٠٢ - ٢٠٣) وراجع فى هذه القضية «اتحاف الأخصا» جـ٢ ص ١٧٥ .

(٢٧) هَمّ الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك بالإقامة ببيت المقدس وجعلها عاصمة لخلافته. الأنس الجليل جـ١ ص ٢٨٢

(٢٨) راجع هامش (٥) ص ٢٤٥ من كتاب «إتحاف الأخصا جـ١»

(٢٩) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٩ .

(٣٠) بينت المصادر أنه وقع فى خلافة المنصور راجع الأنس الجليل جـ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ وإتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣١) السيوطى المنهاجى : إتحاف الاخصا جـ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ومجير الدين الحنبلى : السابق ص ٢٨٣ وقد ذكر الطبرى (تاريخ الطبرى جـ٨ ص ١٤٨) وابن الأثير (الكامل جـ٦ ص ٦١) زيارة الخليفة المهدى العباسى لمدينة القدس سنة ١٦٣هـ / ٨٧٩م،وذلك - عندى- لمتابعة عمارة المسجد الأقصى.

(٣٢) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٧٠.

(٣٣) راجع عن هذا مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل جـ١ ص ٣٠٣ - ٣٠٧. ويُذكر هنا أن الأستاذ عارف باشا العارف ذكر أن الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله عَمّر المسجد الأقصى سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م وأن القبة الحالية والأبواب السبعة التى فى شمال المسجد من صنع الظاهر. وهناك كتابة - حتى الآن - بالخط الكوفى وبالفسيفساء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التى تحمل القبة من الشمال، تشير إلى ما فعله الظاهر فى ذلك التاريخ. تاريخ القدس ص ٢٩٥. وقد أثبتت الدراسات المعمارية التى أجريت للمسجد الأقصى فى العصر الحديث أن البناء الموجود حالياً، إنما يرجع الجزء القديم منه إلى عهد الخليفة المهدى العباسى (سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م) وأن ما أجرى له فى العهد الفاطمى، هو إضافة رواقين من الجانبين للمسجد، ليكون له سبعة أروقه وهو ما عليه المسجد الحالى، إضافة إلى القبة الحالية والأبواب السبعة فى شمال المسجد التى هى من صنع الظاهر الفاطمى. راجع اتحاف الاخصا جـ٢ ضمامة رقم (١) بقلم المحقق د. أحمد رمضان ص ١٨٣ وراجع على الدجانى : القدس إيمان وجهاد ص٩٣.

(٣٤) عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الإطلاع جـ٣ ص ١٢٩٦.

(٣٥) المنهاجى السيوطى: إتحاف الاخصا جـ١ ص ٢٧١ وص٢٧٢ والحنبلى: الانس الجليل جـ١ ص ٢٣٩-. ٢٤٠ وراجع العماد الأصفهانى : الفتح القسى ص ١٣٧ وص ١٤١ وص ١٤٣ وص ١٤٥ وأبو شامة: الروضتين جـ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ وص ١١٣ وسبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ٨ قسم ١ ص ٣٩٧ وابن واصل: مفرج الكروب جـ٢ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ والدوادارى: كنز الدرر جـ٧ ص٩٠ والمقريزى : السلوك ط قسم ١ ص ٩٧. وذكرت هذه المصادر أن السلطان صلاح الدين وضع بالمسجد الاقصى المنبر الخشبى الجميل الذى صُنع فى زمن السلطان نور الدين محمود لهذا الغرض. وهذا المنبر احرقه اليهود سنة ١٩٦٩م. وعن هذا الحريق راجع على الدجانى: القدس إيمان وجهاد ص ١٢٥ ، ١٤٩ وص٢٠٢ وراجع إتحاف الاخصا جـ٢ ص ١٨٥ تعليقات المحقق د. أحمدرمضان.

(٣٦) راجع عارف باشا العارف : تاريخ القدس ص ٢٩٥.

(٣٧) راجع عن اهتمام بني أيوب بالقدس ومعالمها المنهاجي للسيوطي : إتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٧٢-٢٧٣. والحنبلي: الأنس الجليل جـ١ ص ٣٤٠ وراجع أبو شامة: الروضتين جـ٢ ص١١٤ والنعيمي : الدارس جـ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ وص ٥٥٧ وص٥٨٤ وجـ٢ ص١٨٠

(٣٨) عارف باشا العارف : تاريخ القدس ص ٢٩٦ وراجع ص ٨٤.

(٣٩) العمري : مسالك الإبصار جـ١ ص ١٤٦ وراجع ابن واصل : مفرج الكروب جـ٤ ص٢١١.

(٤٠) راجع عارف باشا العارف : تاريخ القدس ص ٢٩٣.

(٤١) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٥ - ١٤٧ وراجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ١ ص٤٠٣.

(٤٢) عارف باشا العارف: تاريخ القدس ص ٨٤ وللوقوف على جميع آثار الأيوبيين التي لاتزال موجودة حتى الآن بمدينة القدس راجع من ص ٨٠ - ٨٥ وص ٢٩٣ - ٢٩٤ وراجع أيضاً الأنس الجليل جـ٢ ص ٢١.

(٤٣) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٧ وص١٥٩ وص١٦٢ وص١٦٣ . وراجع ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ٥٩.

(٤٤) المدرسة الكريمية من وقف ناظر الخواص بالديار المصرية كريم الدين عبد الكريم بن مكانس سنة ثماني عشرة وسبعمائة من الهجرة. الأنس الجليل جـ٢ ص٣٩-٤٠

(٤٥) مدرسة آل مَلك من بناء الأمير سيف الدين الحاج آل مَلكَ الجوكندار سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة. العمري: مسالك الامصار جـ١ ص١٥٩ والأنس الجليل جـ٢ ص٣٨.

(٤٦) المدرسة الجاولية من وقف الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة والقدس سنة ٧١٥هـ/ ١٣٠٥م. العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٩ والأنس الجيل جـ٢ ص٣٨.

(٤٧) المدرسة التنكزية من وقف الأمير تنكز الناصري نائب الشام، وبدئ في عمارتها سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، وانتهى من عمارتها بالكامل بعد عامين. الأنس الجليل جـ٢ ص ٣٥ وراجع النعيمي: الدارس جـ١ ص١٢٣

(٤٨) راجع عن ذلك عارف باشا العارف: تاريخ القدس ص ٨٩ - ٩٨ وراجع د. كمال العسلي: آثار القدس. ص ٣١٦ - ٣٢٠. مقال في أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية بليبيا ونشر في الجزء الأول للمؤتمر.

(٤٩) للوقوف على منشآت المماليك وآثارهم بالقدس بصفة عامة راجع العمري: مسالك الابصار جـ١ ص١٥٨ وص ١٦٠ وص١٦١ وراجع مسالك الابصار، دولة المماليك الاولى بتحقيق دوروتيا

كـرافـولـسكي ص ٢٠٩ وص ٢١٠ وراجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢ ص٣٤-٤٦ و٤٧-٤٩ وراجع النعيمي: الدارس جـ١ ص ٦٠١ وص٦٠٦.

وللوقوف على اهتمام سلاطين المماليك بالمسجد الأقصى راجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢ ص٢١-٢٢ وص٢٧ وص ٣١ وص٣٥. وعن إصلاحات وإضافات سلاطين المماليك التي لاتزال بالمسجد الأقصى راجع عارف باشا العارف : تاريخ القدس ص ٢٩٦.

(٥٠) تعد مدينة عسقلان من أعمال فلسطين، على ساحل البحر، وكان يُقال لها عروس الشام، ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص١٢٢ وراجع القزويني: آثار البلاد ص ٢٢٢. وراجع شيخ الربوة: نخبة الدهر ص ٢٦٨ للوقوف على انتقال سكان الرملة إلي القدس زمن عبدك الملك بن مروان إثر الزلازل التي هدمت الرملة.

(٥١) راجع عن ذلك ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص١٢٢ والقزويني: آثار البلاد ص ٢٢٢.

(٥٢) أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٣٩، واستمرت عسقلان خراباً إلى زمن الحنبلي في القرن العاشر الهجري. الأنس الجليل جـ٢ ص٧٤.

(٥٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٩.

(٥٤) قيسارية: مدينة من أعمال فلسطين تقع على ساحل البحر المتوسط ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص٤٢١.

(٥٥) ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٤٢١.

(٥٦) أبو الفداء: تقويم البلدان ص٢٣٩

(٥٧) أرسوف: تقع بين قيسارية ويافا، وكانت زمن ياقوت في أيدي الصليبيين. ياقوت: معجم البلدان جـ١ ص ١٥١ - ١٥٢. وفتحها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م راجع كنز الدرر للداوداري جـ٨ ص١٠٧..

(٥٨) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٣٩.

(٥٩) عن حيفا راجع ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٣٣٢.

(٦٠) العمري: مسالك الأبصار،دولة المماليك الأولى ص ٢٠٨. وهناك أيضاً موضع بمدينة الرملة بفلسطين كان خراباً، وهو «عسكر الرملة» ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ١٢٣.

(٦١) عنها راجع ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص ١٤٣ - ١٤٤ والقزويني: آثار البلاد ص٢٢٣ -

٢٢٤ وكانت في رمالهما بأيدى الصليبيين، ثم تحررت سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م زمن الملك الأشرف خليل بن قلاوون. راجع الدواداري. كنز الدرر جـ٨ ص٣٠٨ - ٣١٠

(٦٢) أبو الفداء. تقويم البلدان ص ٢٤٢

(٦٣) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٦

(٦٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٦١

(٦٥) أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٤٤.

(٦٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٦١ وعن مدينة صور راجع ياقوت: معجم البلدان جـ٣ ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٦٧) أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٣٢، وص ٢٥٠ وص٢٦٩.

(٦٨) بنيامين بن يونة التطيلى ص ٩٨

(٦٩) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠.

(٧٠) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨.

(٧١) القزوينى: آثار البلادص ١٦٠

(٧٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٧، وراجع أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٢٧ حيث وصف القدس بالكبر.

(٧٣) القلقشندى: صبح الأعشى جـ٤ ص١٠١

(٧٤) كان بنيامين التطيلى الذى زار القدس أثناء الاحتلال الصليبى لها قد ذكر أن بها مائتى يهودى فقط، رحلة بنيامين ص ٩٩ وهناك إشارات أوردها الحنبلى فى كتابه الأنس الجليل جـ٢ ص٥٢ وص ٥٣ وص٥٦ إلى حارة اليهود بالقدس، مما يدلل على قلة عددهم وضآلته وذكر العمرى (مسالك الأمصار، دولة المماليك الاولى ص ١٣٦ وص٢١٠) أن اليهود كانوا نيزورون مدينة القدس، وكذلك النصارى. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصليبيين عندما دخلوا القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م ذبحوا يهودها إلا النزر اليسير منهم ولذا لم يبق منهم بالقدس بعد استيلاء الصليبيين عليها سوى أربعة. ولما استعاد صلاح الدين القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م زار رحالة أوربى القدس وهو Felix Fabri فوجد بالمدينة خمسمائة يهودى ونحو الف نصرانى. راجع مقدمة محقق رحلة بنيامين ص ١٧ وراجع ص٩٩ وص١٠٣ وراجع د. عبد الفتاح عاشور: « اليهود فى

العصور الوسطى، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب ص ٣٥٧؛ وهو بحث نشر في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

(٧٥) راجع في هذا الوصف ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨؛ وأبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٢٧ والعمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٩ ، وقارن ذلك بالقلقشندى: صبح الأعشى جـ٤ ص ١٠١ . Maundiville: The Marvellovs Adventures, p. 100

(٧٦) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ وراجع القزوينى : آثار البلاد ص ١٦٠ .

(٧٧) الكلس: الجير، وهو المادة المتبقية بعد تسخين الحجر الجيرى تسخيناً شديداً، وبعد خروج بعض مكوناته .المعجم الوسيط جـ٢ ص ٧٩٥ .

(٧٨) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٩، وراجع القلقشندى: صبح الأعشى جـ٤ ص١٠١ .

(٧٩) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٧

(٨٠) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص١٦٨

(٨١) القزوينى: آثار البلاد ص ١٦٠ وهو ما ذكره ياقوت أيضاً فى معجمة جـ٥ ص ١٦٨ . ويذكر هنا أن رحالة أوربياً زار القدس في النصف الاخير من القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى، ووصف المدينة وصفاً اتفق فيه مع وصف الرحالة المسلمين، من حيث العمران.
Fra Niccolo: Avoyage Beyond The Seas. P. 9-15

(٨٢) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ وراجع ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨

(٨٣) راجع عن ترجمته النعيمى: الدارس جـ١ ص ١٢٣ - ١٢٧ وراجع ابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٢ ص ٣٢١ - ٣٢٢ وابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص ٥٩٨ و ٥٩٩ .

(٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص ٥٢٨ والنعيمى: الدارس جـ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ وراجع ابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٢ ص ٣٢٢ .

(٨٥) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ ووصف العمرى أيضاً الآبار والصهاريج التى بصحن المسجد الأقصى. مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٠ .

(٨٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ .

(٨٧) راجع ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ٩ قسم ١ ص ٨٦ .

(٨٨) النعيمي : الدارس جـ٢ ص ٢٧٢ ، والحنبلي : الأنس الجليل جـ٢ ص٩٩ وص٢٨٤

(٨٩) ياقوت :معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ وص ١٦٩

(٩٠) راجع القزويني : آثار البلاد ص ١٦١

(٩١) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ص ١٦٨ .

(٩٢) القزويني : آثار البلاد ص ١٦١

(٩٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٧

(٩٤) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ والقزويني : آثار البلاد ص ١٦١ وابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ .

(٩٥) راجع عن الحرم الشريف الذى يتضمن المسجد الأقصى ، ومسجد قبة الصخرة ، ومسجد المغاربة العمرى : مسالك الأبصار ، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٩ وجـ١ ص ١٣٩ - ١٧٣ ، والحنبلي : الأنس الجليل جـ٢ ص ١١- ٣٣ وقد تحدث الحنبلي فى هذه الصفحات عن طول وعرض الحرم الشريف بذراع العمل التى تذرع الأبنية فى عصره ، غير عرض السورين ، وذكر أنه قام بنفسه بهذا القياس (راجع ص ٢٤)

(٩٦) عن الذراع وأنواعه راجع محمد نجم الدين الكردى : المقادير الشرعية والاحكام الفقهية المتعلقة بها منذ عهد الرسول ﷺ وتقويمها بالمعاصر ص ٢٤٤ - ٢٦٥ وقد ذكر القلقشندى (صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤٢) أن الذراع الذى كان يقاس به الأراضى طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل بين الطول والقصر .

(٩٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ وراجع القزويني آثار البلاد ص ١٦٢ . وقد بين الحنبلي فى كتابه « الأنس الجليل جـ٢ ص ١٢ » أن ذراع المسجد الأقصى فقط فى الطول من المحراب الكبير إلى عتبة الباب الكبير مائة ذراع بذراع العمل غير جوف المحراب ، وغير الأروقة التى بظاهر الابواب الشمالية ، وعرضه من الباب الشرقى الذى يخرج منه إلى الباب الغربى ستة وسبعون ذراعاً بذراع العمل .

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ والقزويني : آثار البلاد ص ١٦١ .

(٩٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ .

(١٠٠) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ وراجع ص ١٦٩، والقزويني: آثار البلاد ص ١٦١

(١٠١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ وراجع العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٣ - ١٦٤ وعن أبواب المسجد راجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢ ص١٣ وراجع من ص ١١.

(١٠٢) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٦٧ وراجع القزويني: آثار البلاد ص ١٦٢ وعن حديث الحلقة راجع صحيح مسلم جـ١ ص ٣٨٨.

(١٠٣) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٧٠ وراجع القزويني: آثار البلاد ص ١٦١ - ١٦٢

(١٠٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٨.

(١٠٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٨

(١٠٦) القزويني: آثار البلاد ص ١٦١ والعمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٢، وراجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢ ص ١٦-١٧

(١٠٧) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص١٦٨ وأبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٢٧ وابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ وذكر ابن بطوطة (رحلة ابن بطوطة ص ٥٨) أن على الصخرة شباكين اثنين مُحكما العمل، يُغلقان عليها، أحدهما وهو الذى يلى الصخرة، من حديد بديع الصنعة، والآخر من خشب.

(١٠٨) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٢ وذكر أيضاً أنه من ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف. بينما ذكر الحنبلي «الأنس الجليل جـ٢ ص ١٦» أن ارتفاع القبة عن أرض المسجد قدره واحد وخمسون ذراعاً بذراع العمل الذى تذرع به الأبنية وهذا راجع بالطبع إلى اختلاف طول الذراع، وهو اختلاف يسير.

(١٠٩) القزويني: آثار البلاد ص ١٦٢ وراجع ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨.

(١١٠) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٢، وهو ماذكره الحنبلي: الأنس الجليلي جـ٢ ص ١٦ وأضاف: «وسواري مبنية فى غاية الإحكام والاتقان» وهذه السواري ورد ذكرها عند العمري أيضاً ضمناً فى أثناء الكلام عن ارتفاعات وروافع القبة، وبين أن السواري ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع. راجع ص ١٤١.

(١١١) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٧٠ وراجع القزويني: آثار البلاد ص ١٦٢

(١١٢) العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٢.

(١١٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ ، وراجع العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٠ وص ١٤١ . وراجع الحنبلى : الانس الجليل جـ٢ ص ١٦ وص١٨-١٩ .

(١١٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٨ .

(١١٥) راجع عن ذلك العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٠ - ١٤٤ . وبنفسه ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٧٠

(١١٦) العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٤١ وص ١٤٩ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٧٠ .

(١١٧) راجع العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٠ و ١٤١ وص١٤٤ وراجع ياقوت : السابق والصفحة نفسها جـ٥ ص ١٧٠ .

(١١٨) ياقوت : السابق جـ٥ ص ١٧٠ والعمرى : السابق جـ١ ص١٤٢ وص١٤٣

(١١٩) ياقوت : السابق جـ٥ ص ١٧٠ وتجدر الإشارة هنا إلى أن العمرى (مسالك الابصار جـ١ ص ١٤٥ و ص١٤٦ وص١١٥) قد وصف عدة قباب تقع فى فناء الصخرة . وراجع الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢ ص ١٨- ٢٣

(١٢٠) القزوينى : آثار البلاد ص ١٦٢

(١٢١) راجع العمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ١٣٩ - ١٦٧

(١٢٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص ١٧١ . وحمد ياقوت ربه أن وفقه لزيارة الحرم الشريف .

(١٢٣) العمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ١٦٧

(١٢٤) ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٤٨ .

(١٢٥) راجع أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٢٧

(١٢٦) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ٤٢٦ وراجع ص ٢١٩

(١٢٧) العمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ وراجع القزوينى : آثار البلاد ص ١٦٢ وراجع الحنبلى : الانس الجليل جـ١ ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١٢٨) صحيح مسلم جـ٥ ص ٢٢٣ و ص ٢٢٤ . والكثيب هو الرمل المستطيل المحدودب . المعجم الوسيط جـ١ ص ٧٧٧ .

(١٢٩) ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص ٢٩٠.

(١٣٠) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٧٦.

(١٣١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٧

(١٣٢) تقع مدينة الخليل جنوبى القدس، وقد ذكر العمرى (مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٨ – ٢٠٩) وشيخ الربوة: نخبة الدهر ص ٢٦٨، أن الأرض المقدسة مشتملة على مدينة القدس وما حولها إلى نهر الاردن المسمى بالشريعة إلى فلسطين، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عرضاً. وقد زار العمرى (مسالك الابصار جـ١ ص ١٦٨-١٧٢) قبر الخليل عليه السلام وقبور بنيه من الأنبياء سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٥م ووصف السرداب الذى فيه قبور الانبياء وزوجاتهم وهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم، وقبور زوجاتهم ومنهن سارة. وكذلك زار قبر يوسف عليه السلام خارج الحرم الإبراهيمى. وتحدث العمرى عما يقدم للزائرين من طعام العدس المطبوخ بالزيت الطيب، وعن طعام «الدشيش» وزار ابن بطوطة (رحلة ابن بطوطة ص ٥٥) هذه القبور أيضاً ونقل أنها قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقبور زوجاتهم، ولايطعن فى ذلك إلا أهل البدع، فهو نقل الخلف عن السلف لايشك فيه. والحق أن الإمام المحقق ابن تيمية قد جزم بأن قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام بمدينة الخليل جنوبى القدس (فتاوى ابن تيمية جـ٢٧ ص ٤٤٥)، وللوقوف على الانبياء المدفونين فى الخليل راجع ابن الجوزى: فضائل القدس ص ٩٧ وراجع القلقشندى: صبح الأعشى جـ١٤ ص١٠٢ وراجع الحنبلى: الانس الجليلى جـ١ ص ٥٦ – ٥٨ وراجع حتى ص ٧٢.

(١٣٣) العمرى: مسالك الابصار، دولة المماليك الأولى ص ١٣٦ وص٢١٠ ويبين العمرى من عبارته هذه قصده، وهو أن قبلة اليهود هى القدس (فيما عدا السامرة منهم فقبلتهم نابلس) وفيها حجهم كما أن النصارى تحج إلى كنيسة القيامة بالقدس. وراجع ص ١٢٤ وراجع القلقشندى: صبح الأعشى جـ١٤ ص ١٠٢ وراجع أيضاً ياقوت جـ٥ ص ٢٤٨

(١٣٤) ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص ٣٩٦ والقزوينى: آثار البلاد ص ١٦٣، وراجع عن هذه الكنيسة القلقشندى: صبح الاعشى جـ٤ ص ١٠٢.

(١٣٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٩ وراجع العمرى: مسالك الابصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ وعنها راجع ياقوت: معجم البلدان جـ١ ص ٥٢١ – ٥٢٢ وجـ٤ ص٣٩٦ والقزوينى: آثار البلاد ص ١٦٣ وعن المقدسات النصرانية بالمدينة راجع الحنبلى: الانس الجليل جـ٢ ص ٦١-٦٢ و ٦٥-٦٦.

(١٣٦) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٠ وراجع ص ١٥١ .

(١٣٧) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٧

(١٣٨) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ و ص١٦٩ . وهوما ذكره القزوينى: آثار البلاد ص ١٦٠ . ويذكر هنا أن الرحالة أبا الفداء تحدث عن مياه فلسطين بمدنها كلها، فذكر أن مياهها من الامطار، وعليه تقوم الزراعة بها، فيما عدا نابلس، فإن فيها مياهاً جارية أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(١٣٩) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٧ وص ١٥٠ وص١٥١ وص ١٥٩ .

(١٤٠) ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ١١٢ .

(١٤١) العمرى: مسالك الابصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ وسبق الحديث عن هذه القناة وراجع ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٥٧

Burchard : Adescription of land, p. 78 - 79

(١٤٢) ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص ١٧٨

(١٤٣) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٩ .

(١٤٤) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ ، وراجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص ٥٧ .

(١٤٥) أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٢٢٧ .

(١٤٦) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ وراجع ياقوت جـ٥ ص ٤٢٧

(١٤٧) العمرى: مسالك الابصار جـ١ ص ١٥٥ وراجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص ٥٩ وص٦٠-٦١ .

(١٤٨) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ وراجع القزوينى : آثار البلاد ص ١٦١ .

(١٤٩) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ و ص ١٦٠ وراجع ياقوت جـ٢ ص ١٠٢ وص٢٦٥ وجـ٣ ص ١١١ وجـ٥ ص ٤٢٧ .

(١٥٠) ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص١١١ .

(١٥١) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٩ والقزوينى: اثار البلاد ص ١٦١ .

(١٥٢) راجع ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص ١١٢ والعمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥

(١٥٣) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ .

(١٥٤) المَيْس: شجر عظام حرجى للتزيين، وله ثمر أسود صغير حلو، تأكله الطير وخشبه قوى يصلح لمصنوعات التجارة. المعجم الوسيط جـ٢ ص ٨٩٤.

(١٥٥) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥ و ص ١٦٠

(١٥٦) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٦٠

(١٥٧) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٥

(١٥٨) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ وص ٤٢٧ وجـ٤ ص ١١٢ و١٧٨ وجـ٣ ص١١١ وجـ٢ ص٦٩ وص١٠٢ وص٢٦٥، والقزوينى: آثار البلاد ص ١٦٠ والعمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢٠٩ وص٢١٠ وجـ١ ص١٥٥.

(١٥٩) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٦٤.

(١٦٠) للوقوف على هذا راجع العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٢ وراجع ص ١٤١ وص١٤٣ وص ١٥٩.

(١٦١) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥١

(١٦٢) راجع العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٦ وص ١٦١ وراجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص٣٣

(١٦٣) راجع العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٠، و١٤٢، ١٤٣.

(١٦٤) راجع ياقوت جـ٥ ص١٦٨ وراجع العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ص١٥٣، ص١٥٩، وأشار العمرى أيضاً (ص١٤٠) إلى الشبابيك الزجاجية مما يدل على وجود صناع للزجاج أو مهنيين يعملون بهذه الصناعة

(١٦٥) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٤ وص١٦١.

(١٦٦) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٤٦ وراجع الجزء الخاص بدولة المماليك الأولى ص ٢١٠.

(١٦٧) راجع العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠ وراجع ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ والقزوينى: آثار البلاد ص ١٦٠، وعن أسواق القدس مفصلة راجع الحنبلى. الأنس الجليل جـ٢ ص١٤-١٥ وص٥٠ وص٥٣ وص٢٠٠ وص٢١٢.

(١٦٨) ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص ٣٧.

(١٦٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ١٠٦ ويبدو أن تعلق أهالى القدس بالحرم المكى ومقدساته وشعائره كان قوياً حيث إن الرحالة ياقوت الحموى (معجم البلدان جـ٤ ص١٧٨) ذكر أن بعض أهالى القدس يزعمون أنماء زمزم يزور ماء (عين سُلوان) بالقدس ليلة عرفة ، وعن أمثال هذا الظن راجع الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢ ص١٦٩ . وقد أشار ابن جبير (رحلة ابن جبير ص ٢٠٣ - ٢٠٤) إلى عادة أهل دمشق يوم عرفة .

(١٧٠) يذكر هنا أن ابن بطوطة نص على عادة التوجه إلى الحرم الشريف بالقدس عصر يوم عرفة، وبين أن هذه العادة هي عادة أهل دمشق وسائر البلاد الشامية، ثم اتبع ذلك بالحديث عن عادة اتباع الجنائز، وما يتصل بها، وكلامه (ص١٠٦) يتضمن القدس والشام بصفة عامة، كما هو المفهوم منه وراجع ابن جبير: رحلة ابن جبير ص ٢٠٦ .

(١٧١) يلاحظ أن المقريزى (المقفى جـ٧ ص١٩) ترجم لأحد المصريين فى القرن السابع الهجرى وهو أبو بكر الجنائزى (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) وذكر أنه كان مديراً يعلن الأموات فى القاهرة . وهذا يؤكد أن هذه العادة كانت بالقدس أيضاً وبغيرها حيث إن أغلب العادات كانت واحدة فى البلاد الإسلامية فى تلك الفترة .

(١٧٢) العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٨ .

(١٧٣) العمرى : السابق ص ١٥٣ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص١٧٠ .

(١٧٤) المسِاطب تنطق بالسين والصاد، وهي بناءغير مرتفع يجلس عليه راجع المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٢٩ و٥١٤ وراجع القزوينى : آثار البلاد ص ١٦١ وراجع ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ١٦٨ .

(١٧٥) راجع العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٦٠ وص١٦١ . بينما كانت المراسيم الواردة من السلطان تقرأ على دكة المسجد الأقصى . راجع الأنس الجليل للحنبلى جـ٢ ص١٩٤ .

(١٧٦) راجع العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٩ وص١٦١ وص١٦٣ وص١٦٤ وراجع الجزء الخاص بدولة المماليك الأولى ص٢١٠ .

(١٧٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص٥٩ وللوقوف على العلماء الزهاد راجع الحنبلى جـ٢ ص١٣٤ - ٢٨٢ وذكر ياقوت بعضهم . ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص١٧١، ١٧٢ .

(١٧٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٥٩ .

(١٧٩) العمرى : مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ٢١٠، وترجم الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢

ص١٨١ وص١٩٤ وص٢١٠ وص٢٣٣ لمعلمي الأطفال ومؤدبيهم من العلماء.

(١٨٠) العمرى: مسالك الأبصار، الجزء الخاص بدولة المماليك الاولى ص ٢١٠.

(١٨١) راجع عنها العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص١٤٥ – ١٤٧ وراجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ١ ص٤٠٣.

(١٨٢) ليست موجودة عند ياقوت فى معجمه.

(١٨٣) الصُفّة: البَهْو الواسع العالى السقف. المعجم الوسيط جـ١ ص٥١٧.

(١٨٤) المِزْوَلة: الساعة الشمسية التى يُعين بها الوقت بظل الشاخص الذى يثبت عليها. المعجم الوسيط جـ١ ص٤٠٨. ويُذكر هنا أن الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص٢١٠ قد ذكر أن الشيخ زين الدين عبد لكريم المقدسى كان موقتاً للمسجد الأقصى، وأنه باشر التاقيت بالقدس الشريف مدة. ولعله كان يعتمد على مزولة المدرسة المعظمية أو غيرها من مزاول بالقدس.

(١٨٥) المدرسة الكريمية سبق التعريف بها، وهى من وقف ناظر الخواص بالديار المصرية كريم الدين عبد الكريم بن مكانس سنة ثمانى عشرة وسبعمائة من الهجرة، وعنها راجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص ٣٩ – ٤٠.

(١٨٦) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٧ وراجع ص١٥٨.

(١٨٧) سبق الحديث عنها، فهى من بناء الأمير سيف الدين الحاج آل مَلَك الجوكندار سنة إحدى واربعين وسبعمائة من الهجرة. راجع الحنبلى: الزنس الجليل جـ٢ ص ٣٨.

(١٨٨) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص ١٥٩.

(١٨٩) هذه المدرسة من وقف الأمير سنجر الجاولى نائب غزة والقدس، وبنيت سنة ٧١٥هـ/ ١٣٠٥م وراجع عنها الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢ ص٣٨.

(١٩٠) العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٩.

(١٩١) هذه المدرسة من وقف الأمير تنكز الناصرى نائب الشام، وبدئ فى عمارتها سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م وفرغ منها بعد سنتين. راجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص٣٥.

(١٩٢) وعنها راجع العمرى: مسالك الأبصار جـ١ ص١٦٢ وص١٦٣.

(١٩٣) العمرى: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى هى ٢١٠. وللوقوف على معرفة كل مدارس القدس راجع الحنبلى: الأنس الجليل جـ٢ ص٢٦-٤٩.

(١٩٤) للوقوف على النشاط العلمي بالقدس راجع ترجمة الحنبلي لخطباء المسجد الأقصى ومدرسي مدينة القدس في الجزء الثاني من كتابه الانس الجليل ص ١٣٤ - ٢٨٢ ومن ص ٢٨٢-٢٨٣

(١٩٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص٥٩. ومدينة أرز الروم من مدن إرْمينية، وقد زارها ابن بطوطة في رحلته وعنها راجع ياقوت: معجم البلدان جـ١ ص ١٥٠ ورحلة ابن بطوطة ص ٢٩٨.

(١٩٦) سبقت الإشارة إلى الصفحات التي ترجم فيها الحنبلي لعلماء وقضاء القدس.

(١٩٧) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص ٢٨١. ويذكر هنا أن القلقشندي تكلم عن نيابة القدس في «صبح الأعشى» جـ١٢ ص١٠٥

(١٩٨) راجع عن هذا الناظر العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص١٦٠ وص١٦١ وكان هذا الناظر من الفقهاء أحياناً، ومن الأمراء أحايين عديدة. راجع الحنبلي: الأنس الجليل جـ٢ ص٩٧ وص٩٨ وص٢٣٥ وص٢٣٩ وص٢٧٢ وص٢٧٣ وكان يسمى الناظر، ناظر الحرمين الشريفين: حرم القدس وحرم الخليل. وراجع القلقشندي: صبح الأعشى جـ١٢ ص١٠٥

(١٩٩) راجع العمري: مسالك الأبصار جـ١ ص١٥٩.

(٢٠٠) راجع ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص١٠٦.

(٢٠١) العمري: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص٢١٠.

(٢٠٢) العمري: المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢٠٣) العمري: المصدر السابق والصفحة نفسها وجـ١ ص١٤٤ وص١٦١.

(٢٠٤) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص ٢٦٨ ويعني بيت المقدس مدينة القدس، راجع ص ٢٨١.

(٢٠٥) راجع ابن جبير: رحلة ابن جبير ص ٢٠٦ ويتسم الرحالة ابن جبير بالدقة في تدوين مشاهداته، ولكنه للاسف لم يطلعنا على رحلتيه بعد تحرير القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. وعن ابن جبير راجع كتاب «أعلام الجغرافيين العرب» للدكتور عبد الرحمن حميدة ص٤٠٩-٤٣٥ ود. محمد محمود محمدين: التراث الجغرافي الإسلامي ص١٣٧ - ١٣٩.

المصادر والمراجع

المصادر :

ابن الأثير : (على بن أبي الكرم محمد) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.
الكامل في التاريخ . دار صادر - بيروت .

الأصفهاني : (عماد الدين أبو عبد الله محمد بن صفي الدين) ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م
الفتح القسي في الفتح القدسي . تحقيق محمد محمود صبيح الدار القومية للطباعة والنشر .

ابن بطوطة : (محمد بن إبراهيم اللواتي) ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م
رحلة ابن بطوطة . دار صادر .

بنيامين التطيلي : (بنيامين بن يونه التطيلي)
رحلة بنيامين . ترجمها عن العبرية عزرا حداد بغداد ١٩٤٥م . الطبعة الأولى .

ابن تيمية : (أحمد بن عبد الحليم) ت٧٢٨هـ/ ١٢٢٧م
مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف - الرباط - المغرب .

ابن جبير : (أبو الحسين محمد بن أحمد) ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م
رحلة ابن جبير . تقديم واعتناء د . محمد مصطفى زيادة .

ابن الجوزي : (عبد الرحمن بن على) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م
فضائل القدس . تحقيق د . جبرائيل سليمان جبور
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

ابن حبيب : (الحسن بن عمر بن الحسين) ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م
تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه . تحقيق د . محمد محمد أمين دار الكتب ١٩٧٦م .

الحنبلي : (مجير الدين أبو اليمين) ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م
الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . مكتبة المحتسب . عمان . الأردن .

ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م
تاريخ ابن خلدون . مؤسسة جمال للطباعة والنشر . بيروت . لبنان ١٩٧٩م .

الدواداري : (أبو بكر بن عبد الله بن ايبك) توفي بعد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م
كنز الدرر وجامع الغرر
جـ٧ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
سبط بن الجوزي : (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي) ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م
مرآة الزمان. الجزء الثامن - الطبعة الاولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد. الهند - ١٣٩٧٠هـ/ ١٩٥١م.
ابن سعيد : (على بن سعيد) ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م
بسط الأرض في الطول والعرض. تحقيق د. حوان قرنيط خينيس. معهد مولاي الحسن سنة ١٩٥٨م.
أبو شامة : (شهاب الدين أبو محمدعبد الرحمن) ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م
الروضتين في أخبار الدولتين دار الجيل - بيروت .
شيخ الربوة : (محمد بن أبي طالب الانصاري الدمشقي) ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. بيروت . لبنان .
دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبري : (محمد بن جرير) ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م.
تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمدأبو الفضل إبراهيم. دار المعارف.
ابن عبد البرّ : (يوسف بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م
الاستيعاب في معرفة الأصحاب. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
ابن عبد الحق : (صفي الدين عبد المؤمن) ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م
مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع
تحقيق على البجاوي. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
العمري: (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م
مسالك الابصار في ممالك الامصار. الجزء الأول. تحقيق الاستاذ أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. دولة المماليك الأولى.
تحقيق دوروتيا كرافولسكي. المركز الإسلامي للبحوث - بيروت ١٩٨٦م.

أبو الفداء : (عماد الدين إسماعيل بن محمد) ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م
تقويم البلدان . مكتبة المثنى ببغداد – مؤسسة الخانجي بمصر .
ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م
تاريخ ابن الفرات . المطبعة الأميركانية – بيروت
القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد)
الجامع لأحكام القرآن . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .
القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود) ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م
آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر – بيروت .
القلقشندي : (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م
صبح الأعشى في صناعة الإنشا . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م
البداية والنهاية . دار الغد العربي
تفسير القرآن العظيم عيسى البابي الحلبي وشركاه
مسلم : (مسلم بن الحجاج بن مسلم) ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م
صحيح مسلم بشرح النووي . تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة دار الشعب .
المقريزي : (تقي الدين، أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م
- المقفى الكبير . تحقيق محمد اليعلاوي . دار الغرب الإسلامي – لبنان
السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق د . محمدزيادة . دار الكتب المصرية ١٩٣٦م
المنهاجي السيوطي : (أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين) ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م
إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى . تحقيق د . أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .
النعيمي : (عبد القادر محمد) ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م
الدارس في أخبار المدارس . تحقيق جعفر الحسني
مكتبة ابن الجوزي بالدمام ١٩٨٨م .
النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٣هـ/ ١٢٣٢م
نهاية الأرب في فنون الأدب . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم) ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. المطبعة الأميرية
ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٩هـ/١٢٢٨م
معجم البلدان دار صادر – بيروت

المراجع :

إسحاق الحسيني : مكانة بيت المقدس في الإسلام. مقال نشر في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية. رجب ١٣٨٨هـ. سبتمبر ١٩٦٨م.

دكتورة سيدة كاشف: الوليد بن عبد الملك. سلسلة أعلام العرب، العدد ١٧.

عارف باشا العارف : تاريخ القدس. دار المعارف. الطبعة الثانية.

الشيخ عبد الحميد السايح: مكانة القدس في الإسلام. مقال نشر في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية . ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

د. سعيد عبد الفتاح عاشور: اليهود في العصور الوسطى. مقال نشر في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

علي الدجاني وعرفان نظام الدين: القدس : إيمان وجهاد. بيروت ١٩٧١م.

كامل العسلي: آثار القدس ومخطوطاتها. مقال نُشر في كتاب أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، الذي عقد في طرابلس عام ١٩٨٢م. منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

فضيلة الشيخ محمدالغزالي : محاضرات الشيخ محمد الغزالي. البشير للنشر والتوزيع.

محمد نجم الدين الكردي: المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها، منذ عهد الرسول ﷺ وتقويمها بالمعاصر. مطبعة السعادة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

Burchard: Adescription of the holy land. London, 1897

Franiccolo : Avoyoge Beyond the seas. 1995.

Moundville: The Maruellous Adventures. 1895 .



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري
دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

ثانيا: عرض الكتب





عرض لكتاب "الناس والحياة فى مصر زمن الرومان"

للأستاذ الدكتور / سيد أحمد الناصرى

عرض وتحليل: أ .د / محمد حمدى أبراهيم

نائب رئيس جامعة القاهرة للدراسات العليا و البحوث

منذ أن أصدر أستاذنا الراحل الدكتور / عبد اللطيف احمد على عليه رحمة الله كتابه الممتاز "مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية" عام ١٩٦٠ بدأ الاهتمام على نطاق واسع بتاريخ مصر فى "العصر اليونانى الرومانى على ضوء الوثائق البردية التى بدأ الكشف عنها فى أرض مصر منذ عام ١٨٧٩، ووصل عددها إلى ما يقرب من ٣٠٠٠٠ وثيقة أو يزيد .. ولقد تم إعداد رسائل كثيرة فى هذا الحقل منها ما نشر ومنها ما زال ينتظر النشر . ولكن الكتب المؤلفة على غرار كتاب أستاذنا الراحل د. عبد اللطيف أحمد على مازالت نادرة.

ويأتى كتاب الزميل الأستاذ الدكتور/ سيد الناصرى بعنوان "الناس والحياة فى مصر زمن الرومان فى ضوء الوثائق والآثار ٣٠ق.م- ٦٤٢م". الصادر عن دار النهضة العربية عام ١٩٩٧ ليقدم صورة بانورامية من جوانب متعددة من تاريخ مصر لم تحظ من قبل بمعالجتها، وهى جوانب تتعلق - إلى جانب معالم تاريخ مصر السياسى - بسياسة الرومان إزاء طبقات المجتمع، وبالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى عواصم الأقاليم بمصر الرومانية، وبالحياة فى الريف، وبالمعتقدات الدينية والأعياد

الشعبية، وبالنشاط السكانى فى الزراعة والتجارة والحرف، وبالاحصاء والضرائب وسجلات الملكية والخدمات الالزامية، وبالعدالة والقوانين، وبعلاقة السكان بالسلطة الرومانية وغير ذلك.

ومن قبيل الصدفة المحمودة أن تصدر فى نفس العام ايضا ترجمة عربية لكتاب مشابه للاستاذ العالم نافتالى لويس بعنوان "الحياة فى مصر فى العصر الرومانى (٣٠ق.م - ٢٨٤م) "قامت بها الدكتوره امال الروبى وتشرف كاتب هذا العرض بمراجعتها، وهو كتاب يعالج نفس الموضوع بطريقة مشابهة وان كان كتاب الزميل أ.د. سيد الناصرى يعالج حقبة زمنية أكثر امتدادا، وهكذا يجد القارئ العربى الكريم كتابين يغطيان فترة زمنية وجانبا كان مهملا فى مكتبتنا العربية.

ونعود للحديث عن كتاب الزميل أ.د. سيد الناصرى فنجده يتميز بالتنوع والإحاطة والشمول والاعتماد على المنهج العلمى والوثائق، ولا يغفل فى الوقت نفسه الدراسات الحديثة، ورغم الجدية فى المعالجة إلا انه يتميز بالطرافة فى اختيار الموضوعات وفى أسلوب العرض وفى التعليقات التى تتناثر بين دفتيه، وفى المعلومات التى يزخر بها. ولقد نال اعجابى بوجه خاص أنه يتحدث عن المصريين ما أمكن وبقدر ما تسعفه الوثائق، ويتحدث عن الإغريق وعن الرومان بإسهاب نظرا لتوفر الوثائق فى هذا المجال، ويربط كثيرا من المعلومات الواردة فيه ربطا جيدا ويقارنها فى معظم المواضع مع ظروف العصر الحاضر.

ولقد أعجبت إلى حد كبير وبوجه خاص بالفصل الثالث الذى يحمل

عنوان "أوضاع السكان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى عواصم الأقـاليم المصرية" (ص ص ١٢٨-١٧٥)، إذ أنه يحتوى علـى معلومـات غزيـرة ومتنوعة يتم سردها بطريقة جذابة شيقة، وراقنى كذلك، ما ورد فى الفصـل الخامس عنوانه "المعتقدات الدينية والأعياد الشعبية" من معلومات حول الآلهة والمعبودات سواء المصرية أم اليونانية وعن المزج بيـن الأديـان والعقـائد بصورة تعكس سماحة الشعب المصرى وعراقته وبعده عن التطرف المذموم. ولقد سعدت أيما سعادة ان هذا الفصل يحتوى على معلومات اضافيـة عـن الديانتين اليهودية والمسيحية وانتشارهما فى مصر بطريقة موجزة ولكـن دون إخلال.

أما الفصل السادس وعنوانه "النشاط السكانى" فقد شدنى إليه ما ورد عن الحرف والمهن والصناعات (ص ص ٢٩٥ومابعدها).. فـلأول مـرة أجـد حصرا شاملا لأهم أسماء المهن والحرف التى وردت فى الوثائق البرديـة، ولقد اهتم المؤلف - وهذا يحمد له - بإيراد هذه الأسماء بصورتها الإغريقيـة مع ترجمة عربية لإسم كل مهنة أو حرفة (ص ص ٢٩٩-٣٠٠) . ومما شـد انتباهى فى هذا الفصل كذلك أنه خصص مساحة لا بأس بها (ص ص ٣١٩-٣٢٢) لمعالجة موضوع الأطفال اللقطاء وعقـود المرضعـات. ومسـاحة أخرى للمسرح والرياضة (٢٢٣-٢٢٦)، وللمهن العلمية والحـرة (الأطبـاء المحامون) (ص ص ٢٢٧-٣٣٣).

لقد جاء هذا الكتاب ليسد فراغا كنا نستشعره منذ سـنوات كثـيرة فـى المكتبة العـربية وهو كتاب مـن الكتب الجادة الرصيـنة نجح فى أن يحقق

توازنا بين البحوث المركزة والكتب ذات المنظور الشامل. ولكن في المقابل لي بعض الملاحظات.. منها أن هناك كتبا ومقالات متخصصة عددها ليس بالقليل، وأيضا رسائل ماجستير ودكتوراه ذات صلة بموضوع الكتاب لم يذكر الحواشي، التي لا أنكر رغم ذلك مدى استفاضتها وثرائها. كما أن هناك موضوعات ذات جاذبية مثل الثقافة والتعليم والفن لم تأخذ حظها مثل غيرها من الموضوعات الجادة داخل دفتي هذا الكتاب القيم الذي استفاد مؤلفه من كافة الإصدارات السابقة عليه على اختلاف أنواعها بذكاء وقدرة مدهشة على الموازنة. ولكن أيا كانت الملاحظات فإن ما استشعرته وعبرت عنه لا يقلل أبدا من الكتاب وقيمته في نظرنا. وسيظل هذا الكتاب وأمثاله معينا للباحثين والقراء لفترة طويلة، ونحن نحيي في الختام هذا الجهد المتميز ونقدر قيمته وخبرة مؤلفه الذي نتمنى له مزيدا من الإنتاج ومن العطاء المتجدد.

All Correspondence to be directed to :
Editor - in Chief : Prof. Hamid Zayyan
Cairo University, Faculty of Arts,
Orman, Giza, A. R. E

رقم الإيداع : ٨٨/٧١٣٧

الترقيم الدولى ٩ - ٠٢٦ - ٢٣٨ - ٩٧٧

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS

THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN
HISTORY & CIVILIZATION
A BIANNUAL PUBLICATION OF THE
DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 21 (January 1999)

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY & CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF THE DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 21 (January 1999)

al-Muarrikh al-Misri

المؤرخ المصري

دراسات و بحوث في التاريخ والحضارة

X-20 77



بحوث

أولا: البحوث والدراسات :

ثانيا: عرض الكتب :

يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة
العدد الحادي والعشرون يناير ١٩٩٩



جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية مُحكمة

العدد
الحادي والعشرون
يناير ١٩٩٩

محتوى العدد

الصفحة